منهج الأبحاث التاريخية

في خطوات تطبيقية

إعداد
د. سعيد إسماعيل صالح صيني

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

منهج الأبحاث التاريخية

في خطوات تطبيقية

إعداد

د. سعيد إسماعيل صالح صيني

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: منهج الأبحاث التاريخيّة
في خطوات تطبيقيَّة

Title: MANHAJ AL-'ABḤĀṬ AT-TĀRĪḪIYYA
FĪ ḪUṬUWĀT TAṬBĪQIYYA

التصنيف: دراسات - علوم التاريخ
Classification: Studies - History Sciences

إعداد: د. سعيد إسماعيل صالح صيني

Prepared by: Dr. Saeed Ismail Saleh Sieny

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	280	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2019 A. D. - 1440 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

ناشرون إلكترونيًّا:
www.saeedsieny.net
- صيد الفوائد

جميع الحقوق محفوظة
2019 A. D. - 1440 H.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-9394-0

sales@al-ilmiyah
info@al-ilmiyah.com
http://www.al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا أعتقد أن عاقلا ينكر أهمية الأخبار والروايات التاريخية وخطورتها، ولا سيما الأخبار والروايات السلبية.

ولهذا يُحذِّر الله تعالى ورسوله من مغبة ترديدها والوقوع في فخاخها. يقول تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد وردت هذه الآية مرتين[1]. ويقول النبي ﷺ: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا... فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار"[2]. ويقول عليه الصلاة والسلام: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة وما يرى أنها تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفا"[3].

فالأصل أن يكف الإنسان لسانه عن ذكر أخطاء السابقين والغائبين. وأما إذا اقتضى الأمر إلى الحديث فيها للعبرة فعلى الإنسان، ولا سيما المسلم، أن يحرص على التحقق من مصداقية الأخبار السلبية التي تصله عن حدث محدد أو شخصية أو جماعة. والتحدث عنها يكون عادة بترديدها باعتبارها حقائق، أو للتحذير منها أو

---

(١) سورة البقرة: ١٣٤، ١٤١.

(٢) مسلم ج٤: ١٩٩٧.

(٣) أحمد بن حنبل ج٢: ٥٣٣.

للاعتماد عليها في محاكمة أصحابها. ولهذا يأمر رب العالمين الذين آمنوا أن يتحققوا من مصداقية الخبر قبل ترديده. يقول تعالى عن ضرورة التحقق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾[1]. ولعل أحدا يقول إن هذه الآية إنما هي خاصة بالأنباء أو الأخبار التي يأتي بها الفاسق. بيد أنه عندما نعود إلى سياق الآية والآيات الأخرى ذات العلاقة لأسباب النزول نجد أن الآية لا تعني الرجل المعروف بفسقه عند الناس. ولهذا جعل علماء الحديث مجهول العدالة أي الذي لم يثبت لدينا أنه ثقة ضمن من يجب التحقق من أخباره. ولكن ما المقصود بالنبأ أو الخبر؟

وهناك جهود بارزة ذات علاقة بالموضوع، ولكنها عمليا متخصصة في نقد النصوص المنسوبة إلى النبي محمد ﷺ. وتندرج تحت علم أصول الحديث، وإن حملت أسماء أخرى، مثل "منهج النقد الإسلامي". كما أن هناك جهودا في ربط الأحداث التاريخية ببعض المعتقدات الإسلامية تحمل عبارات مثل: النقد التاريخي، أو منهج كتابة التاريخ، يتوقع القارئ أنها تمده بوسائل للتحقق ميسورة، ولكن بقراءة هذه المؤلفات يتضح له أنها توفر معلومات كثيرة، ولكن تدور حول أهمية التاريخ، وطريقة كتابة التاريخ بمنظور إسلامي[2]. وهناك جهود متخصصة في تحقيق المخطوطات، وهي تختص في نشر المخطوطات بعد التحقق من نسبتها إلى مؤلف محدد[3].

وبمراجعة نماذج من كتب التاريخ الإسلامي يتضح للقارئ أن هناك صنفين من المؤلفات. صنف تجميعي، يحرص على جمع الروايات المتوفرة حول الأحداث التاريخية؛ وكثير منها تورد مصدر الرواية التاريخية أو سلسلة رواتها إلى المصدر الأصلي، مع شيء من النقد لها. وأما الصنف الآخر فهي الكتابات الحديثة التي

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) بدوي، النقد التاريخي؛ موافي، منهج النقد التاريخي؛ السلمي، منهج كتابة التاريخ.

(٣) انظر مثلا: عسيلان، تحقيق المخطوطات.

تركز على تحليل الأحداث وتفسيرها، ولكن وقع كثير منها في أخطاء، بعضها خطير. ويبدو أن السبب الرئيس لهذه الأخطاء هو تأثير خلفيات المؤلف عنها، وغياب المراجع التطبيقية التي تعين الباحث على التحقق من الروايات التاريخية والأخبار، وتجنبه الوقوع في الأخطاء.

وهناك عدد قليل من الكتب العربية المخصصة للحديث عن المنهج التاريخي باعتباره وسيلة من وسائل تسجيل الأحداث التاريخية بدقة وواقعية وتنقيحها من الشوائب الطبيعية التي تعلقت بالأحداث التاريخية، عندما تتناقلها الأجيال المتعاقبة، و تنقيتها مما أضيف إليها عمدا لتحقيق مصالح خاصة. ولكن هذا العدد القليل لا يخرج عن كونه ترجمة أو نقولات عن كتابات بلغات أجنبية عن تاريخ أمم تختلف عن الأمة الإسلامية والعربية، ولعل عثمان صاحب كتاب المنهج التاريخي أول من استفاد من بعض المؤلفات الغربية، وقسم عملية البحث التاريخي إلى خطوات، وإن كانت مفصلة على دراسة التاريخ القديم، مثل التاريخ اليوناني والفرعوني[١]. وبعض الجهود هي محاولات متناثرة ذات صلة بالتاريخ الإسلامي، تركز على المعلومات أكثر من الخطوات التطبيقية[٢]. ولهذا فإن الصورة عن هذا المنهج لا تزال غير واضحة لكثير من الباحثين حتى أن بعضهم يخلط بين منهج البحث التاريخي وبين الاستقراء من الأحداث التاريخية[٣]، وبين هذا المنهج وسرد الأحداث بحسب تسلسلها التاريخي وبين هذا المنهج ومنهج المحدثين[٤] وبعبارة أخرى، فإن الحاجة لا تزال قائمة لكتاب يجمع ما يستفاد منه مما ورد في الكتابات غير العربية وفي العربية بأسلوب تطبيقي.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى وضع هذا الكتاب الذي يأمل مؤلفه أن يسهم في سدِّ شيء من الفراغ في هذا الجانب. وهو جهد يطور كتاب "وسائل التحقق من

(١) مثلا: بدوي، وعثمان، منهج البحث التارريخي، وموافي.

(٢) مثلا: النشار؛ روزنثال؛ العمري؛ مسعود وجمعة، أخطاء يجب أن تصحح.

(٣) مثلا: محمد، المسؤولية ص١٤ - ١٥؛ عزت، بحوث ص٣ - ٤؛ ومرعي مدكور ص١٣ - ١٤. نقلا عن صيني، الإعلام الإسلامي النظري ص٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤.

(٤) مثلا: عمر.

الأخبار في ضوء الكتاب والسنة" الذي صدر للمؤلف عام ١٤١٤هـ، ويستفيد من تجارب المؤلف في التحقق من بعض الروايات والأخبار حول بعض القضايا بالغة الأهمية، مثل الصراع الدموي بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وأخبار حادثة ١١ سبتمبر.

فالهدف من تأليف هذا الكتاب هو محاولة تحويل المعلومات الأساسية في هذه الكتب إلى خطوات و قواعد و إرشادات تطبيقية لتنفيذ الأبحاث التي تستخدم هذا المنهج أو للاستفادة منها كوسيلة ثانوية في الأبحاث التي تعتمد بشكل رئيس على مناهج أخرى.

فهدف هذا الكتاب هو استنتاج بعض القواعد التي تعين في التحقق، من منظور المصادر الإسلامية المتصلة بطريقة التعامل مع الأخبار للإجابة على التساؤلات، مثل: ما المقصود بالأخبار أو القصص التاريخية؟ وما طبيعتها؟ وما أنواعها؟ وهل تختلف بعض قواعد منهج البحث المتخصص في الأحداث الماضية باختلاف طبيعتها؟ وما هي الخطوات الرئيسة للبحث التاريخي؟ وسيتم تزويد القارئ بنماذج تغطي أنواعا من القصص التاريخية متميزة في طبيعتها.

وتنبغي الإشارة إلى أن الكتاب قد يوفر المساعدة السريعة، أيضا، لجامعي الأخبار وقارئي كتب التاريخ. وأما هدفه الرئيس فهو خدمة الباحثين الذين يسعون في الخروج بصياغات للروايات التاريخية المتناثرة، تمثل، إلى درجة كبيرة، ما جرى في الواقع، بالنسبة للأحداث الرئيسة أو السمات الرئيسة للشخصيات التاريخية. وذلك بشرط تنفيذ البحث حسب الأصول في الأبحاث العلمية، ومنها عمل خطة مناسبة للموضوع الذي سيتم بحثه، قبل الشروع فيه.

وأسأل الله التوفيق والسداد، كما أسأله جزيل الثواب لكل من أعان المؤلف في تنفيذ هذا العمل، ونشره.

سعيد إسماعيل صيني

٢٦/ ٣/ ١٤٣٨هـ

روجع في ١١ ربيع أول ١٤٣٩هـ

sisieny@hotmail.com
www.saeedsieny.net

الفصل الأول

خطة البحث التاريخي[1]

إن المتأمل في شؤون الحياة كافة يلاحظ أن الأمور جميعها أصبحت اليوم أكثر تعقيدا من ذي قبل. لهذا أصبحت عملية التخطيط المسبق للعمل الذي سيقوم به الإنسان ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها. ومن هنا كانت أهمية الخطة التي تسبق البحث العلمي. وهي عملية تترتب عليها نتائج خطيرة على مستوى الأمم. وقد يقول قائل إن علماء السلف لم يشترطوا الخطة المسبقة المكتوبة لدراسة الموضوع. وهذه حقيقة، ولكن لا بد من وضع عدد من الحقائق في الاعتبار، ومنها:

١- لم تتوفر للسابقين كثير من الوسائل التي توفرت لجيلنا. وهذا لا يعني أن الوسائل التي توفرت لنا لتحقيق عيش أكثر نعومة وأعمال أكثر اتقانا، بدون جهد كبير، غير ضرورية.

٢- أعمال السلف كانت تعتمد على الذاكرة القوية والتحليل الفكري التلقائي المتوفر في الظروف الحياتية التي تكاد تخلوا من الملهيات الكثيرة والمشغلات الغفيرة التي تعج بها حياة الناس في هذا العصر. فتفسد علينا القدرة على الحفظ الجيد وسرعة الاسترجاع، وتحول بين عقولنا وبين التركيز في التفكير.

عناصر الخطة:

للخطة عناصر، منها الرئيسة، ومنها الفرعية. وتختلف العناصر الفرعية تبعا

(١) خطة البحث مقتبسة من صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، وأي إشارة منهجية في هذا الفصل تعود إلى الكتاب المذكور. وانظر عثمان، منهج البحث التاريخي للخطوات المفيدة خاصة بالنسبة لتاريخ الأمم القديمة في مصر وفي أوربا ص٦٧ - ٢٠١.

لاختلاف نوع البحث أحيانا. أما العناصر الرئيسة فلا تختلف من حيث المضمون، ولكن قد تختلف من حيث الشكل والحجم. فبعض الدراسات، ولا سيما المكتبية، لا تحتاج إلى خطوات أو تفاصيل كثيرة، والبعض الآخر، ولا سيما الميدانية والمعملية، فإنها تحتاج إلى خطوات وتفاصيل كثيرة. وقد يعمد الباحثون إلى اختصار بعض الفقرات داخل العناصر الرئيسة، أو الاستغناء عنها، أو دمج بعضها في بعض، وذلك حسب ما تمليه الحاجة.

وعموما تتكون الخطة من العناصر الرئيسة التالية:

أولا: العنوان.

ثانيا: الدوافع والأهداف.

ثالثا: تحديد المشكلة. (تحديد أبعاد الموضوع). وتحتاج هذه العملية -أحيانا- إلى التحليل.

رابعا: استعراض الجهود السابقة Literature Review.

خامسا: تصميم منهج البحث. ويتكون من عناصر ثلاثة رئيسة: جمع المادة العلمية، وتحليلها، وعرض النتائج.

ويجب على الباحث ملاحظة أن العبرة ليست بإيجاد عناوين مستقلة، دائما، لكل عنصر من هذه العناصر. وإنما العبرة في أن تكون هذه العناصر موجودة في الخطة بالفعل، وأن يتم تجميع المعلومات المتصلة بكل عنصر في فقرات خاصة بها، مترابطة ومتسقة. فمن الأبحاث مثلا ما تقتضي طبيعتها التداخل بين عملية جمع المادة العلمية وعملية حصر المادة العلمية، التابعة لعنصر تحليل المادة العلمية. وقد تضطر بعض الدوريات، التي تنشر الأبحاث، الباحث إلى جمع مقدمة البحث والدراسات السابقة وأهدافها ومشكلتها تحت عنوان واحد.

شروط الخطة الجيدة وعلاماتها:

الخطة الجيدة لها علامات يمكن إدراكها مع الخبرة والمراس ومن هذه العلامات:

١- أن تكون مفصلة على المشكلة المراد دراستها، بحيث لو أنك غيرت عنوان الموضوع تشعر بنوع من النشاز بين مفردات الخطة والعنوان الجديد. ودرجة هذا النشاز تختلف باختلاف أسلوب جمع المادة العلمية وتحليلها.

٢- عند قراءة فقرة تحديد المشكلة يشعر القارئ بأن معد الخطة قد قرأ ما فيه الكفاية حول موضوع الدراسة وأدرك أبعادها، وقام بتشخيصها أو تحديدها بدقة، فأصبحت جاهزة للبحث.

٣- يحدثك عنصر الدراسات السابقة ليس عن الكمية التي قرأها الباحث فحسب، بل أيضا عن الكيفية التي قرأ بها، ويقودك تلقائيا إلى النقطة التي سيبدأ منها الباحث دراسته.

٤- الإعداد الجيد لفقرة جمع المادة العلمية لا يترك مجالا كبيرا للتساؤلات حول مصادر البحث: أنواعها، والمتوفر منها وغير المتوفر، وأماكن وجودها، وطريقة الوصول إليها، وطريقة الحصول عليها، إذا لزم الأمر.

٥- وضوح القواعد المتصلة بتحليل المادة العلمية.

٦- اتساق فقرات القائمة الأولية لموضوعات البحث وكفايتها في ملء الفجوات التي تتركها فقرات جمع المادة العلمية ومعالجتها أو تحليلها.

٧- تعطي الخطة القارئ تصورا واضحا عما سيكون عليه البحث عقب التنفيذ، ليس من حيث مضمون النتائج، ولكن من حيث ترابط المضمونات واتساق فقراتها وموضوعاتها. فمن الضروري أن يكون هناك اتساق واضح بين تحديد المشكلة، ومضمونات واستعراض الجهود السابقة، والمصطلحات المستخدمة في الدراسة.

وغني عن الذكر أن التوثيق الدقيق للاقتباسات المباشرة وغير المباشرة في الخطة كلها مطلب أساس، سواء عند استعراض الدراسات السابقة، أو عند تصميم المنهج. وقد يظن بعض الباحثين أن المفروض أن تكون جميع فقرات منهجه مبتكرة. فينقل فقرات كثيرة حرفيا من الأبحاث الأخرى، دون توثيق.

وهذا السلوك إضافة إلى كونه سرقة يعاقب عليها القانون ويتنافى مع المبادئ الأخلاقية، فإنه يُعد ضعفا في المنهج. فالأصل أن تكون فقرات المنهج مستمدة من قواعد راسخة أو مألوفة في البحث العلمي، بشرط وفائها بمتطلبات البحث المقترح. ولهذا فإن التوثيق الجيد للفقرات المستعارة من أبحاث أخرى محترمة يزيد المنهج قوة. فهناك فرق بين أن يستخدم الإنسان خطوات قدمه لقياس مسافة

محددة مثلا، أو أن يستخدم مقياسا مألوفا مثل المتر وتفريعاته، إلا أن يكون هناك قصور في المناهج المتوفرة، فيضطر إلى تصميم منهج خاص بدراسته.

وفي الفقرات التالية سيتم الحديث عن العناصر الأساسية في الخطة بشيء من التفصيل، دون التطرق إلى تفاصيل المنهج.

المناقشة مع ذوي العلاقة:

أعني بـ"المناقشة مع ذوي العلاقة" التحدث مع من يعنيهم موضوع الدراسة، لاهتمامهم بالموضوع من قريب أو من بعيد، أو لعنايتهم بالموضوع بصفته معلومات نظرية أو معلومات ذات فائدة تطبيقية مباشرة أو مساندة لمجال اهتمامهم. وبعبارة أخرى، ليس شرطا أن تكون المناقشة مع خبراء في الموضوع، ولكن أن تكون مع أشخاص لهم عناية بالموضوع من أي زاوية، وإن كانت تقتصر على حب الجدل في أي موضوع يُطرح عليهم. وقد يُطلق على هذه العملية brainstorming أي استثارة الفكر أو الذهن.

وتفيد هذه العملية في اكتشاف زوايا، غير ظاهرة، سواء بالنسبة لتحديد مشكلة الدراسة وزواياها، أو في تحديد مدلولات المصطلحات، بدقة. كما تفيد بشكل واضح في مرحلة التحليل واستنتاج النتائج، مثل طريقة قراءة الأخبار أو الروايات التاريخية، في ضوء المدخل المختار لدراسة الموضوع.

مشكلة البحث وتحديدها:

يجب أن ندرك بأن المشكلة لا تصبح ملموسة بأيدينا إلا بعدد من الإجراءات. ومن هذه الإجراءات منح المشكلة عنوانا، يليق بها، وتحديد الدوافع التي جعلتنا نهتم بها، وبيان أبعادها وحدودها. (يراجع طرق التعرف على مشكلة البحث، والتأكد من صلاحيتها للبحث، في قواعد أساسية).

العنوان:

من المعروف أن العنوان لا يأتي من فراغ حتى في مرحلته الأولية، ومن الطبيعي

أن لا نبدأ في تحديد معالم الخطة أو عناصرها إلا بعد تحديد المشكلة والتأكد من كونها لا تزال مشكلة قائمة، وأن طريقة وصفها كافية.

ونظرًا لأهمية العنوان فإنه يُشترط فيه التالي:

١- أن يكون بسيطا، لا تعقيد فيه، وواضحا، لا غموض فيه.

مثل: "ما الأطراف الرئيسة في موقعة الجمل والأطراف الفرعية؟".

٢- أن يعبر بصدق عن موضوع البحث ومحتوياته، فلا يكون الموضوع مثلا "ماذا حصل بين الخلفاء الراشدين ومعارضيهم". فهو موضوع واسع.

٣- أن يكون شاملا لجوانب موضوع البحث كله. فلا يكون مثل: "ماذا فعل الخليفة الراشد الرابع في موقعة الجمل وصفين؟". فالموضوع ضيق لأن المواقع الحربية لا يصنعها طرف واحد...

٤- أن يكون مختصرا - دون إخلال بالشروط الأخرى - وتترك التفاصيل اللازمة لفقرة تحديد المشكلة.

وأما الجاذبية، وإن كانت من عوامل ترويج المؤلفات بين عامة القراء، فهي ليست من شروط عناوين الأبحاث العلمية.

الدوافع والأهداف:

وهو مطلب في الخطط المقدمة إلى جهات رسمية للحصول على الموافقة. ويشتمل هذا العنصر على الدوافع التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع بعينه، والأهداف التي ينشد الباحث تحقيقها من وراء البحث. ومن الطبيعي أن لا يختار الباحث الالتزام ببحث يكرهه، وفي الغالب يكون لديه ما يبرر قيامه بالبحث الذي يقدم خطة فيه. والمبررات لا تخلو - غالبا - من العناصر التالية أو بعضها والتي يجب أن يراعي الباحث الاختصار في الحديث عنها:

١- الهدف الذي يريد الباحث أن يحققه. وعليه أن يصوغه في أسلوب يفهم منه غير الباحثين وغير أصحاب الاختصاص هدف الباحث من دراسته المقترحة. ويتحقق ذلك بخلو عباراته من المصطلحات الخاصة.

٢- الدوافع الشخصية التي جعلته يهتم بالموضوع.

٣- الفائدة العملية المرجوة من البحث. ويذكر فيها الجهة أو الجهات التي يعنيها البحث، وكيف تكون استفادتهم منه أو يشير إلى الفوائد التي قد يجنيها المجتمع من تنفيذ البحث الذي يقترحه بصفة عامة. فهل هي للمتعة مع الحرص على رسم الصورة الواقعية أو القريبة من الواقع وفي حدود المادة العلمية المتوفرة والمراجع، أو أن الهدف هو الخروج بدروس للعبرة.

٤- الفائدة العلمية. كيف يتميز هذا البحث أو يختلف عن الجهود السابقة الموجودة في الموضوع أو التي هي قيد التنفيذ؟ وهذه الفقرة تتضمن توقعات الباحث للمساهمة التي يقدمها البحث في تنمية العلم وتقدمه في مجال تخصصه. وقد يتم الاستغناء عن هذه الفقرة بما يورده الباحث من معلومات عند استعراض الدراسات السابقة.

٥- الإشارة إلى ما يتوفر لدى الباحث من القدرات أو الخبرات أو الإمكانات الخاصة التي تجعله أهلا للقيام بالبحث المقترح.

٦- البرهنة على إمكان تنفيذ البحث من حيث الوقت ومن حيث الإمكانات المادية والفنية المتوفرة للباحث.

وكثيرا ما تندرج هذه المواد فيما يمكن تسميته بالمقدمة.

التحديد الجيد للمشكلة:

وأقول "المشكلة" بدلا من "الموضوع"، لأن المشكلة تعني الموضوع الذي لا يزال مشكلة قائمة تحتاج إلى البحث. أما الموضوع فكلمة عامة، وقد يكون الموضوع مستهلكا، ولا يحتاج إلى المزيد من البحث.

تقوم عملية تحديد المشكلة بتوضيح واقع الموضوع المراد بحثه، وأبعاده، وحدوده. مثلا، ما الذي سيدرسه الباحث؟ وما الذي لا يريد دراسته، رغم أن العنوان قد يوحي به؟

فعملية تحديد المشكلة هي تضييق حدود الموضوع، بحيث يكون مفصلا على ما يريد الباحث تنفيذه. ولتحديد المشكلة بدقة أهمية خاصة. فمثلا يريد الباحث معرفة سبب الصراع الدموي بين ثلاث من الفرق يقودها صحابة عظام، فيصف المشكلة بأنها البحث عن المخطئ من الصحابة، وذلك بدلا من تحديدها بأنها البحث عن سبب الخلاف، وعن المسؤّول عن الصراع الدموي. فهناك ضرورة إلى الدقة في تشخيص المسألة، بحيث يظهر لنا أن المشكلة تتكون من عناصر ظاهرة وخفية.

ونحن نحتاج إلى تحديد المشكلة، في الأبحاث الرسمية (ماجستير أو دكتوراه) ليكون حجم المشكلة متناسبا مع الوقت المحدد لإنجاز البحث، والإمكانات المادية، ودرجة سهولة أو صعوبة الحصول على المادة العلمية اللازمة، والوسائل المطلوبة. ونحتاج إلى ذلك ليكون حجم المشكلة متناسبا مع متطلبات البحث من منظور الجهة المجيزة له، والقيمة العلمية المتوقعة للبحث، أو نوع البحث وغير ذلك من القيود. (انظر قابلية البحث في الفصل السادس).

ويجب أن يدرك الباحث بأنه يصعب تحديد المشكلة، بشكل مقبول، ما لم يقم الباحث بقراءات وافية في مجال البحث. (انظر اختيار المشكلة في الفصل السادس).

وهذه القاعدة تنطبق على جميع العناصر الأخرى للخطة.

تحديد المشكلة من حيث المضمون:

تتم عملية تحديد المشكلة من حيث المضمون بطرق منها:

١- التحديد من حيث الحيز الزماني الذي سيغطيه البحث، والتحديد من حيث المكان الذي سيشمله البحث.

٢- التحديد من حيث المضمون الذي سيتم إدراجه في البحث، مثل جمع كل ما يتعلق بـ"صلح الحديبية". والتحديد من زاوية العناصر، مثل: الأحداث قبل الصلح، أثناء الصلح، نتائج الصلح.

٣- التحديد من حيث الهدف الرئيس للدراسة ومدخلها، مثل توفير مادة علمية تُعرِّف بشخصية أو شخصيات محددة، ذات أهمية، أو مجموعة من الناس عاشت في منطقة محددة، أو نظام حكم...، وذلك لعدم وجود شيء مكتوب عنها، أو أن المعلومات عنها متفرقة في مصادر مكتوبة متعددة أو مسجلة بإحدى وسائل الإعلام أو تظهر في عدد من أنواع المصادر التاريخية. ومثاله التحقق من مصداقية قصة أو مجموعة من القصص التاريخية. ومثاله التعرف على السمة الغالبة لشخصية هامة، مثل هارون الرشيد، للترجيح بين القصص المتعارضة التي تدور حوله. ومن الأهداف معرفة أي الجماعات المتصارعة أقرب إلى الصواب بتحديد مكوناتها الرئيسة، وآرائها أو قراراتها الرئيسة والمقارنة بينها. ثم التعرف على ما أسهم به كل طرف، في صناعة الحدث أو سلسلة الأحداث المترابطة. وقد يكون الهدف الرئيس استقراء مجموعة من الأحداث مترابطة للخروج بفرضية أو نظرية.

٤- التحديد ببيان المصادر التي يعتمدها الباحث في البحث وتلك التي يستبعدها. مثل: الجمع من الميدان، ولا سيما بالنسبة لمجموعة عاشت في منطقة محددة ولم يتم تدوين شيء عنها (كتابة أو بوسائل الإعلام الأخرى)، ومثاله تحديد المصادر الأقرب للحوادث موضوع الدراسة، ومثاله استبعاد المصادر المعلوم تحيزها لأن مؤلفيها من المشهورين بالتحيز، بالنسبة لموضوع الدراسة.

٥- التحديد باستبعاد بعض الفقرات التي يوحي بها العنوان. وقد توضع هذه الفقرة تحت عنوان فرعي يسمى "**قيود البحث**".

تحديد المشكلة من حيث الصياغة:

هناك صيغ ثلاث لتحديد المشكلة: صيغة الجمل الخبرية، وصيغة التساؤلات، وصيغة الفرضيات. وفي النادر تخضع المشاكل التاريخية لصيغة الفرضيات لأن التاريخ يسجل ما جرى في الوقع، ولكن قد يستخدم المؤرخ التحليل العاملي ليرجح بين رأيين متضادين، يسند كل منهما قصصا وروايات متعددة.

أ- صيغة الجمل الخبرية. مثال ذلك: "سيقوم الباحث بالتعرف على ما حصل بين عائشة أم المؤمنين وعلي بن أبي طالب الخليفة الرابع." ويستحسن في حالة التفصيل أن يكون التفصيل متسقا مع التفريعات الرئيسة لموضوعات البحث.

ب- صيغة الأسئلة أو التساؤلات مثل: "ماذا حصل بين عائشة أم المؤمنين وعلي بن أبي طالب؟" وفي هذه الحالة يستحسن تصنيف التساؤلات في فئات، يتم في ضوئها تحديد معالم البحث وحدوده وتفريعاته أو التقسيمات الرئيسة للقائمة الأولية لموضوعات البحث.

ويجب مراعاة توفر الشروط التالية في صياغة مشكلة البحث:

١- أن تكون جميع فقرات تحديد المشكلة مربوطة بفكرة محورية أو جوهرية، تتمثل في تساؤل رئيس أو جملة. مثل "ماذا حصل بين عائشة أم المؤمنين وعلي ابن أبي طالب؟ وبالتفصيل: موقف علي من تهمة عائشة في حياة النبي، موقفهما في استشهاد عثمان، ونقطة الاختلاف التي أسهمت في موقعة الجمل.

٢- أن تكون الفكرة المحورية امتدادًا لنتائج الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، وتربط فقرات الدراسات السابقة بشكل متسق ومنطقي.

ويمكن أن يضاف إلى الصيغتين السابقتين تأكيد الباحث بأن بحثه لن يشمل المقارنة بين مكانة عائشة وعلي عند النبي ﷺ. وهذه الإضافة قد تكون تحت عنوان مستقل يسمى: "قيود البحث".

استعراض الدراسات السابقة:

لقد نمت المعرفة وأسبابها، في عصرنا الراهن، نموا هائلا فأصبحت عملية استعراض الدراسات السابقة أو الجهود السابقة ضرورية لتقوم بمهام عديدة، ومن

هنا كانت الحاجة إلى وضع قواعد دقيقة لتحديد مكونات الاستعراض، وقواعد وافية لتحديد طريقة الاستعراض[١].

وما يرد هنا هو محاولة لبيان الفرق بين التمهيد والدراسات السابقة، ومهام الاستعراض ومكوناته في الدراسات المكتبية والميدانية، وطريقة الاستعراض.

التمهيد والاستعراض:

قد يخلط البعض بين المادة العلمية، التي تندرج ضمن عنصر الدراسات السابقة، وبين تلك المواد العامة التي يمكن جعلها في التمهيد.

والقاعدة العامة في الفصل بين الدراسات السابقة والتمهيد هي درجة التصاق الدراسة السابقة بموضوع البحث. يضاف إلى ذلك أن الأمر نسبي. فقد نجد دراسات سابقة وثيقة الصلة فلا نحتاج إلى تجاوزها، وقد لا نجد الكفاية فنتجاوزها إلى الأقل التصاقا، ولكن في حدود مقبولة. وقد تكون مساهمات علمية وقد لا تكون، ولهذا يفضل تسميتها بالجهود السابقة. ومما يستحق الذكر أن البعض يسميها أدبيات الموضوع، وذلك ترجمة للكلمة الإنقليزية الشائعة Literature review.

وعموما يمكن التمييز بين ما يندرج في التمهيد وما يندرج في الدراسات السابقة بالخطوات التالية:

١- حصر العناصر التي يتكون منها البحث، في ضوء عنوان البحث أو في ضوء فقرة تحديد مشكلته. ثم تحديد العنصر الذي يمثل نقطة الارتكاز في الدراسة.

٢- النظر في الدراسات السابقة واحدة بعد الأخرى لمعرفة نسبة وجود هذه العناصر في كل دراسة سابقة. هل تتوفر في عناوينها أو عناوين موضوعاتها الرئيسة والفرعية جميع العناصر، أو نسبة سبعين في المائة أو خمسين وأقل... ومن بينها العنصر الذي يمثل نقطة الارتكاز؟

---

(١) إضافة إلى الأبحاث المنشورة في الدوريات المتخصصة انظر Selltiz et. al. 1976 pp. 47 – 74؛ العساف، المدخل ص٥٥ – ٨٤.

ومثال ذلك، لو كان موضوعنا هو: "غزوة بدر"، سنجد أنفسنا أمام ثلاثة عناصر رئيسة هي: من قام بالغزوة، وضد من، ولماذا؟ وبهذا، إذا توفر عنصر واحد منها فيندرج بالتأكيد في التمهيد، وأما إذا توفر عنصران فقد يقبل التصنيفين، اعتمادا على طريقة تناول الموضوع ودرجة وفرة الجهود السابقة، وأما إذا توفرت فيه العناصر الثلاث فمن المؤكد أنه يندرج في الجهود السابقة.

مهام الاستعراض:

تؤدي عملية استعراض الدراسات السابقة عددا من المهام بالنسبة للباحث أثناء تنفيذه لعملية الاستعراض، وللقارئ عند قراءته ما كتبه الباحث حول الدراسات السابقة. وعموما يمكن حصر هذه المهام فيما يلي:[1]

١- التأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور بها من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو مزيدا من الجهود البحثية. فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون، يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في حاجة إلى البحث للإضافة أو للتعديل. وهذا بالتالي يؤدي إلى البرهنة على أهمية البحث المقترح وجدوى تنفيذه.

٢- بيان موقع البحث المقترح من الجهود السابقة في مجال البحث، وإيضاح نوع المساهمة التي تقدمها الدراسة المقترحة في هذا المجال. فهناك ضرورة لتحقيق مبدأ تراكمية المعرفة في التخصص المحدد رغم اختلاف المصادر التي تسهم بالبحث فيه وتعددها.

٣- المساهمة في توضيح أبعاد مشكلة البحث، والتنبيه على العقبات التي قد تعترض عملية البحث.

٤- تزويد الباحث بأفكار كاملة أو جزئية عن المنهج المناسب لإجراء دراسته، أو تنبيه الباحث إلى ما يوجد في مناهج الدراسات السابقة من الإيجابيات ليستفيد

(١) دالين ص١٥٢ - ١٥٣.

منها، وتحذيره من سلبياتها ليتجنبها. وقد تزود الدراسات السابقة الباحث بفقرات من منهج البحث مثل: قواعد التحقيق ذات العلاقة، أو التقسيمات الرئيسة لموضوعات البحث. وهي إن لم تزوده ببعض هذه الوسائل فقد تزوده بأفكار لتصميم ما يناسب بحثه من الوسائل.

٥- تنبيه الباحث إلى مصادر علمية قد لا يعرفها، أثبتتها الدراسات السابقة في قوائم مراجعها.

٦- تعريف الباحث بطبيعة المادة العلمية الموجودة، مثل: كون المادة العلمية متيسرة أو صعبة المنال، وكونها معقدة أو غير معقدة...

٧- تزويد الباحث بالأساس الذي يبني عليه دراسته، مع ملاحظة الفرق بين التمهيد والدراسات السابقة، في هذا المضمار.

٨- تزويد الباحث بخلفية يناقش الباحث في ضوئها نتائج بحثه.

مكونات الاستعراض:

تشمل الدراسات السابقة كل الدراسات المتصلة بالموضوع، مما تم نشره بأي شكل من الأشكال، بشرط أن تكون مساهمة ذات قيمة علمية. وقد يكون النشر بالطباعة أو بالمحاضرات أو الأحاديث المذاعة صوتا فقط، أو صوتا وصورة. وقد تكون الدراسة مقدمة إلى مؤسسة علمية للحصول على درجة علمية أو على مقابل مادي أو لمجرد الرغبة في المساهمة العلمية. وفي رأيي الشخصي أن المنشورة في الإنترنيت لا تندرج إلا إذا كانت لها أصول مسجلة أو مطبوعة يمكن الرجوع إليها للتأكد.

وقد يقيد البعض هذه الدراسات باشتراط كونها أبحاثا علمية. فلا يندرج فيها ما يُعد كتبا دراسية أو مداخل لا تأصيل فيها، أي مجرد تجميع لمعلومات سانحة؛ وهو الصواب. ولكن هذا الشرط يصعب توفيره في بعض المجالات لمن لا يعرف اللغة التي يزدهر بها ذلك المجال من مجالات المعرفة العلمية. كما يصعب عندما تندر الأبحاث الجادة العلمية، وعندما يختلط الغث بالسمين، وتنعدم عند الباحث، القدرة

أو الرغبة في التمييز بينها. والمسألة، عموما، متروكة لتقدير اللجنة التي تجيز الخطة وتقرير البحث في ضوء درجة جدية البحث والظروف التي يتم فيها تنفيذه، إذا كان بحثا له مقابل، تدفعه جهة رسمية، مثل شهادة أو مبلغ مالي.

وتختلف مكونات الدراسات السابقة باختلاف طبيعة مشكلة البحث ومنهج البحث، ولا سيما طريقة جمع المادة العلمية أو طبيعتها. فالدراسة التي يجمع فيها الباحث مادته العلمية عن طريق الملاحظة والتجربة ومن الميدان أو ما يشابهها من مواد خام، لا تزال في صيغتها قبل التحليل (المعالجة) تختلف عن الدراسة التي يجمع الباحث فيها مادته العلمية من المكتبات. فالمادة العلمية في النوع الأخير هي غالبا نتائج دراسات الآخرين. (انظر فصل صلب البحث).

ويمكن تقسيم الدراسات بصورة عامة إلى دراسات ميدانية أو معملية، وأخرى مكتبية، وتقع الأبحاث التاريخية بين الاثنين، وإن كان يغلب على معظمها أنها مكتبية. فالميدانية تعتمد في مادتها العلمية على ما يتم جمعه من الميدان، مثل جمع القصص من الأحياء كشهود أو رواة، وزيارة المواقع التي تتوفر فيها الآثار، وربما بذل الجهد للتنقيب عنها. أما المكتبية فتعتمد على ما في المكتبات. وتتميز هذه المعلومات بأنها غالبا ما تأخذ صيغة النتائج النهائية لدراسات قام بها الآخرون أو الكاتب نفسه وربما أنها آراء حول نتائج بعض الدراسات السابقة. وقد تكون هذه النتائج متناثرة في مصادر عديدة تحتاج إلى تجميع أو هي قابلة للمزيد من الاستنتاجات من زوايا مختلفة، لتخدم أغراضا أخرى للباحث.

وقد يكون من المادة العلمية لهذه الدراسات القصص والروايات التاريخية حول بعض الشخصيات أو الأحداث أو الجماعات... وربما كانت هذه النصوص في صيغة المادة الخام، ولكن تحتاج إلى استنتاجات للوقوع على ما حدث. فهي نفسها غالبا ما تكون نتائج تحليلات قام بها الباحثون. ولهذا لا يستطيع الباحث في هذا النوع من الدراسات فصل جهوده كليا أو شبه كلي عن جهود الآخرين، الذين تناولوا النصوص نفسها بالدراسة. وإن هو فعل ذلك فجعلها مستقلة تماما فإن دراسته ستكون ناقصة، وتكون مصابة بخلل منهجي كبير.

ولهذا، يراعى عند استعراض الدراسات السابقة في مثل هذه الأبحاث، التي لا يمكن فيها الفصل الكامل بين مساهمات الباحث ومن سبقوه ما يلي:

١- الاقتصار على الدراسات البارزة، ذات العلاقة المباشرة بالموضوع. وقد سبق الحديث عن معيار التفريق بين الجهود السابقة والتمهيد، أما معيار البروز فيتمثل في كون الدراسة السابقة أفردت الموضوع بعمل مستقل، ثم التي أفردت له فصلا، ثم تلك التي أفردت له مبحثا مستقلا، أو مطلبا أو فقرة... ويلاحظ أن درجة العلاقة والبروز نسبية، وهي تُترك لتقدير الباحث واللجنة التي تجيز الخطة. أما الروايات المتعارضة والقصص التفصيلية حول الأحداث فهي تندرج ضمن المادة العلمية التي سوف يؤلف منها الباحث صلب بحثه، ويبني عليها نتائج دراسته بشكل رئيس. فمساهمة الباحث تظهر في المجهود الذي يلم به شعث مادة متفرقة أو متناثرة في مراجع عديدة، أو تحقيق مصداقية أو توضيح قضية غامضة، أو مناقشتها، أو استنتاج معلومات جديدة. فالمعيار في جدارة الموضوع للبحث هو درجة الحاجة إلى مجهود ملحوظ يبذله الباحث للتنقيب عن المعلومات المباشرة أو غير المباشرة المتفرقة في طيات الأعمال المنشورة، للخروج بعمل يصور ما حدث بطريقة أقرب إلى الواقع. فقد يستخدم تصنيفا جديدا وترتيبا يسهم في رسم الحدث أو الشخصية بطريقة تزيد من مصداقية الصورة. وقد يقوم بإعادة الدراسة لموضوع قديم بمادته العلمية القديمة، ولكن بمنهج جديد أو معلومات إضافية ليزيد من مصداقية النتائج المبنية على المادة العلمية القديمة أو ليكشف عن ضعفها أو فسادها. (انظر معيار الأصالة في فصل تقويم الأبحاث العلمية).

٢- قد تكون المعلومات وثيقة الصلة بمشكلة البحث غزيرة فيتم الاقتصار عليها في الاستعراض، ولا حاجة إلى المعلومات أو الدراسات من الدرجة الثانية، من حيث الصلة. وما يستبعده الباحث عند الاستعراض كما سبقت الإشارة يمكن إدراجه ضمن المادة العلمية التي يستعين بها الباحث في بناء بحثه. ويلاحظ أن المعلومات التي هي درجة ثانية، من حيث الصلة، يمكن إدراجها أحيانا ضمن

التمهيد أيضا، كما سبق بيانه. فالتمهيد ليس من صلب البحث. (انظر فصل مكملات البحث).

٣- الاقتصار على ملخصات الدراسات السابقة، سواء أكان المبرر للبحث المقترح هو وجود جوانب غامضة في الصورة المرسومة للحدث أو الشخصية، أو وجود شكوك في المصداقية، أو وجود تعارض في الروايات. أما المعلومات التفصيلية الواردة فيها فسيكون مكانها الطبيعي في صلب البحث. وكذلك الأمر بالنسبة للنقاش التفصيلي لما ورد فيها.

٤- وقد يكون البحث أصلا حول القصور في مناهج الدراسات السابقة فيتم الاقتصار في الاستعراض على ما ورد من تعليقات منهجية أو على خلاصات لأبرزها. ويورد النماذج التفصيلية ومناقشتها في صلب البحث. ومثال الخطأ في المنهج هو افتراض أن القائد السياسي، مثلا يمثل جميع الذين يسيرون تحت رايته، وهم يمثلونه.

وهناك حقيقة قد لا تغيب عن البال وهي أن بعض الدراسات المكتبية هي، في واقعها، ليست إلا عملية تجميع واستعراض للروايات المتناثرة في أبحاث عديدة. فهي عملية تجميع وتصنيف وترتيب للأصناف التي يصل إليها الباحث، لاستنتاج بعض الصور المتكاملة للحدث أو للشخصية. وقد يتخللها شيء من الاستنتاج وليس بالضرورة. وهذه الحقيقة لا تقلل من شأن هذه الدراسات التي قد تتطلب مجهودا كبيرا ووقتا طويلا يفوق ما تحتاجه بعض الدراسات الاستنتاجية المماثلة.

وقد تنعدم الجهود السابقة التي تتناول المشكلة نفسها أو المماثلة لها، في ظل المعايير التي تم وضعها سابقا. والانعدام أمر نسبي. وهنا قد يضطر الباحث إلى استعراض المتوفر من المعلومات حول موضوعه، وإن كانت العلاقة ضعيفة.

الطريقة الشائعة للاستعراض:

نظن - أحيانا - بأن عملية استعراض الدراسات السابقة لا تحتاج إلى مهارة ابتكارية خاصة. ونظن أنها مجرد عملية سرد تاريخي أو عشوائي لنتائج الدراسات

السابقة المنتقاة أو كلها، مع مناهجها ملخصة. والحقيقة أن عملية الاستعراض في ذاتها عملية ابتكارية. وهي لا تختلف عن الأبحاث التجميعية المكتبية، إلا من حيث اقتصارها على المعلومات وثيقة الصلة والبارزة منها، ومن حيث اختصارها الشديد.

ونظن - أحيانا - بأن المقصود من الاستعراض -في جميع الأبحاث- هو تقديم ملخصات لمناهج الدراسات السابقة ونتائجها أو نتائجها فقط، كل واحدة منها بطريقة مستقلة. فيشبه جهد الباحث جهد ناشر الغسيل على الحبل، أي نقوم، بسبب هذا الفهم الخاطئ، بعملية سرد للدراسات السابقة واحدة تلو الأخرى. وقد نضع لكل دراسة عنوانا مستقلا، وكأننا نُعد ببليوقرافيا (قوائم بالمراجع المتصلة بموضوع البحث) مصحوبة بمستخلصات. وهذا خطأ لأسباب منها:

١- من يريد إصدار حكم على دراسة سابقة، وبعضها تتجاوز مئات الصفحات، لا بد له من قراءتها قراءة متأنية، وحسب منهج تقويمي محدد، فلعله يخرج برأي يكون قريبا من الصواب، تبرأ به ذمته. أما أن يتصفح الباحث قائمة المحتويات فيقرأ العناوين وربما يتصفح بعض المضمونات بسرعة فيخرج بانطباع. ثم يكتب هذا الانطباع على أنه تقويم للدراسة التي أوردها. فهذا إجحاف بحقوق الجهود السابقة. وبخاصة إذا كانت المسألة تتعلق بنفي وجود شيء عن الموضوع في الدراسة السابقة أو تتعلق بتحديد مستوى مساهمتها.

٢- مركز الاهتمام في طريقة الاستعراض ليس هو من الذي كتب؟ وماذا قالت كل دراسة بشكل مستقل؟ وفي أي كتاب؟ ولكن **مركز الاهتمام هو ماذا قالت أو ذكرت تلك الدراسات السابقة البارزة مجتمعة حول نقطة من نقاط البحث المقترح**؟ وكيف كتبت عن الموضوع؟ وأحيانا كم عدد الذين كتبوا في الموضوع؟ وهل آراؤهم متفقة أم مختلفة أم متعارضة، وإلى أي درجة؟ وما التوجه العام أو سمتها البارزة؟ ثم هل عالجت هذه الكتابات مجتمعة جميع عناصر المشكلة بشكل لا يترك مجالا لدراسة أخرى في الموضوع؟ أم أنها عالجتها بشيء من القصور أو عالجت بعض عناصرها فقط بصورة وافية؟ أم أنها

عالجت جميع العناصر، ولكن بصورة ضعيفة وبمناهج مهلهلة أدت إلى نتائج خاطئة.

والأصل أن الجهود السابقة تحتاج إلى تحليل (حصر الجزئيات، وتصنيفها وترتيب أصنافها) بحيث تصب بشكل متسق في النقطة التي يريد الباحث الابتداء منها.

الطريقة الصحيحة للاستعراض:

للأسباب الموضحة سالفة الذكر، التي تؤكد أهمية الدراسات السابقة، وأهمية الطريقة المناسبة للاستعراض فإننا نحتاج لإنجاز هذه المهمة الإبداعية إلى اتباع الخطوات التالية:

١- حصر الدراسات السابقة جميعها التي تغطي الحدث أو الشخصية التاريخية. وهذا يمكن أن يتم باستخدام البطاقات المستقلة بكل جزئية من المادة العلمية أو استخدام وثائق وملفات الحاسب الآلي. (انظر نظام البطاقات في الفصل السادس.)

٢- وضع تصور للتقسيمات الرئيسة outline لفقرات عنصر الدراسات السابقة ومضموناتها كلها، بحيث يضمن استعراضها موضوعا بعد موضوع، عبر الدراسات السابقة كلها. وبعبارة أخرى، لا نستعرض كاتبا بعد كاتب أو دراسة بعد دراسة، عبر الموضوعات الرئيسة كلها التي تتضمنها الدراسات السابقة. (انظر فصل عرض النتائج والبحيثات المكتبية في فصل البحيثات التدريبية.) ويلاحظ عدم بناء التقسيم الرئيس على طريقة تناول تلك المصادر للموضوع المقترح دراسته. ومثاله قولنا: "*المجموعة الأولى تناولت الموضوع بصورة مقتضبة، والمجموعة الأخرى تناولته بصورة مستفيضة ولكنها ناقصة...*" ثم استعراض أعمال كل مجموعة واحدة بعد الأخرى. فهذا التقسيم قد يكون مناسبا داخل التقسيم الموضوعي، الفرعي أو إذا كان الهدف الرئيس للدراسة المقترحة هو مناقشة النقاط المنهجية في الدراسات السابقة. أما إذا كان الهدف

الرئيس هو الحديث عن المضمونات فإن الاستعراض يجب أن يكون مبنيا على الموضوعات المختلفة وتقسيماتها الفرعية. (انظر فصل تصميم منهج البحث).

وفي بعض الحالات قد يضطر الباحث إلى ترتيب الفقرات حسب المؤلفين، لانفراد كل منهم أو بعضهم بنقاط أو معلومات، لا تجتمع تحت موضوع واحد. ولكن لا ينبغي أن تكون هذه الطريقة هي القاعدة. وقد يضطر الباحث إلى ذلك لوقوع جميع الدراسات السابقة ضمن تقسيم (موضوع) رئيس واحد. وحتى في هذه الحالات فإن الباحث لا بد أن يوضح أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين هذه الدراسات. ويتم عادة استعراضها حسب التسلسل التاريخي لنشرها أو إعدادها. ويتم ترتيب البطاقات أو الملفات التي تحمل المادة العلمية (النصوص والاقتباسات الأخرى) في ضوء هذا التقسيم.

٣- قد يضطر الباحث إلى تعديل التقسيمات الرئيسة للموضوعات -أحيانا- أثناء الاستعراض. ومع هذا فإن على الباحث وضع تصور سابق لهذه التقسيمات. فوجود مثل هذا التقسيم الرئيس الذي يصنف العناصر الدقيقة أو جزئيات البحث يضمن تسلسل الأفكار وتراكمها بطريقة تقود منطقيا إلى البحث المقترح. كما ييسر تنظيم البطاقات أو الملفات التي تحمل المادة العلمية، وإعادة تنظيمها[١].

٤- قراءة الدراسات السابقة المختارة أو الأجزاء ذات العلاقة بدقة تمكن الباحث من استيعاب منهجها ونتائجها. وهذا الاستيعاب يجب أن يكون إلى درجة تجيز للباحث بيان وجه النقص فيها. فلا ينبغي للباحث أن يقرأ قراءة ناقل، إذ عليه أن يقرأ قراءة ناقد، تظهر معها شخصيته المستقلة وخلفيته المعرفية المتعمقة في موضوع البحث[٢].

---

(١) شلبي ص٤٩ - ٥٠، ٧٩ - ٨٣.

(٢) شلبي ص٦٨ - ٧٤.

٥- مناقشة ما يتصل بكل موضوع بشكل مستقل، عبر الكتابات المختلفة، وجمع جوانب القصور المتماثلة، عبر الدراسات المختلفة، ومناقشتها دفعة واحدة. وذلك بدلا من مناقشة فقرات القصور في كل دراسة على انفراد. فالطريقة المقترحة تجُنِب الباحث تكرار المناقشة الواحدة وأدلتها للفقرات المتماثلة التي ترد في مواقع متفرقة، أو تجنبه الاضطرار إلى تكرار الإشارة إلى المناقشة الأولى، أو تجنبه التعارض بين أقواله، دون انتباه. وإضافة إلى ما سبق فإن التكرار قد يشتت انتباه القارئ ويشوش عليه أفكاره.

ويضاف إلى كل ما سبق أن مناقشة كل فقرة وحدها، بدلا من مناقشتها مع مثيلاتها دفعة واحدة، دليل على عجز الباحث عن التحليل وعدم الاستيعاب الكافي لما ورد في الدراسات السابقة. فالاستيعاب الكافي والقدرة على التحليل عنصران أساسيان لأي دراسة علمية واستعراض علمي. ولهذا يجب أن يتوفرا في أي باحث علمي. ويلاحظ أن القصور قد يكون في المنهج أو في المضمون. وقد يكون القصور محدودا، يتعلق بمسائل فرعية، وقد يكون القصور شاملا، يتعلق بمسائل جوهرية. فليس المقصود من الاستعراض هو تحديد موقع البحث المقترح من كل دراسة على انفراد، ولكن من الدراسات السابقة مجتمعة. فقول الباحث الدراسة الأولى ورد فيها كذا ودراستي تهدف إلى كذا والدراسة الثانية لم توفِّ الموضوع حقه، فيه تجنٍ على كتابات الآخرين. فربما أن الدراسة المذكورة لم توفِّ بعض النقاط حقها؛ وهذا مبرر كاف لتنفيذ البحث المقترح. ولكن ربما عالجت نقاطا أخرى بشكل واف، وليس في إمكان الباحث أن يأتي بأحسن منه. وهذه إيجابية يجب أن يثبتها الباحث للدراسة السابقة؛ ولا يقلل هذا الإثبات من شأن الدراسة المقترحة.

فالمطلوب إذن هو أن يبرهن الباحث بما يستعرضه بأن الجهود السابقة في مجموعها لا توصد الباب أمام البحث المقترح، وأن الدراسة المقترحة ستضيف شيئا إلى الموضوع. والإضافة قد تأخذ هيئة معلومات جديدة، أو أسلوبا جديدا له ميزاته، أو تأكيدًا لنتائج سابقة، علاجا لنقض أو تعديلا.

٦- لا يورد الباحث عند الاستعراض نصوصها، ولكن يختصر أبرز نقاطها دون تشويه لها أو طمس لمعالمها. أما إذا كان كل ما ورد في الدراسات السابقة إشارات قصيرة، فالأفضل إيرادها كما هي.

٧- لا يتعرض الباحث لمضمونات المراجع ذات العلاقة، وإنما يقتصر على ما له صلة وثيقة بمشكلة بحثه. فقد لا يهم الباحث من كتاب يتألف من عشرة مجلدات سوى فصول أو مباحث محدودة، ذات صلة وثيقة بموضوع بحثه. فهو يستعرض هذه الجزئية، ويناقشها هي فقط إذا لزم الأمر. ولا علاقة له بالأجزاء الأخرى، فلا يذكرها، لا بخير ولا بشر. ولا يقول مثلا: "ومع الاحترام والتقدير لابن تيمية فإنه لم يتعرض للموضوع في فتاواه (أكثر من ثلاثين مجلدا) إلا بشكل متناثر". فهذا القول يقتضي من الباحث قراءة المجلدات كلها، قراءة دقيقة؛ ولا يكفي معها تصفح قائمة محتوياتها.

والأصل أن يورد الباحث ما أورده ابن تيمية موثقا مما له صلة بموضوع بحثه، بدلا من إصدار حكم على مجلدات لم يقرأها قراءة كافية أولم يقرأها كلية، وإنما اطلع على قائمة محتوياتها فقط.

ومن المفروض أن يتجنب إصدار أحكام بالنقص أو القصور دون تقديم الدليل على تلك الدعوى. ومن الأخطاء الشائعة أن يقول الباحث "لقد كتب فلان في الموضوع ولكن لم يوفه حقه..." وهو يتحدث عن كتاب ضخم مثلا، ربما لم يطلع على عناوينه الفرعية اطلاعا كافيا. فالأفضل أن يسوق الأدلة فقط، وإذا لزم التعليق فلا بد أن يسند تعليقه هذا بأدلة تسبقه. فيقول مثلا: "*قال فلان كذا وكذا ... ويلاحظ أن هذا القول لا يشمل بعض الجوانب مثل...*".

ومن المفروض تجنب بدء الاستعراض بقول الباحث: "**لم أجد أحدا كتب في الموضوع...**".

فالأصل أن يقدم الباحث مساهمات الآخرين في الموضوع ملخصة أو كما هي. ويترك للقارئ فرصة المقارنة بين مساهمات الدراسات السابقة وحدود المشكلة المقترحة ليستنتج لنفسه وجه القصور في تلك الدراسات. ثم يقدر بنفسه درجة

الحاجة إلى البحث المقترح، لاستكمال النقص أو لمعالجة السلبيات. ولا بأس في أن ينبه الباحث القارئ إلى وجه القصور بعد تقديم الدليل.

أما إذا لم يجد موادًا علمية وثيقة الصلة فيشير إلى التي تليها، من حيث درجة الصلة ثم له أن يختتم ذلك بقوله: "*هذا ما وجدت في الموضوع بعد بذل الجهد*" *بدلا من القول* "*ليس هناك سوى هذا في الموضوع*".

وبعبارة أخرى، على الباحث أن يتجنب صيغة النفي قدر الإمكان. فلا يستخدم عبارات مثل: "*ليس هناك*" أو "*لا يوجد*" أو "*لم أجد*". ولكن بدلا من ذلك يقول: "*وجدت كذا وكذا*" و"*كتب فلان كذا وكذا عن الموضوع*". فلا يحمل نفسه مسؤولية النفي ابتداء. فالنفي من أصعب الأمور. فقد ينفي الإنسان وجود شخص بعينه في مبنى محدد لأنه - في أحسن الأحوال - نظر في غرفه كلها واحدة بعد الأخرى. ولكن لعل الشخص كان في غرفة لم ينظر فيها بعد، ثم دخل غرفة بعد أن نظر فيها، دون أن يراه الباحث.

ومن المعلوم أن عملية الاستعراض لا تتم بصورة مقبولة إلا بالتحليل. وهذا يعني حصر المعلومات المتناثرة في المراجع المختلفة. والحصر هنا عملية نسبية تختلف باختلاف الموضوعات. (انظر مكونات الاستعراض في هذا الفصل).

وتختلف كمية المستعرض من الدراسات السابقة باختلاف اللجان المجيزة للخطة. فقد تجيز اللجنة الخطة باستعراض الباحث للنماذج البارزة واستكمال الاستعراض عند كتابة تقرير البحث. وقد تطالبه بالاستعراض النهائي في الخطة.

لهذا قد يكون الحصر نهائيا عند إعداد الخطة أحيانا ولا يكون نهائيا في حالات أخرى.

والتحليل يعني أيضا تصنيف المعلومات المختلفة حسب التقسيمات الرئيسة للموضوعات التي أعدها الباحث من قبل، لموضوعات بحثه، والتي تمثل العناصر الرئيسة لموضوع البحث.

والتحليل يعني - أيضا - ترتيب وتنظيم هذه الأصناف أو المعلومات بطريقة تقود القارئ، تلقائيا، إلى النقطة التي سيبدأ الباحث دراسته منها. (انظر فصل تصميم

منهج البحث للتحليل). ويلاحظ أن نتائج بعض الدراسات المستعرضة مرجوحة النتائج، وذلك لفساد في مناهجها أو لضعفها، مقارنة بمناهج دراسات أخرى أقوى منها. وفي هذه الحالة فإن نتائج هذه الدراسات تثبت عند الاستعراض ويبين وجه ضعفها، ثم تستبعد عند رسم السمة العامة للدراسات السابقة. وهذه العملية ذات أهمية بخاصة في حالة الحاجة إلى اقتراح فرضية، تكون بمثابة الإطار النظري أو الفكري للبحث المقترح. ومع أن نتائج تلك الدراسات المرجوحة لا تحسب في رسم السمة العامة فإنه لا يجوز إغفالها، بل يجب استعراضها وبيان وهن مناهجها، أو سبب عدم الأخذ بنتائجها.

ومن الضروري وجود فكرة محورية تتسق مع مشكلة الدراسة، لتدور حولها النقاط أو المعلومات المختلفة المأخوذة من الدراسات السابقة.

الطريقة المقترحة والسلف:

لقد استعمل السلف عملية استعراض الدراسات السابقة، في صورتين: الإشارة في مقدمة الكتاب إلى المؤلفات التي سبقت جهودهم في الكتابة في الموضوع الذي يؤلفون فيه، وذلك في معرض الحديث عن الدوافع[1]. وعرفوه بصورة أخرى في الكتابات الفقهية بصفة خاصة، حيث يعرض الفقيه آراء بعض السابقين في المسألة الواحدة ويناقشها وأدلتها، ثم يتبع ذلك برأيه وما يرجحه هو.

ويلاحظ أن ممارستهم لعملية الاستعراض في مقدمة الكتاب كانت متفقة مع حدود المجالات النظرية التي كتبوا فيها، وفي حدود ما عرفوه في ذلك الوقت من أساليب البحث العلمي، وفي حدود المصادر المحدودة التي توفرت لديهم، والظروف العامة التي كتبوا فيها. ولذا جاء الاستعراض في مؤلفاتهم بشكل مختصر ليؤدي وظيفة محددة هي إثبات جدوى التأليف في الموضوع أو الموضوعات التي يتناولها الكتاب.

---

(١) انظر مثلا السيوطي، مقدمة الإتقان.

وبهذا نلاحظ أن الطريقة المقترحة للاستعراض ليست بدعة جديدة. فقد استخدمها علماء الفقه من قرون عديدة ولا يزالون يستخدمونها. فعلماء الفقه عند دراستهم موضوعا مثل الصلاة، فإنهم يقسمونه إلى فقرات مستقلة حسب الموضوعات الفرعية وليس حسب الفقهاء والمؤلفات. فيستعرضون كل مسألة على حدة، عبر الأقوال المختلفة مع أدلتها، ثم يركزون على مناقشة أدلة كل قول أو كل مجموعة من الأقوال متفقة بعضها مع بعض، ثم يقومون بعملية الترجيح.

والفرق بين ممارسة الفقهاء والطريقة الحديثة، في مقدمة البحث أننا لا نناقش الأدلة عند استعراض الدراسات السابقة إلا لوجود وهن ظاهر. والفرق الآخر هو أن الفقهاء يضعون اسم صاحب القول ضمن النص، ونحن نحرص على التوثيق الكامل في الحاشية، أو موزعة بين الحاشية وقائمة المراجع. (انظر فصل التوثيق).

وصف منهج البحث:

لقد أصبحت عملية وضع قواعد وخطط دقيقة مسبقا للعمل المقترح تنفيذه يُعدُّ ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها.

لقد اعتنى علماء المسلمين بالقواعد العامة للبحث العلمي، في المجالات الأساسية. فكانت نتيجة هذه العناية ثلاثة مناهج: منهج البحث التاريخي لما أصله الوحي (أصول الحديث)، منهج البحث الوصفي التفسيري (أصول التفسير) ومنهج البحث الاستنباطي (أصول الفقه).

وغلب على بعض كتابات الأقدمين العناية بالقواعد العامة للبحث العلمي، في أسلوب الكتابة، مع شيء من التقصير في بعض الجوانب كالتوثيق. ويعود ذلك إلى أسباب منها عدم وجود دور نشر، ومطابع تسهم في توفير الكتب على النطاق الواسع الذي نشهده اليوم، ولاعتماد التعليم على الرواية في معظم الأحوال وما ينسخه الطلبة المجدون بأيديهم.

وخلاصة القول هو أن السلف لم يهملوا مناهج البحث كلية؛ بل أسهموا في تنميتها بما هو جدير بالتقدير. أما إذا كانوا لا يعرفون الأساليب الحديثة في بعض

مجالات البحث لأسباب تم ذكرها فعلينا نحن الخلف مواكبة الظروف الراهنة وحمل مشعل المعرفة في عصرنا، بتعلم الجديد وتنقيته وتطويره.

إن مجرد قول الباحث أني اعتمدت على المنهج الاستقرائي أو الاستنباطي لا يفيد إلا أن يفيد قولك: "**اعتمدت في معلوماتي على زيد**" وهناك العشرات ممن يُدعون زيدًا، وبعضهم له أكثر من اسم. فلا بد من ذكر الخطوات الرئيسة التي سيستخدمها الباحث للوصول إلى نتيجة البحث.

العناصر الأساسية للمنهج:

بصفة عامة، تشتمل خطة البحث على عناصر: تحديد الموضوع المراد بحثه، واستعراض الجهود السابقة للمؤرخين، والإشارة إلى أبرز المراجع التي سيعتمد عليها في بحثه والطريقة التي سيجمع بها مادته العلمية، وتوضيح أبرز الطرق التي سيستخدمها في تحليل المادة العلمية، وطريقة عرض فقرات البحث وعناصره بعد تنفيذه، أي التقرير الذي يشمل الخطة والنتائج. وعموما يجب على الباحث النظر في المناهج التي سيعتمد عليها في دراسته، في مراجعها الخاصة، أي المصادر الأصلية أو المفصلة لمكوناتها[1].

جمع المادة العلمية:

وتشتمل هذه الفقرة على التالي:

١- تحديد مصادر المادة العلمية بدقة بحيث لا يختلف عليها اثنان، تحديد المصادر الأساسية، وبعض المصادر الثانوية. فمن المصادر الأساسية في التاريخ القرآن والسنة الموثقة، والمقابلات والآثار ومنها الوثائق، والمراجع الأقرب إلى تاريخ وقوع الحادثة. ومصادر ثانوية مثل كتب التاريخ التي نقلت عن تلك المراجع واعتمدت عليها.

ويلاحظ أن كون المصدر ثانوي أمر نسبي، والحقائق الثانوية ليست قليلة الفائدة. فالدراسة التي تريد جمع معلومات غير مسجلة بوسائل الإعلام تحتاج

(١) انظر العساف، المدخل ص١٦٧ - ٣٣٣ والقوائم الببليوقرافية الخاصة بكل منهج.

إلى الجمع من الميدان، ممن عاصروا بعض الأحداث ذات العلاقة أو ممن توارثوها، لأنها أخبار أسلافهم، أو لأنهم من المهتمين بتلك الأخبار. وتعتبر بعض الإشارات التي وردت عرضا في بعض الكتابات عن علاقة هذه المجموعة بالمجموعة التي كتب عنها مصادر ثانوية ذات قيمة. ومثاله في حالة اعتبار المصادر الأقرب للحدث أو الأحداث أساسية، يمكن اعتبار المؤلفات التي جاءت بعدها مصادر ثانوية. فقد تتضمن إضافات لم ترد في المصادر الأساسية، بصفتها معلومات مكملة، أو تنبيهات إلى أهمية قصص موجودة في المصادر الأساسية.

٢- تحديد أماكن وجود هذه المصادر أو عناوينها مثل المكتبات، أو المؤسسات الحكومية أو الخاصة، إذا كانت مصادر نادرة، أو مواقع إلكترونية.

٣- تجميع الروايات ذات العلاقة بالحادثة المحددة أو الشخصية، وخاصة المختلفة والمتعارضة.

تحليل المادة العلمية:

قد يعتبر البعض عملية التحليل في الأبحاث العلمية عملية إضافية، ولكن كما سبق البيان فإن التحليل جزء أساس في جميع الدراسات العلمية. وفيما يلي بيان المقصود بالتحليل وما ينبغي أن يندرج منه في منهج البحث التاريخي:

١- حصر جميع الروايات والقصص المطلوبة للدراسة: الإيجابية منها والسلبية، المتفقة والمتعارضة...

٢- تصنيف هذه القصص والروايات إلى أصناف حسب طبيعة الدراسة وهدفها الرئيس أو أهدافها، سواء أكانت المتفقة في الجزئية المحددة أو المختلفة. وفي العادة يكون التصنيف مبنيا على الهدف من الدراسة، فمثلا للتحقق من مصداقية بعض الأخبار نصنف الأخبار أو القصص إلى إيجابية وسلبية بالنسبة للشخصية المحددة أو للمجموعة؛ وللتعرف على حجم مساهمة المجموعة في صناعة الحدث نصنف المجموعة إلى أطراف فاعلة.

٣- ترتيب وتنظيم هذه الأصناف، بحيث تؤدي إلى ترجيح وصف للحدث أو سمة محددة للشخصية المعنية بالدراسة. فالترتيب والتنظيم قد يعني بيان غلبة سمة على سمات أخرى، أو غلبة مساهمة فئة في صناعة الحدث على فئة أخرى.

ومن الطبيعي أن تكون عملية الحصر والتصنيف والترتيب درجات مختلفة من حيث شموليتها وتعقيدها. وتؤلف العمليات الثلاث شكلا هرميا، حيث تشكل عملية حصر الروايات والقصص التفصيلية قاعدة الهرم الأكثر عرضا، والوصول إلى حقيقة فرعية مرجحة أقل عرضا. وتشكل الحقيقة العامة أو السمة قمة الهرم.

وليس من الضروري أن تظهر كل عملية من عمليات التحليل منفصلة تماما عن غيرها، فقد تتم عملية التصنيف تلقائيا أثناء عملية الحصر. وقد اشتهرت الدراسات التاريخية بأنها دراسات وصفية. أما في الحقيقة فتتبادل عملية الوصف مع الاستقراء الأدوار بصورة مكثفة، ولا يمكن الاستغناء فيها عن الاستقراء.

محتويات فقرة التحليل:

وعموما تشتمل فقرة التحليل والمعالجة على التالي:

١- وضع القواعد أو المعايير التي يتم بموجبها تحديد ما يدخل من الجزيئات في الحصر وما لا يدخل في الحصر.

٢- تحديد أنواع المصادر التي سيعتمدها الباحث وتلك التي سيستبعدها، أو التي يرجحها على غيرها، مع تحديد معايير الاعتماد والاستبعاد أو الترجيح. ومثاله ترجيح الرواية التي وردت في الكتاب والسنة بثبوت قطعي ودلالة قطعية على غيرها؛ وترجيح الرواية التي تؤيده الوثائق والآثار المحسوسة على غيرها.

طريقة عرض النتائج:

طريقة العرض الأولية للنتائج نسميها "**القائمة الأولية للموضوعات**"، وقد يسميها البعض خطأ "خطة البحث". وهي التي ترسم لنا الهيكل العام لموضوعات البحث بعد إنجازه. وتتألف من التقسيمات الرئيسة والفرعية، وربما فرعية الفرعية،

لمختلف أجزاء تقرير البحث الذي يضم الخطة والنتائج. وليس من الضروري أن نسمي الفقرات الفرعية، مثل كلمة "مبحث..." أو "مطلب...". ويكفي أن نقسم البحث إلى فصول وأحيانا قد نجمع الفصول في أبواب؛ ونقتصر على استخدام الدرجات المميزة للعناوين التي توفرها برامج معالج الكلمات، مثل مايكروسوفت ويرد Microsoft Word، أو غيرها من برامج الصف المطبعي.

ولعل من أكثر الممارسات التي كانت شائعة بين الأوساط العلمية الأكاديمية الاكتفاء في خطط البحوث العلمية بالقائمة الأولية للموضوعات، وقد يضاف إليها قائمة ببعض أسماء المراجع. ويُعتبر هذا خطأً من أوجه:

١- القائمة الأولية في معظم الأحيان لا تتعدى كونها طريقة لعرض نتائج البحث أو قائمة أولية للموضوعات التي لم يتم كتابتها بعد. وبعبارة أخرى، هي تصور مستقبلي لموضوعات البحث الرئيسة والفرعية أو عناوينها عقب التنفيذ.

٢- من المعلوم أن القائمة الأولية، قبل تنفيذ البحث، لا تنوب عن منهج البحث. وهذا لا يعني أنه لا أهمية لهذه القائمة فهي جزء أساس من منهج البحث. وهي في الدراسات المكتبية أكثر أهمية منها في الدراسات الميدانية. وذلك لأنها في الدراسات المكتبية قد تكشف عن بعض جوانب منهج التحليل، أما في الدراسات الميدانية والتجريبية فلا تكشف عن شيء يذكر من الجوانب المنهجية للتحليل.

٣- حتى في الحالات التي تتضمن القائمة الأولية جزءا من منهج البحث فإن نقاطا منهجية كثيرة ستبقى غير محددة، مما يترك مجالا واسعا للتهاون أو للتلاعب أو للتكليف غير الضروري عند تنفيذ الخطة. ومع هذا فستبقى بعض أجزاء المنهج غير معلومة مثل: طريقة اختيار وطريقة جمع المادة العلمية، ومبرراته لاختيار تلك الطريقة بعينها ومعاييره في ترجيح المعلومات المتضاربة والآراء المتعارضة، وغير ذلك مما هو ضروري.

٤- من المعلوم أن الفقرات الرئيسة لقائمة الموضوعات يجب أن لا تتكرر بحذافيرها. بل يجب أن تكون كل فقرة متميزة عن غيرها في قائمة الدراسة

الواحدة. أما عناصر منهج التحليل أو قواعدها يجب أن تتميز بالتكرار أي الاطراد في استخدام القاعدة المنهجية الواحدة عبر الفقرات المختلفة. وبعبارة أخرى، فإن عدم اطراد منهج التحليل، أي معاملة النقاط المختلفة أو الحالات المتشابهة بطريقة مختلفة يعتبر دليلا على ضعف منهج البحث. وفي الوقت نفسه يعد تكرار موضوعات القائمة الأولية أو تشابهها ضعفا في التصنيف أو طريقة عرض فقرات البحث.

٥- يلاحظ أن القائمة الأولية تساعد وتسهم في الكشف عن تكرار الموضوعات، ولكن لا تقي من التعارض في الأقوال والآراء في البحث الواحد، وبدون أن يشعر الباحث. فقد يورد قصة تمدح الشخصية، وفي مكان آخر يأتي بما ينقض ما أثبته في الأول، سواء أكان المدح مبنيا على سمته العامة أو صفة تثبتها قصة مماثلة في القوة للقصة السلبية، دون الترجيح بينهما.

ومن المعلوم أن الخطة هي جزء من التقرير الكامل للبحث، ففقراتها تندرج ضمن القائمة النهائية لمحتويات التقرير النهائي للبحث.

طبيعة الدراسة ومحتويات القائمة:

على وجه العموم، تختلف محتويات القائمة الأولية لموضوعات البحث، من حيث الصعوبة والشكل، في الدراسات المكتبية أو التجميعية النظرية عنها في الدراسات الميدانية والمعملية.

ففي الدراسات التي تستخدم الأسلوب الكيفي - غالبا - تظهر مضمونات الفصول والمباحث واضحة في هيئة عناوين رئيسة (عناوين الفصول)، والعناوين الفرعية وفرعية الفرعية (عناوين المباحث أو المطالب المتفرعة عن المباحث). (انظر مثلا كتاب قواعد أساسية، الملحق ٢-ج). أما في الدراسات الميدانية ولا سيما الاستقرائية فإن بعض العناوين لا تتحدث كثيرا عن مضموناتها. (انظر الملحق ١-ج).

وعموما يجب أن تعبر تقسيمات القائمة الأولية لموضوعات البحث بصدق عن الهدف من الدراسة أو جوهرها وأن تخدمها.

التداخل بين تحديد المشكلة وقائمة الموضوعات:

هناك نقطة جديرة بالملاحظة وهي أن القائمة الأولية لموضوعات البحث قد تختلط بفقرات عنصر تحديد المشكلة من حيث المضمون. وهذا طبيعي لأن القائمة الأولية تحتوي على فقرات هي تفصيل لعنصر تحديد المشكلة. ومع هذا فإن هناك بعض الاختلافات بينهما، ومنها ما يلي:

١- تشتمل القائمة الأولية غالبا على العناصر التفصيلية للخطة وتفريعاتها، وهذه لا تكون كذلك في عنصر تحديد المشكلة غالبا.

٢- تتركز مهمة عنصر تحديد المشكلة - في الغالب - على تحديد أبعاد البحث أي بيان حدوده، وليس على بيان تفاصيل محتوياته. أما القائمة الأولية فيجب أن تكون شاملة لكل عناصر التقرير، ومبينة لموضوعات التقرير على مستوى العناوين الرئيسة، التي تصنف في مستوى الباب أو الفصل، وربما أيضا في مستوى المباحث والمطالب...

٣- كثيرا ما تكشف القائمة الأولية النقاب عن بعض الجوانب المنهجية للبحث وتفريعاتها وهذه لا تكون كذلك في عنصر تحديد المشكلة. وبعبارة أخرى، تحديد المشكلة يجيب على السؤال: ماذا؟ أما القائمة الأولية للموضوعات فتجيب، إضافة، إلى السؤال: ماذا؟ على جزء من الإجابة على السؤال: كيف؟

تمارين خطة البحث:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- اختر دراسة علمية واختصر العناصر الرئيسة لمنهج البحث، مثل: تحديد المشكلة، استعراض الكتابات السابقة، ومنهج البحث...

٢- اختر دراستين مختلفتين من حيث طبيعة المادة العلمية، وقارن بين طريقتهما في تحديد المشكلة، من حيث نوع الصياغة ودرجة الوضوح، واكتب رأيك: أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك.

٣- اختر دراستين مختلفتين من حيث الهدف من الدراسة، وقارن بين طريقتيهما في استعراض الكتابات السابقة، من حيث مكونات الاستعراض وطريقتها. ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك.

٤- اختر دراستين، وقارن بين طريقتيهما، في بيان منهج البحث، من حيث بيان طريقة جمع المادة العلمية، وطريقة التحليل. ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك.

٥- اختر دراستين، وقارن بين طريقة تقسيمهما لمحتويات الدراسة، ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك.

٦- اختر دراسة واكتب عناوين مستويين من قائمة محتوياتها، مثل:

- عناصر الخطة (مستوى ١).
- شروط الخطة الجيدة وعلاماتها (مستوى ٢).
- المناقشة مع ذوي العلاقة (مستوى ٢).

واستخدم وسيلة البطاقات الورقية أو الملفات والوثائق الإلكترونية لتفريغ المعلومات التي تجمعها من عدد من المراجع لها علاقة بموضوعات قائمة المحتويات التي قمت بتجهيزها.

الفصل الثاني

الأخبار والقصص التاريخية

سيتحدث هذا الفصل عن ماهية الأخبار والمصطلحات المرادفة المطابقة تماما أو المتفقة جزئيا، والفرق بين نوعين من الأخبار بصفة خاصة لاختلافهما في طبيعة المادة العلمية التي تفرض منهجا مغايرا - نسبيا - في التحقق، وطبيعة صناع القصص التاريخية وطبيعة الأخبار وأصنافها ومكوناتها وخطورة السلبية منها.

المقصود بالأخبار:

هناك كلمات تتكرر عند الحديث عن ما جرى في الماضي ويجري في الحاضر أو سيجري في المستقبل. وميّز بعض الذين تناولوا هذا الموضوع - استنادا إلى معجم تاج العروس - بين النبأ والخبر حيث خصوا كلمة نبأ بالخبر العظيم، أو الخبر الذي يتعرى عن الكذب، أو الإخبار بالأمور الغائبة. وتردد البعض بين القولين ولم يحاولوا حسمه أو لم يأتوا بدليل حاسم يقوم بالترجيح[1].

وأضاف "عزت" بأن الخبر للأحداث القريبة الوقوع أما النبأ فللبعيدة الوقوع، وقيّد الأحداث بأنها حصلت في الماضي - في موضع - ثم عاد فاتفق مع "شلبي" في احتمال كون الخبر مما سيحدث في المستقبل أيضا[2]. وهناك استعمالات في القرآن الكريم لا تفرق بين النبأ والخبر لا من حيث حجم الخبر أو أهميته، أو من حيث بعده الزمني. فمثلا جاءت كلمة "نبأ" لتتحدث عن حدث عظيم، يقع في المستقبل البعيد نسبيا، بينما وردت الكلمة في صيغة الجمع لتعني الأحداث القريبة

(١) عزت، دراسات ٤٣ - ٤٤؛ شلبي، الخبر ص٤٩ - ٦٠؛ الشنقيطي، أصول الإعلام ص١٥ - ٢١.

(٢) عزت، دراسات ص٢٠؛ شلبي، الخبر ص٥٣؛ عزت، دراسات ص٤٢.

العادية في قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾[1]. ومن جهة أخرى نجد كلمة "أخبار" في سورة الزلزلة تتحدث عن ما وقع على ظهر الأرض منذ بدء الخليقة من أحداث، بما فيها الأحداث العظيمة[2].

وبهذا يتضح أن الكلمتين مترادفتين، من حيث الحجم ومن حيث البعد الزمني.

وعموما يُقصد بالأخبار في هذا الكتاب كل ما يصل إلى إدراك الإنسان من معلومات يُفترض أن تكون صحيحة عن الأحداث التي وقعت وعن الآخرين، وإن كانوا أحياء. ولا يختلف الأمر إن كانت الوسيلة هي الاتصال الشخصي أو وسيلة إعلام، مثل الصحافة والإذاعة والتلفاز أو الأشرطة الممغنطة أو التسجيلات الإلكترونية والإنترنت. ولا يختلف الأمر إن وصلت هذه المعلومات إلى المستقبل بطريقة علنية أو بطريقة سرية.

والآخرون قد يكونون أفرادا أو جماعات أو مؤسسات خاصة أو حكومات أو دول.

وبهذا تصبح كلمة "خبر" شاملة يندرج تحتها الحدث: ماذا حصل؟ وكيف حصل؟ ومتى حصل؟ ومن هي الشخصيات المشتركة فيه؟ وماذا فعلت؟ وترد كلمة "رواية" مرادفة لكلمة "خبر" أو لتعني صياغة مستقلة للخبر، من حيث الصياغة أو من حيث بعض رواته في سلسلة الرواة، وإن كان المضمون واحدا أو متشابها.

وهناك مصطلحات أخرى تعتبر مرادفة نسبيا للخبر، مثل القصة والحكاية؛ ويمكن إطلاقهما على الحدث الواقعي أو المؤلفة كليا أو جزئيا.

ومن حيث الزمن تنقسم الأخبار إلى: ١) أخبار لأحداث معاصرة، أي وقائع حدثت لأفراد أو جماعات أو دول نعاصرها، ويمكن الرجوع إلى المشاركين فيها

(١) النبأ: ٢؛ الأحزاب: ٢٠.

(٢) التوبة: ٩٤؛ محمد: ٣١، الزلزلة: ٤.

- بدرجات متفاوتة - للتحقق من مصداقية ما يخصُّهم. ٢) أخبار تتعلق بأشخاص أو جماعات أو دول انقرضت، ويمكن تسميتها قصصا أو حكايات تاريخية.

الإخبار والرواية والتعليق:

من المعلوم أن الإخبار والرواية للحدث تختلف عن التعليقات (الآراء أو الاستنتاجات). وهذه الحقيقة تتطلب من محرري الأخبار بأنواعها الحذر من الوقوع في خطأ المزج بينهما لاشعوريا. فالمفروض أن لا يتجاوز محررو الأخبار مهمة تسجيل الحدث، ومقاومة الرغبة في دس آرائهم أو استنتاجاتهم لا شعوريا أثناء تحرير الخبر.

ولهذا لا نستغرب أن يكون لدى علماء أصول الحديث حساسية خاصة تجاه هذا الخلط، فمن معاييرهم ضرورة التفريق بين الخبر والرأي، حتى لا يتشوه الحكم المستنبط من النص المنسوب إلى النبي ﷺ.

وصحيح أن مؤلفي كتب التاريخ قد يضطرون - أحيانا - لملأ الفراغات الأساسية التي تتركها القصص التاريخية المتوفرة، وذلك بتخمين بعض الحقائق الصغيرة. ومع هذا فإن المؤرخ ينبغي أن يتجنب الوقوع في فخ إقحام رأيه، بدون التنبيه ولا شعوريا.

المصورون لما وقع في الماضي:

تختلف مهمة المختصين في جمع المعلومات اللازمة لتصوير الأحداث الماضية، وفي التحقق منها باختلاف طبيعة المادة التي يتعاملون معها. فهل هي أقوال منسوبة إلى رب العالمين؟ أو هي أقوال وأفعال وتقريرات منسوبة إلى نبيه الكريم؟ أو هي كل ما يصدر عن البشر بمكوناتهم الروحية، والعقلية، والنفسية والجسمية؟ أو تختص بما كتبه البشر؟

وتسمى المناهج المقننة التي تساعد الباحث في هذه الدراسات بمنهج علماء القراءات بالنسبة لنصوص القرآن الكريم، وأصول الحديث بالنسبة للسنة النبوية،

والمنهج التاريخي لدراسة الماضي من السلوك البشري، ومنهج دراسة المخطوطات بالنسبة للأبحاث المتخصصة في التحقق من مصداقية المؤلفات البشرية[١].

ومع كونها جميعا تشترك في كثير من الأساليب والوسائل فإنها تختلف في طبيعة مصادرها أو طريقة التعامل معها والقواعد التي تحكمها، وهي كلها تندرج - في النهاية - تحت مهمة التحقق من المصداقية.

وعلى وجه العموم فإن الأخبار والروايات التاريخية هي نصوص تفيدنا بما حدث. وهناك ضرورة للتمييز بين النصوص المقدسة المنسوبة إلى الله سبحانه وتعالى (أقواله) وإلى رسوله ﷺ (أقواله وأفعاله وتقريراته) من جهة، والنصوص غير المقدسة المنسوبة إلى البشر والمخلوقات، من جهة أخرى. وبذلك ندرك أن كلمة الأحداث أو القصص أو الروايات تندرج تحتها: الآراء، والقرارات، والأقوال، والمؤلفات، والوثائق، والأفعال، أي كل ما يندرج تحت السلوك البشري.

النصوص المقدسة وغير المقدسة:

لقد أسهم السابقون في إبداع مناهج للتحقق من مصداقية الخبر. وكان السبق لعلماء الحديث الذين نجحوا منذ القرن الثاني الهجري في إرساء قواعد ثابتة لمنهج يوفر بعض الطرق للتأكد من مصداقية الخبر. وجاء المؤرخون بعدهم بقرون عديدة ليستفيدوا من منهج المحدثين، وليسهموا في تطوير منهج يمكن تسميته بالمنهج التاريخي ليعين في التحقق من مصداقية النصوص غير الإسلامية المقدسة. وبعبارة أخرى، هناك نوعان رئيسان من المناهج لتوثيق المعرفة التي نكتسبها:

١- المنهج النقلي الذي يرتكز أكثر على النقد الخارجي، أو نقد رواة الخبر، والمنهج العقلي الذي يرتكز أكثر على النقد الداخلي أو نقد المتن. فمنهج المحدثين يعتمد على مصداقية من ينقل إلينا المعرفة أو الخبر المحدد، سواء أكان واحدا أم أكثر، وسواء أكان سلسلة من الأفراد أم من الجماعات. ويقتصر

(١) انظر مثلا: جعفر، القرآن والقراءات؛ الدمنهوري؛ حسين، الجرح والتعديل، والتخريج؛ بدوي، وعثمان، وموافي، النشار، روزنثال، العمري؛ عسيلان، تحقيق المخطوطات.

علم القراءات على هذا المنهج للحفاظ على أصالة القرآن الكريم، أي مصداقية نسبة آياته إلى الله سبحانه وتعالى. وذلك لأنه لا يقبل النقل بالمعنى، بل، يشترط النقل الحرفي: قراءة أو كتابة. وأما منهج المحدثين فلا يقتصر على المنهج النقلي، ولكن يستعين أيضا بالمنهج العقلي، وذلك لأنه يجيز النقل بالمعنى. ويختص منهج المحدثين في التحقق من مصداقية النصوص المنسوبة إلى النبي ﷺ: أقواله، وأفعاله، وتقريراته (ما اطلع عليه من أفعال الصحابة وأقرها بالتعليق أو بالسكوت عنها).

٢- المنهج العقلي، الذي يسيطر على منهج المؤرخين، يعتمد على العقل كميزان للمصداقية، أي يعتمد هذا المنهج على ما تدركه حواسنا الخمس وما تُوصلنا إليه قدراتنا الاستنتاجية عند الاطلاع على تلك المعرفة أو الخبر. فمادة منهج المؤرخين هي ما يُنسب إلى البشر من اجتهادات، وأقوال وأفعال وتقريرات عادية، ليست معصومة من الخطأ. ويعتمد هذا المنهج في عملية التحقق على النقد الداخلي (نقد المتن) أكثر مما يعتمد على النقد الخارجي (نقد السند) لأن وسائل النقد الخارجي لا تتوفر له، مثل أسانيد الرواة المتصلة، والتراجم اللازمة لجرح الرواة وتعديلهم. ويندرج تحت هذا المنهج آراء الخبراء في المجالات المختلفة. ويندرج فيه ردود الفعل التلقائية النابعة من الفطرة البشرية، والعقل السليم الذي لم يتشوه بما حفظه وتأثر به، مثل الإجابة على التساؤلات التي يطرحها المؤرخ للتمييز بين الحق والباطل أو الأكثر صوابًا والأقل صوابا...

وهذا التفريق طبيعي لاختلاف طبيعة المادتين العلميتين. وقد يكون من التجني أو من الخطأ الكبير تطبيق منهج أحدهما على الآخر. فمثلا لو أراد المسلم تطبيق منهج المحدثين على الأحداث التاريخية لما قبل منها إلا النادر[1]. ولو طبّق المسلم منهج المؤرخين في تحقيق القرآن والسنة النبوية لوقع في الكفر لا محالة، لأن العقول البشرية تقصر عن إدراك كثير من الغيبيات وفهمها. ولا يزال هناك الكثير من

(١) انظر Seni؛ صيني، مدخل ص٢٠١ - ٢٣٣.

الحقائق والوقائع المجهولة في القرآن الكريم لم يكشف التراث العلمي النقاب عنها.

ويلاحظ أن اعتبار مادة البحث ربانية المصدر، أو بشرية المصدر مسألة نسبية غالبا. فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن الكريم والحديث النبوي ربانيا المصدر، واليهود يرون أن التوراة ربانية المصدر، والمسيحيون يرون - في العموم - أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) رباني المصدر.

ومما لاشك فيه أن المؤرخ إذا توفرت له المعلومات التي توفّرت لعلماء الحديث عن الرواة والروايات، فإنه سيكون في وضع أفضل ونتائج دراسته ستكون أقوى مما لو اقتصر على النقد الداخلي الصرف. فالنقد الداخلي الصِّرف يعني الاعتماد - بالكلية - على العقل البشري المحدود وعلى الفطرة التي ربما تعرّضت للتشويه.

ويلحق بهذه الحقيقة بعض الفروق بين منهج المحدثين، ومنهج المؤرخين، ومنها ما يلي:

١- المؤرخ تعنيه القصص والأحداث، أما المحدث فتعنيه النصوص، لأنها تتضمن أحكاما شرعية.

٢- الباحث في الأحداث التاريخية، تهمه مصداقية الحدث، مثل ثبوت أو عدم ثبوت خبر أو قصة. ومثاله التأكد من مضمون الأقوال التي تبودلت بين الأطراف المتحاورة، وليست النصوص الحرفية، ولا التعبيرات الإضافية، مثل تفاصيل الخطبة التي ألقاها أحد المشاركين في الحادثة، أو التعبير بأبيات شعرية قد تكون مؤلفة على المنسوبة إليه. أما المحدث فيعنيه النص الحرفي، ولهذا قد يتعادل عنده نصّان من حيث المعنى، ولكن يتم إثبات نص لسلامة سلسلة رواة النص فيه، ويتم رفض الآخر لخلل في سلسلة رواة النص الحرفي للرواية.

٣- شروط المحدثين في تعديلهم وجرحهم للرواة أكثر دقة، ولكنها، أيضا، لا تدرج بعض أنواع السلوك أو القرارات للمعدلين أو المجروحين. فمثلا، لا تُعتبر القرارات الخاطئة في حدود الاجتهاد الذي يؤجر عليه المسلم، إن أخطأ أو

أصاب، من أسباب الجرح، وإن أدى إلى نتائج وخيمة جدا، وقتل آلاف المسلمين. فكتب تراجم الرواة مختصرة، ومبنية على حقائق متفرقة. فما يدرجه منهج المحدثين يقتصر على أقوال الراوي وسلوكه بالمقياس الشرعي، أو المبادئ الأخلاقية العامة، وكفاءته في النقل، مثل الصدق في الرواية وقوة الذاكرة وتجنبه التحريف،...

أما المؤرخ فعند الكتابة للعبرة، يركز على هذه الأخطاء، بصرف النظر عن تعديل وجرح المحدثين لصاحب القرار. وذلك لأن العصمة المطلقة له سبحانه وتعالى، لا يشاركه فيها أحد، وأما عصمة أنبيائه ورسله ففيما يبلغونه عن الله وفي تطبيقهم لما يأمرون به وينهون عنه. وصحيح أن هناك علاقة مطردة بين درجة الصلاح وقلة الخطأ، ولكن لا توصل إلى درجة العصمة من الخطأ في الاجتهاد الذي قد يؤدي إلى سفك دماء مئات المسلمين.

وعلى وجه العموم فإن ما يهمنا في هذا الكتاب هي الأخبار العامة حول البشر والمخلوقات، وأما بالنسبة للمنسوبة إلى الله ونبيه الكريم فمن اهتمام علماء القراءات وأصول الحديث.

وبهذا يتضح أن المهمة الأولى للمؤرخ تتمثل في عملية تجميع كل ما له علاقة بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات المراد دراستها، من الطبيعة بجهود ميدانية، وذلك لعدم وجود شيء مكتوب عنها. وهي عملية مجهدة في الحالات التي لا تتوفر فيها التسجيلات اللازمة بالوسائل المكتوبة خاصة، أو السمعية أو البصرية.

وتتمثل مهمة المؤرخ أيضا في جمع المعلومات المتفرقة عن موضوع محدد، في مصادر مكتوبة متعددة أو مسجلة بإحدى وسائل الإعلام أو تظهر في عدد من أنواع المصادر التاريخية، وذلك بانتقاء ما يتعلق منها بموضوع دراسته. وبعبارة أخرى، حصر المادة العلمية وتصنيفها وترتيبها بطريقة منطقية، قدر المستطاع، في حدود المعلومات المتوفرة، وذلك للخروج بصورة قريبة من الواقع الذي كان موجودا.

ولعل أبسط صور التصنيف والترتيب المنطقي هو التصنيف والترتيب بتاريخ الحدوث. ثم يأتي الترتيب بحسب الهدف من الدراسة المحددة. وتتمثل المهمة الأساسية الأخرى للمؤرخ في التحقق من مصداقية قصة أو مجموعة من القصص التاريخية مترابطة، تدور حول محور واحد. ومن الدراسات التاريخية، أيضا، استقراء الأحداث التاريخية للخروج بفرضيات أو نظريات، تُفسِّر الأحداث الماضية لنعتبر بها ونستفيد منها.

مصادر الأخبار وأصنافها:

تتنوع مصادر الأخبار، فمن مصادرها: القصص والأشعار والأمثال الشفهية والمكتوبة، والمخطوطات، أو النقوش على ورق البردي أو الصخور. ومنها أدوات الاستخدام اليومي أو المباني... وبعبارة أخرى، فإن الأخبار التي يجمعها المؤرخ في المرحلة الأولى، قبل التنقيح تشبه ما يسمى بـ "التشليح" أي الفِناء الذي يتم فيه جمع ما هب ودب من قطع السيارات، أملا في الاستفادة منها. ومنها الصالحة والعاطلة، ومنها الأصلية والتقليد؛ ومنها الجديد والمستهلك... وقد يضطر إلى جمع بعضها من الزبالات ذات العلاقة، وذلك لعدم توفرها في التشليح، ومعلوم توجهاتها المتحيزة. وكما يقول المثل "الجود من الموجود"، وبدونها يستحيل الوصول إلى رسم صورة لشيء من الواقع الذي حدث في الماضي أو الذي لم نعايشه.

فمن طبيعة هذه المصادر أنها تلم ما هب ودب، وما وقع فعلا أو تم تأليفه من الخيال، للتسلية أو لمساندة أحد الشخصيات، أو الإزراء بمن خالفه. ومما يثير العجب والسخرية أن بعض المتشيعين لشخصية محددة قد ينسبون إليه أشياء لم يقلها أو يفعلها، ظنا منهم أنها تسانده وهي تضعه موضع التهمة. وقد ينسبون إليه أشياء، اعتقادا بأنها من المدح البليغ فإذا هي من الشتم القبيح.

فكتب التاريخ الإسلامي الرئيسة، مثلا هي أوعية شاملة تجمع ما تداوله أهل العلم كتابة وما تتداوله العامة شفاهة. وتظهر الأخيرة، سواء عن الأشخاص أو

الأنشطة البشرية، مشحونة "بالبهارات" مثل الإضافات غير المنطقية، أو المبالغات في تصوير الحدث، أو في الأرقام، أو الأقوال والخطب الأدبية المُنمّقة، وأبيات الشعر الجذابة. ويميزها عن كتب التاريخ الحديث أنها تورد سلسلة الرواة. وقد يكون منها المصنوع لمساندة القصص المصنوعة أو المزينة، أو المبالغ فيها أو المتحيزة ضد من يميل الراوي الأصلي أو أحد الرواة المتأخرين إلى بغضهم، أو مع من يتعاطف معهم ويحبهم...

وعملية الدس في التاريخ أيسر كثيرا من عملية الدس في نصوص الحديث النبوي والآراء الفقهية، لأن الأخيرة، وإن كانت آراء فإنه يمكن محاكمتها إلى نصوص الكتاب والسنة. أما القصص التاريخية فالحَكَم فيها للفطرة السليمة وللعقل، إلا ما ندر مما وردت فيها نصوص مقدسة، قطعية الثبوت والدلالة.

طبيعة المشتركين في الأحداث:

هناك سؤال يخطر في الذهن ونحن نتحدث عن التاريخ وهو: ما طبيعة الإنسان أو الفئة التي يسجل التاريخ قراراتها وأقوالها وأفعالها؟ فالإنسان هو العنصر الأساس في صناعة الأحداث؛ ويتكون الإنسان من أربعة عناصر أساسية: التكوين الروحي، والعقلي، والعاطفي، والعضوي.

والأصل أن الإنسان أو المخلوق المكلف ميّال إلى الفطرة التي فطره الله عليها، أي النزعة إلى عبادة الخالق وحده، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

والأصل أنه ينزع إلى اختيار الخير الذي أكده جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عندما اختار النبي ﷺ الإناء الذي فيه اللبن بدلا من الإناء الذي فيه الخمر، حيث

(١) سورة الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣.

قال له "هديت الفطرة أو أصبت الفطرة"[١].

واقتضت عدالة الله منح المخلوق المكلف ومنهم الإنسان حرية للاختيار نسبية، في دار الاختبار (الحياة الدنيا). وزوده بصفات أو قدرات تتفاوت في حجمها، مثل القوة أو اللين أو الشجاعة أو الخوف أو قوة الحفظ وضعفه، أو قوة الملاحظة أو ضعفها... ويحاسبه الله على طريقة استعمالها بإرادته، في حدود ما منحه الله منها.

ثم تأتي العوامل الأخرى الخارجية التي يتعرض لها المخلوق المكلف بإرادته أو بدونها، لتشحذ هذه القدرات، أو توجهها إلى الخير أو إلى الشر بدرجات متفاوتة. وبعبارة أخرى، فإن قرارات الإنسان، سواء كانت بإرادته أو كردود فعل، هي المسؤولة عن ما يحصل له مما يحاسب عليه. يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾. وتختلف درجة المسؤولية في الدنيا بحسب مهارة وعلم الراصد البشري. أما في الآخرة فدرجة المسؤولية معلومة عند الخالق المطلع على كل شيء. فهو يعلم ما نسر وما نعلن، ويعلم حجم القدرات الفطرية وأنواعها التي منحها للمخلوق المحدد، ومقدار الجهد الذي يبذله الإنسان في الفوز برضاه. أما المخلوق، ومنهم الإنسان فعلمه محدود، ولهذا فإنه إن اضطر إلى الوقوف موقف الحاكم أو القاضي بين الأطراف المتنازعة، فإنه مسؤول عن الحكم في حدود علمه وتبرأ ذمته بها. يقول النبي ﷺ "إنما أنا بشَرٌ وإنَّهُ يَأتِيني الخَصْمُ فلَعَلَّ بَعضَكُمْ أنْ يكُونَ أبلَغَ من بَعضٍ فَأحسِبُ أنَّهُ صدَقَ، فَأقضِيَ له بِذلِكَ. فمَنْ قَضَيتُ له بِحقِّ مُسلِمٍ فإنَّمَا هيَ قِطعَةٌ من النّارِ فَليَأْخُذْهَا أو فَليَتْرُكْهَا"[٢]. وأؤكد "إن اضطر إلى الوقوف موقف الحاكم" فالأصل أن يتجنب المسلم والعاقل وضع نفسه، طواعية، في مثل هذا الموقف. ولا بأس أن يضع نفسه موضع المشير أو المقترح لأحد الطرفين المتنازعين أو لكليهما. وتنطبق هذه القاعدة على المتنازعين الأحياء، وهي تنطبق على المتنازعين الأموات من باب أولى.

---

(١) مسلم: الإيمان، الإسراء. وانظر إسماعيل، كشف الغيوم فيما يتصل بالتكليف والاختبار المتقن.

(٢) البخاري.

وصحيح أن القرارات البشرية تصدر من شخص محدد أو أشخاص محددين، ولكن تتأثر بعوامل مختلفة عديدة، يتفاوت أثرها، أو تصنعها عوامل مختلفة. وصدق النبي ﷺ حيث يقول: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه"(١).

وصحيح أن ما يسمى بإرادة الشعب، أو الإرادة العامة، موافقة للشريعة أو غير موافقة، هي موجودة دائما. وقد تظهر بطريقة تلقائية، ولكن ليس بدون قيادات فكرية أو تنفيذية صغيرة أو كبيرة. فالقيادات - في الواقع - هي التي توجهها وتستثيرها، وتوقدها، وتشكل محاورها و... ومن هنا تأتي أهمية تحديد السمات البارزة للشخصيات التي تسهم في صناعة الأحداث.

وعند كتابة التاريخ، فإن هذه السمات مفيدة، لأنها ترشد في تحديد مصداقية القصص التفصيلية، والروايات المتعددة التي تتدرج بين المُختَلقة من جذورها أو المبالغ فيها أو المضاف إليها صبغات التجميل أو التقبيح أو...

وقد يرددها حتى الصالحون من المؤرخين تعاطفا مع إحدى الشخصيات المتخاصمة، ولا سيما إذا كانت في الظاهر في موضع الضعف، دون الانتباه إلى أن ما فعله الطرف الآخر القوي ليس إلا ردة فعل طبيعية، أو عادلة لشيء فعله الطرف الضعيف، يستحق العقوبة. ومثاله ما ردّه بعض المؤرخين فيما يخص الخليفة هارون الرشيد مع البرامكة. ومن أعظم المخاطر على العقول المسلمة خاصة وسمعة المسلمين تلك القصص المزرية التي تصور هارون الرشيد، ووزيره كمدمني خمر، ومجالس غناء، وبدون أي تعليق يشكك فيها.

ففي المستوى الفردي هناك صراع بين العقل الذي تسنده الفطرة والتعاليم الربانية وبين العاطفة المرتع الخصب لإبليس وأعوانه. فمن طبيعة العاطفة الاستجابة للشهوات بيسر وسرعة؛ ومن طبيعتها القدرة الفائقة على المبالغة في المحبة والكراهية. ومن المعلوم أن المبالغة في الحب أو الكره قد تؤدي - أحيانا -

(١) البخاري: القدر، الله أعلم؛ وانظر الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣ وتفسيرها.

إلى الخروج من الملة. فالعاطفة والمخلوق الأكثر عاطفية مَركَبٌ سهل للشيطان ولأعوانه.

وعلى المستوى الجماعي أو العام هناك صراع دائم بين "الخير" و"الشر" وأعوانهما. ويقود الخير فطرة الإنسان، والتعاليم الربانية؛ ويقود الشر إبليس. وقصة آدم وإبليس وحواء معلومة. فمثلا ورد في القرآن الكريم قول إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

وليس جميع الأعوان يقصدون، دائما، الإعانة على الخير أو الإعانة على الشر. فهم يجتهدون حسب نياتهم وأهدافهم، وحسب قدراتهم الممنوحة لهم أو التي يطورونها، ومنها قدرتهم على التحكم في الشهوات، والفرصة المتوفرة للاجتهاد. فيصيبون أو يخطئون بدرجات متفاوتة. واقتضت رحمة الله أن الإنسان إذا احسن نيته وبذل جهده، أن لا يعاقبه إن أخطأ بل يكافؤه المكافأة المناسبة في مقابل مكافأة المصيب. يقول النبي ﷺ ""إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر""[2].

فقد يغوي أعوان الشر الحريص بفطرته على الإعانة على الخير والتصدي لأعوان الشر، وذلك بعكس رغبته أو بخلافها؛ ويتمكنوا من تزيين الشر له. فيعتقد أنه الخير الذي ينبغي عليه الاستماتة في تحقيقه. لهذا، عندما نسجل قرارات الإنسان وسلوكه يجب أن نضع هذه الحقائق نصب أعيننا.

والأصل في الأشياء التي خلقها الله وسخّرها للإنسان، ومنها المكونات البشرية الأربعة (العضوي، والروحي، والنفسي، والعقلي)، أيا كانت، أنها محايدة. وأعوان الخير يسخرونها ويوجهونها إلى الخير، وأعوان الشر يوجهونها إلى الشر. فقد منح الله الإنسان حرية نسبية للاختيار بينهما.

---

(١) سورة الحجر: ٣٦ - ٤٠.

(٢) البخاري ٦: ٢٦٧٦.

ولهذا من الطبيعي أن المخلوق المكلف، ومنه الإنسان ليس معصوما من الخطأ أو الوقوع في الشر، حتى بحسن نية. وقد تتساوى كفة الخير والشر عنده. وقد ترجح كفة الخير عنده على كفة الشر، أو العكس. ومن الخطأ الجسيم تصديق بعض القصص السلبية وتعميمها على الشخصية التي يدرسها الباحث أو على خصمه إلا بعد الفحص الدقيق.

مكونات الأخبار:

تتكون الأخبار من مكونات ذات خطورة، ومن مكونات ليست ذات خطورة. وتتكون من مكونات رئيسة، أي تلك التي عليها اتفاق أو ليس عليها اعتراض من الأطراف الرئيسة المتصارعة. وتتكون من قصص وحكايات تفصيلية تختلف الأطراف المتصارعة على مصداقيتها. وتقوم الأجزاء الأخيرة عادة بوظيفة المساندة للأحداث الرئيسة، سواء أكانت واقعية أو مصنوعة، وبتفسيرها بطريقة تؤيد وجهة نظر الصانع للأجزاء المتفق عليها من الحدث.

ومن أمثلة الأخبار الخطيرة تلك التي تمثل بعض المعتقدات الشيعية، مثل الاعتقاد بوجود اثني عشرة أئمة معصومين[١] وأنهم يشاركون الله علمه بالغيب بما في ذلك علمهم بوقت وفاتهم. فالكافي مثلا يقول: "الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وأن الأرض كلها للإمام..."[٢] وأن الطاعة العمياء للأئمة ضرورية "لدرجة أن عبادة الله لا تصبح ضرورية إذا كان هذا هو أمر الإمام"[٣]. ومنها الاعتقاد بأن الإمام الثاني عشر، المهدي، قد اختفى قبل أحد عشرا قرنا وهو في الخامسة من عمره في سرداب. وهو على قيد الحياة وسيعود إلى الظهور في آخر الزمان، وأن حقه في وراثة السلطة ثابت أثناء غيبته[٤].

---

(١) الدستور: المادة الثانية عشرة؛ عسيفي ص٢٣ - ٢٥.

(٢) الكليني، الكافي من الأصول ج١: ٢٠٦ - ٢٦٢.

(٣) المكتبة الإسلامية العظمى ص٦؛ الخميني، الحكومة ص٩١، ١١٣؛ وانظر إسماعيل، حقيقة الخلاف.

(٤) دستور جمهورية إيران الإسلامية، مادة ٥.

ومن أمثلتها قصص الكرامات التي توردها كتب بعض الفرق لمشايخهم. ومن هذه الكرامات قول أحدهم عن شيخه "إنه خليفة يُملِّكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء: كن، كان من حينه"[١]. ومن كراماتهم علم الغيب وقراءة ما في اللوح المحفوظ[٢]. وعن معرفة الولي الصوفي يقول ابن عربي "وقلب العارف من السعة كما قال أبو يزيد البسطامي" لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به"[٣]. يقول الصوفي المتطرف هذا الكلام، مع أنه جاء في الحديث النبوي أن "...العرش لا يقدر أحد قدره"[٤]، وفي رواية أخرى "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض[٥]".

وتقول بعض الكتب الصوفية بأن الشيخ الصوفي يمكنه منح شخص آخر عشر سنوات إضافية من العمر[٦]. ويقول صوفي آخر بأن أحد أوليائهم عندما توفي، "ارتفع نصف القرآن الكريم إلى السماء ووقع في الدين فتور"[٧]. ومنها قول أحد الصوفية أن يد الرسول ﷺ مُدّت للسيد أحمد الرفاعي في حجه سنة ٥٥٥ للهجرة "من القبر فشرف علنًا بتقبيلها؛ وقد رآها الألوف وتواتر خبرها"[٨]. ومن المعلوم أنه لا يمكن للعشرات أن ترى الرفاعي يقبل يدا تمتد من قبر النبي الموجود داخل مسجده المزدحم بالأعمدة التي تحمل السقف، بالعين المجردة؟ فكيف بالآلاف. فالمسجد ليس ملعب كرة بمقاعده المرتفعة التي تحيط بملعب الكرة.

(١) حرازم، جواهر المعاني ج٢: ٨، نقلا عن الوكيل ص١١٦ - ١١٧.

(٢) الشعراني، لواقح ج١: ص١٦؛ النبهاني، جامع ج١: ١٥١ نقلا عن دمشقية، تهذيب ص٣٠، ٣٩؛ والنبهاني ج١: ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) ابن عربي، فصوص ج١: ص١٢٠.

(٤) كنز العمال ج١، ص٢٠١.

(٥) كنز العمال ج١٦: ٥٥.

(٦) الشعراني، لواقح صج٢: ٩٤، نقلا عن دمشقية، تهذيب.

(٧) الكردي، المواهب ص٢٣١ - ١٣٢ نقلا عن دمشقية، تهذيب ص٣٨ - ٣٩.

(٨) عبد الباسط، حزب الفرج ص٢٩.

فهذه قصص ترفضها الفطرة والعقل، ولم ترد في الكتاب والسنة بمدلولات قطعية لنعدها من الغيبيات والمعجزات. ثم هي تتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1]. فنحن لا نؤمن بقصة ولادة عيسى عليه السلام ونقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في طرفة عين إلا لأنها وردت في نصوص مقدسة قطعية الثبوت والدلالة[2].

ومع ذكر تلك المعتقدات الموجودة في أمهات كتب الشيعة والصوفية، فإننا لا نقول أن جميع المنتمين إلى الفرقتين يؤمنون بهذه المعتقدات قناعة أو حتى تقليدا متطرفا. فهناك من يؤمن بها قناعة؛ وهناك من يدعو إليها للحصول على مكاسب دنيوية؛ وهناك من لا يعرف هذه المعتقدات كلها أو بالصورة الموجودة في أمهات كتبهم، وإن كانوا ينتمون إلى الصوفية بشكل أو آخر. وهناك من ينتمون إلى هذه الفرق وراثة وتقليدا سار عليه الآباء. ويمكن لمن عايش كثيرا منهم في بلاد كثيرة أن يجزم بأن الأغلبية العظمى منهم هم من الفئة الأخيرة. لهذا فإن المؤرخ اليقظ والمنصف يجب أن لا يغمط حقوق الأفراد والجماعات التي قدّمت للإسلام والمسلمين خدمات جليلة، وإن كانوا ينتمون إلى هذه الفرق أو غيرها. بل، ينبغي عليه أن يذكر إيجابياتهم وسلبيات معتقداتهم، مع التفريق بين المعتقدات الأصلية للفرقة التي ينتمون إليها وبين ممارساتهم لها في الواقع.

طبيعة الأخبار أو القصص التاريخية:

لعله من المناسب قبل التحدث عن طبيعة الأخبار أو القصص التاريخية وقواعد التحقق من مصداقيتها التعريف بأنواع التراث الإسلامي. يلاحظ أن هناك اختلافا

(١) سورة الأعراف: ٥٤.

(٢) صيني، علماء الصوفية.

في طبيعة التراث، يترتب عليه اختلاف في سمات المنهج. فنصوص القرآن الكريم يجب أن تكون من عند الله لفظا ومعنى؛ ونصوص السنة فيختلط فيها اللفظ البشري مع المعنى المقدس للنبي ووصف لأفعاله وتقريراته. أما المخطوطة والوثائق البشرية فألفاظها ومعانيها بشرية؛ وأما التاريخ فهو روايات بشرية عن أنشطة بشرية. وبهذا نلاحظ أن كل نوع من أنواع التراث يختلف عن غيره، من حيث الطبيعة والأهمية. ولهذا يحتاج كل واحدة منها منهجا يناسب طبيعتها، وأهميتها، من حيث الدقة والصرامة في الفحص، تتدرج بين الدقيقة جدا إلى أدنى درجات الدقة.

ولو مثلنا لعملية التحقق بشيء محسوس سنجد أن المنخل أو الغربال هو أفضل ما يمثلها. والغرابيل أنواع، من حيث دقتها وصرامتها في تمرير المادة المنخولة، وهي في حالة التراث الإسلامي تتدرج بين طرفين:

دقيق وصارم -------:---------:---------:---------- متساهل

القرآن السنة المخطوطة الرواية التاريخية

فمنهج علماء القراءات مناسب لنصوص القرآن الكريم، ومنهج المحدثين مناسب للأحاديث النبوية، ومنهج تحقيق المخطوطات والوثائق مناسب للمخطوطات والوثائق البشرية، ومنهج المؤرخين مناسب للروايات التاريخية.

نعم، هناك صفات تشترك فيها جميع هذه المناهج، ولكن هناك صفات يشترك فيها بعضها فقط. وهناك صفات ينفرد بها كل واحد منها. وكثيرا ما يغفل عن هذه الحقيقة حتى المتمرسون في مناهج الأبحاث التحقيقية، أو المتشدقون بها نظريا. فعملية التحقق درجات متفاوتة من حيث الدقة والصرامة.

فمثلا لو طبقنا منهج التحقق من قراءات القرآن الكريم على الأحاديث النبوية لما سلم منها سوى حديث واحد[1]، تنطبق عليه صفة التواتر لفظا ومعنى. أما بقية السنة النبوية، فبالنسبة لهذا المنهج هي من "الشوائب"، غير معترف بها رسميا، وكأنه لا وجود لها. وهذا يعني أنه "لا تعاليم ولا أحكام تفصيلية قابلة للتطبيق في

(١) انظر درجة المتواتر في الفصل الثاني.

الإسلام إلا في حدود ضيقة جدا. وإذا طبقنا منهج المحدثين على "المخطوطات البشرية" فإننا سننكر وجود كثير منها، وذلك لأن الكتب المخطوطة لا تحظى - عادة - بالرواية على نطاق واسع، مثل الأحاديث النبوية؛وهي أعمال بشرية ليست منشورة على نطاق واسع، فيسهل انتحال الكثير منها. وإذا طبقنا منهج المحدثين على الأحداث التاريخية، فإننا نضطر إلى إنكار وجود جل التاريخ الإسلامي. أما الأحداث التاريخية غير الإسلامية فهي غير موجودة، إلا النذر اليسير مما ورد في الكتاب والسنة، وإن كنا نغرق في أحضان منتجاتها. فالأحداث التاريخية هي أنشطة بني آدميين، ربما لم يثيروا الانتباه إلا بعد وفاتهم بسنين أو بقرون، وليست كأفعال النبي ﷺ وأقواله وإقراراته. فهي تحت المراقبة من أصحابه، لأنها نماذج للاقتداء بها، واعتنى المحدثون بحفظها والعمل على صيانتها وتنقيتها بصورة مستمرة.

ومسألة التفريق بين طبيعة المادة العلمية والتفريق بين منهج حفظ النصوص وتحقيقها مسألة قديمة، فقد كان النبي ﷺ يأمر بكتابة آيات القرآن الحكيم، ولكن كان يقول: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن. من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه". كما كان يقول بالنسبة لقصص اليهود والنصارى "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون"[(١)]. ولهذا من الطبيعي أن يتشدد علماء الحديث في الأسانيد عندما يتعلق الأمر بآيات الأحكام، ويتساهلون في غيرها، أحاديث الرغيب والترهيب والغيبيات. وفرّق كثير منهم بين أسانيد تفسير آيات الأحكام، وبين تفسير آيات الأخبار، وأحاديث الفضائل والمغازي، من جهة أخرى[(٢)]".

لقد قلنا بأن درجة الصرامة والدقة تختلف فما المقصود بذلك؟

الصرامة والعقل والنقل:

هناك نوعان من النقد، يمثلان طرفي الصرامة والدقة: نقد السند، أي درجة كفاءة

(١) النيسابوري، المستدرك ج١: ٢١٦؛ أحمد، مسند ج٣: ٢١.

(٢) الطريفي، التقرير. ص١٤ - ١٦، ٢٨ - ٣٢.

الرواة واتصال سلسلتهم، وقد نسميه النقد الخارجي؛ ونقد المتن، أي استخدام العقل في نقد مصداقية التراث الموروث، وقد نسميه النقد الداخلي. ويحرم على علماء قراءات القرآن الكريم استخدام نقد المتن مع نصوص القرآن الكريم لأنه لفظا ومعنى من الله. فبعض الحقائق الجزئية والعامة التي وردت في القرآن الكريم يصعب أو يعجز الفهم البشري عن إدراكها واستيعابها. وقد يدركها إذا نمت الاكتشافات العلمية وتطورت. ويمثل أعلى درجات التوثيق ثبوت نسبة اللفظ والمعنى إلى المصدر الأصلي، وهو الله في حالة القرآن الكريم، بالنقد الخارجي، أي أن البشر لم يتدخلوا في اختيار نصوصه، أو في التعبير عن معانيه. وهي الدرجة التي **تحظى بها نصوص القرآن الكريم**[1].

وتأتي من الطرف الآخر نصوص الروايات التاريخية التي يتحتم فيها تدخل الباحث أو المحقق في اختيار المضمون الأصدق من بين المضمونات المختلفة والمتعارضة، وفي طريقة التعبير عنها.

وهنا يبرز سؤال هو: هل النقل الموثق بالنقد الخارجي أسبق أم العقل، من حيث الترتيب الزمني؟ إذا علمنا أن العقل البشري، استنادا إلى إدراكه الحسي واستنتاجاته، هو الذي يحدد مصداقية النبي وما ينسبه من نصوص إلى الله فإننا ندرك أن العقل أسبق من النقل. أما إذا ثبتت نسبة النص القرآني إلى الله بصورة قطعية، فلا يمكن للعقل تجاوزه، وتقتصر وظيفته على بذل الجهد في فهمه، والإيمان به كما هو بألفاظه ويكفي أن نستعرض قصة نقل عرش بلقيس من اليمن إلى القدس خلال طرفة عين. وذلك لأن النقل مصدره خالق الكون الذي خلق كل شيء ويعلم كل شيء. وأما العقل البشري فهو محكوم بحواسه المحدودة التي يدرك بواسطتها الواقع ويستنج منها.

وهناك حقائق ينبغي على الإنسان إدراكها حول طبيعة الأخبار والقصص التاريخية، ومنها:

---

(١) صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الرابع.

١- كتب التاريخ لا تتألف من نصوص مقدسة، ولا تدانيها في درجة المصداقية لأنها لم تتعرض للتحقيق اللازم لتصبح كذلك. فالأصل أن لا نصدق كل ما يرد في كتب التاريخ، فهي ليست مؤهلة بذواتها لمحاكمة الآخرين أو لاستنتاج الأحكام، ولا سيما إذا كانت أحكاما سلبية تمس أشخاصا محددين. فهي روايات يتداولها الناس بعفوية وتلقائية دون التحقق من أصلها، وربما بطريقة غير مقصودة حذفوا بعضها أو أضافوا إليها أو حرفوها قليلا أو كثيرا. وقد تكون روايات مدسوسة و مخطط لها، تستند إلى بعض الحقائق أو تكون مزورة بالكلية. وذلك لأغراض خبيثة وتم ترديدها بصورة تلقائية بسبب الحماس أو التساهل. ولهذا، فإن نصوصها وقصصها ليست مؤهلة للاستشهاد بها في إصدار الأحكام الشرعية، حيث يستحق المخطئ العقوبة؛ وهي مؤهلة فقط لتصنيف الآراء والقرارات، التي يستحق فيها المجتهد الأجر إن أصاب أو أخطأ.

٢- أسباب خطأ القصة التاريخية عديدة لا تحصى، سواء في مرحلة الملاحظة أو المشاهدة، أو تسجيلها أو أثناء تنقلها من راو إلى آخر، أو عند فهمها وتفسيرها[1].

٣- هناك أعداء وأصدقاء ومبغضون ومحبون، لكل إنسان أو جماعة أو دولة. وهذا أمر طبيعي وهو جزء من السنن الكونية. ومن عادة المنتمين إلى الجماعة نفسها أو الدولة والمحبين أو المعجبين الترويج للفضائل والإيجابيات وتضخيمها؛ ومن عادة المبغضين الترويج للأخطاء وللسلبيات وتضخيمها. والمبالغة في التعبير عن الآراء، ولا سيما، المشاعر أيضا أمر فطري. ولهذا كانت القصص التاريخية خليطا من الأخبار المتعارضة أو المتناقضة، وخاصة تلك التي تدور حول الشخصيات البارزة التي يكثر المعجبون بها والمبغضون لها. ولهذا من الطبيعي أن يكون المخطئ من الطرفين المتصارعين هو الطرف الذي لا ننتمي

(١) بدوي، النقد التاريخي ص٥ - ٢٥٢، حيث يورد لانجلو أوسينوبوس عرضا مفصلا لأسباب الخطأ وصورها.

إليه أو لا نحبه بقدر ما نحب الطرف الذي يقابله. وقد يعبر الراوي عن مشاعره دون أن يشعر، وإن كان حريصا على الحياد.

٤- استخدم أعداء الإسلام وأعداء المسلمين سلاح دس الأخبار الكاذبة بطرق كثيرة منذ بدء الإسلام لمحاربته ومحاربة الداعين إليه والمدافعين عن الحق. فهذا السلاح من أكثرها خطورة. وأقول هذه أخطرها لأن القتل والتدمير المادي المبني على التهم يقتصر ضررها - في الغالب - على الأجيال المعاصرة. وأما هذا السلاح فيستمر في تدمير العلاقات الودية وشحن العداوة والبغضاء عبر الزمان والمكان. ويعظم خطرها إذا تبناها ورددها كثير من المسلمين المخلصين، وكثير من علمائهم المخلصين. فيحاربون الإسلام والمسلمين لا شعوريا، ويخدمون الأعداء من حيث لا يشعرون... فقد يحرص المؤرخ الذي يتمتع بحيادية ملحوظة على إيراد سلبيات وإيجابيات الشخصيات التاريخية، ومنها المتصارعة، ولكنه يردد بعض الروايات المكذوبة والمنسوبة إلى بعض كبار العلماء، دون التحقق من مصداقية نسبتها إليهم. فتكتسب الرواية المكذوبة مصداقية وهمية لكثرة من يرددها. وقد وقع ضحية مثل هذه الأكاذيب كثير من الناس، ومنهم المخلصون للحق والمخلصات، وذلك لأنها تتحدث عن أشياء مضت لم نشهدها ويصعب التحقق منها[١].

٥- الأحداث التاريخية التفصيلية لا يمكن الاعتماد عليها وحدها، وكل ما نطمع فيه هو الاستفادة منها في بناء السمة الغالبة للشخصية التي تتناولها الدراسة. ففي حالة مناقشة "الأقوال" المنسوبة إلى بعض الشخصيات. وحتى عند ضرورة مناقشة القصص السلبية نجتهد في التعرف على سياقاتها التي تؤثر على الآخرين، وأما التي لا تؤثر على الآخرين فيستحسن تجاوزها. فلو أخذنا أي حدث أو شخصية ثم حاولنا التعرف على الحقائق التفصيلية التي تحيط بها سنجد أنفسنا غارقين في قصص متناقضة عديدة. فأيا منها نصدق ونأخذ؟ وبخاصة - اليوم - مع الأساليب المتطورة في الخداع والتضليل؟

---

(١) انظر مثلا الحجي، نظرات ص٢٥ - ٥٢.

ومن طبيعة الأخبار أنها، في الواقع، معرضة للنمو بإضافة قصص جديدة، أو معلومات عن زوايا غير معروفة، أو بالمبالغة، وصدق القائل "يصنع من الحبة قبة".

خطورة الأخبار السلبية:

قد تتضمن الأخبار مديحا وثناء، وإن كان مبالغا فيه، لا يسيء إلى أحد، من طرف خفي أو بصراحة فلا بأس من ذكرها. ولكن إذا كان المديح يسيء إلى طرف آخر فإنه يُعتبر من الأخبار السلبية. وهنا يجب الحذر في التعامل معها، والأسلم تجاهلها، إلا لمناقشتها وتفنيدها، وذلك لأن الكثير يقع في فخاخها، حتى الصالحون، بحسن نية. ولهذا يحذر الله تعالى من الخوض فيها بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

وفي الغالب لا يخلو خبر أو رواية من موقف خفي أو ظاهر من المشتركين في الحدث، ولا سيما عند وجود صراع بينهم في الحدث. وهذا مما يجعل عملية انزلاق المؤرخ أو الكاتب في هوة إصدار الأحكام الجائرة على أحد الأطراف سهلا.

ومن الأمثلة على خطورة ترديد الأخبار السلبية عن حسن نية، يروي أحد المؤرخين عن مؤرخ آخر، دون تفنيد للقصة المفتراه، حول العلاقة بين هارون الرشيد ووزيره جعفر: وكان عنده من أحظى العشراء على الشراب المسكر. فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر؛ وكان أحب أهله إليه أخته العباسة بنت المهدي وكان يحضرها معه وجعفر البرمكي حاضر، أيضا معه. فزوّجه بها ليحل بذلك النظر إليها، واشترط عليه أن لا يطأها. وكان الرشيد ربما قام وتركهما وهما ثملان من الشراب فربما واقعها جعفر فحبلت منه فولدت منه ولدا...

ويستطرد المؤرخ فيقول، وقد كان الرشيد في أول اليوم الذى قتل جعفرا في آخره هو وإياه راكبين في الصيد، وقد خلا به دون ولاة العهود وطيبه في ذلك

(١) البقرة: ١٣٤.

بالغالية بيده. فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضمه إليه؛ وقال لولا أن الليلة ليلة خلوتي بالنساء ما فارقتك. فاذهب إلى منزلك واشرب واطرب وطب عيشا حتى تكون على مثل حالي، فأكون أنا وأنت في اللذة سواء. فقال والله يا أمير المؤمنين لا أشتهي ذلك إلا معك. فقال: لا. انصرف إلى منزلك. فانصرف عنه جعفر فما هو إلا أن ذهب من الليل بعضه حتى أوقع به من البأس والنكال ما تقدم ذكره. وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من المحرم وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة كان عمر جعفر إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة[١].

وكان من المفروض على المؤرخ تجاهل هذه الفرية الواضحة، أو إن ذكرها يفندها، أو - على الأقل - يشكك في مصداقيتها. فهي تهمة شنيعة لأحد عظماء الخلفاء العباسيين الذين أعز الله بهم الإسلام والمسلمين.

وكان يكفي من المؤرخ أن يسأل نفسه: هل كنت حاضرا وعشت تلك الحادثة؟ فالإجابة الطبيعية: لا، ولكنها وردت في كتاب تاريخ لرجل علامة وصالح. فيسأل نفسه: هل من المناسب أن يصدق العاقل ما يرد في كتب التاريخ مثل تصديقه لما يرد من أخبار في القرآن الكريم والسنة النبوية بنصوص قطعية الثبوت والدلالة؟

ومن الأمثلة الخطيرة تهمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها حثّت على قتل الخليفة الراشد الثالث، عثمان رضي الله عنه، وأنها وصمته بأنه "نعثل". ومن يتأمل في سياقات القصة يجد أنها من الأسلحة الخبيثة التي استعملتها الفئة الباغية التي استشهد الخليفة على يديها.

يكفي أن يقف المؤرخ أو المسلم المتحمس لمواقفه تجاه الشخصيات التاريخية أن يتذكر ما ورد في باب "تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان"، ومنها قول النبي ﷺ "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"[٢].

---

(١) انظر الفصل السابع الذي يكشف الحقيقة في الموضوع.

(٢) النووي، رياض الصالحين.

ولهذا يجب على المسلم أن يحذر من الجرأة في ترديد التهم لمن انتقلوا إلى الدار الآخرة، معتمدا في ذلك على بعض الروايات التاريخية. وينبغي للمسلم أن لا يصدق أو يؤمن بهذه الروايات التاريخية والأخبار - حتى الحاضرة منها - تصديقه وإيمانه بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الموثقة.

وليحذر العاقل من إصدار أحكام الإدانة على أي إنسان إلا بالمحاكمة العادلة حيث الخصم والمتهم أو من يمثلهما حاضران وشهودهما. وليحذر العاقل الخوض في أعراض المسلمين الأموات ومحاكمتهم غيابيا. والأسلم في ظروف لا تتوفر فيها شروط المحاكمة العادلة هو أن نصدر حكما بالبراءة، بدلا من أن نصدر حكما بالإدانة، حيث يقول الرسول ﷺ: "لئن يخطأ الحاكم في العفو خير له من أن يخطأ في العقوبة"[1].

كما يجب أن نميز بين الحذر المبني على الشك أو التردد بين احتمالين متساويين من جهة، والظن الذي يُرجِّح صدق الخبر السلبي الذي لم يثبت بعد من جهة أخرى. فهما أمران مختلفان، لأن الأصل براءة المتهم حتى تثبت إدانته.

وهذا لا ينفي ضرورة الموازنة بين حقوق الأفراد وحقوق المجتمع، مثل التحذير من ضلالات إنسان قد يكون لقوله وزن فيضل به بعض الناس. فكما أن للأفراد حقوقا يجب مراعاتها فإن للمجتمع حقوقا يجب مراعاتها كذلك.

وقد يخوض بعض المسلمين فيما جرى بين صحابة رسول الله ﷺ من خلاف، أو صراعات دامية. والواجب على المسلم أن يدرك بأنه حتى عندما نكون متأكدين بأن الشخص ذاته قد ارتكب خطأ فإنه ينبغي الحذر من الخوض في الدوافع التي جعلته يرتكبه. فهي من الأمور الغيبية؛ وينبغي الحذر من إساءة الظن به. فقد تكون الأسباب خارجية وقاهرة، والغيب لا يعلمه إلا الله. ويجب أن لا ننسى أننا أحيانا نفشل في تقصي الحقائق والوصول إليها مع توفر كل شروط المحاكمة العادلة، فكيف في ظروف لا تتوفر فيها مثل هذه الشروط؟

---

(١) الترمذي، الحدود: ٢.

وحتى عندما يكون هناك نزاع بين طرفين وخطأ أحد الطرفين مؤكد يجب أن لا نكون من الجهل بحيث ندين أحدهما ونحكم عليه بالجرم وننسى احتمال كون الاثنين مخلصان فيما ذهبا إليه، كل حسب نيته ووجهة نظره. وقد يبدو لعلمنا البشري القاصر أن أحدهما كان مخطئا ويستحق العقاب، ولكن بالنسبة للعلم الرباني والعدل الإلهي قد لا يكون كذلك. يقول النبي ﷺ: "اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[1]. وما ينطبق في حال الحاكم الذي يجتهد للآخرين ينطبق في حق الفرد الذي يجتهد لنفسه.

لهذا فإنه يجب أن لا نستبعد كون الطرفين كانا مخلصين في نواياهما، وحريصين على الوصول إلى الحق وبذلا قصارى جهودهما في سبيل الوصول اليه، ولكن أخطأ أحدهم في الاجتهاد. وإذا كان هناك حاكم أو قاضي جدير بحسن الظن بدوافعه فإن صحابة رسول الله ﷺ وخير القرون أول من يستحقون مثل هذا الظن. فقد رضي الله عنهم، وتوفي رسوله عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راض. وكل ما نستطيع قوله هو أن هذا القرار أو ذاك كان أقرب الى الصواب من الآخر. لا نشك في حسن نواياهم ونسأل الله المثوبة لهم والعفو عنهم، ثم نحرص على تجنب ما بدا لنا أنه أقرب إلى الخطأ.

وهذه القاعدة يجب أن تشمل جميع من انتقلوا إلى رحمة الله كذلك والأحياء الذين لا نستطيع محاكمتهم في ظروف تتوفر فيها شروط المحاكمة العادلة للخصوم الحاضرين والقادرين على الدفاع عن أنفسهم.

وليس هذا غريبا على من يقرأ كثيرا عن المؤامرات السياسية ولا سيما المؤامرات الصهيونية ومؤامرات أصحاب الإمبراطوريات المالية، ولمن يعرف إلى أي درجة تقدمت كتابة القصص العلمية الخيالية science fiction وصناعة الأفلام. وليس مستغربا على من يدرك إلى أي درجة انحطت البشرية بسبب طمس الفطرة البشرية وغياب المبادئ الأخلاقية التي جاءت بها الأديان. فقد أصبح المال والثروة والشهرة كل شيء في حياة الإنسان المعاصر إلا من عصم ربي.

---

(١) البخاري، الاعتصام: باب أجر الحاكم.

والأكثر إيلاما للمسلم أن يرى أن كثيرا من المسلمين يصدقون الأخبار تصديقهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الموثقة. يصدقونها وإن كانت ضد رموزهم، مثل أصحاب محمد ﷺ وإن كانت ضد إخوانهم من المسلمين، وتحتمل أن تكون أخبارا كاذبة أو افتراءات مُدبّرة. فالله سبحانه وتعالى يحذر من ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1] ويقول الرسول ﷺ: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع"[2]. فإثم من يردد الكذبة على وجه التصديق والترويج وليس على سبيل التشكيك والتحذير والتفنيد لا يقل عن إثم منشئها.

صعوبة التحقق من دعاوي الخصمين:

من المعلوم أن القاضي كثيرا ما يحتار في تحديد المخطئ من المصيب، والخصمان أمامه، يدافع كلٌ منها عن وجهة نفسه. فكيف الأمر في حالة غياب الخصوم؟

وهناك أمثلة عديدة يصعب حصرها عن المواقف التي يحتار فيها العاقل عن تحديد المخطئ من الطرفين المتخاصمين. ولعله من المفيد إيراد بعضها. حضر أحدهم خصومة بين اثنين، يقول أحدهم كنت أمر بسيارتي في حي لأساتذة إحدى الجامعات السعودية، قبل أكثر من ربع قرن، فلاحظت عند باب أحد المساكن رجلين يتبادلان الصياح والشتائم، وعلى وشك الالتحام في معركة بالأيدي. فأوقفت سيارتي ونزلت مسرعا، في محاولة لتهدئة الطرفين... ووقفت بينهما سائلا "خير إن شاء الله" و"بسيطة...".

أسرع أحدهما قائلا "انظر. بلحية، ولا يستحي، ويطارد بنات الناس حتى إلى بيوتهن..." فاعترض الآخر قائلا "أنت اللي ما تستحي، تترك أهلك يدشرون

(١) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٢) مسلم، المقدمة: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

بالسيارة في الشوارع لوحدها...".

وكانت رواية الرجل الأول أن زوجته الحامل كانت تقوم بتدريباتها اليومية بالمشي في المنطقة المجاورة للمنزل. ثم دخلت مسرعة، وهي تلهج، وتصيح مستغيثة: "الحقني. فيه رِجّال ما يستحي يغازلني...، وشتمته، فأخذ يلاحقني حتى البيت. ويمكن هو اللي يدق الجرس، يحسب ما في البيت رِجّال". فخرج وبالفعل وجد رجلا...

أما رواية الثاني، فكانت أنه رأى امرأة، عند السوق المركزي، تركب سيارة لتسوقها، وعندما أراد نصحها أسرعت بالسيارة إلى منزلها. وبدافع الغيرة ومن باب الأمانة، أراد أن يخبر أهلها، فربما أنها أخذت مفتاح السيارة بدون علمهم، ولا سيما أن الوقت كان ليلا، فطرق عليهم الباب...

وهنا وقف الراوي، وسأل: من تصدق؟ الأول، أو الثاني؟

في الحقيقة، وقف المستمع حائرا. وهذا أمر طبيعي، فكثيرا ما يقف القاضي حائرا أمام أقوال أو ادعاءات الخصمين الموجودين أمامه، وذلك بالرغم من توفر فرصة التحقق بمواجهة أقوالهما ومناقشتها في حضورهما. ولهذا لا نعجب إذا قال النبي صلى الله عله وسلم: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلي وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ من بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ له بِحَقِّ أَخِيهِ شيئا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ له قِطْعَةً من النَّارِ"[1].

تمارين الأخبار والقصص التاريخية:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- ارجع إلى كتابين أو مقالين كتبا عن مفهوم الخبر والكلمات الأخرى المرادفة، وناقش ما كتباه، واكتب ما ترجحه من المفاهيم الموجودة فيهما.

٢- هناك مختصون في تسجيل الأحداث الماضية، ونصوصها، فما الذي يجمعهم وما الذي يفرقهم؟ واضرب مثالا لمراجع كل نوع، غير واردة في الكتاب.

---

(١) البخاري ج٢ ص٩٥٢.

٣- للأخبار مصادر، وللمشتركين في صناعة الحدث طبيعة مميزة، وللأخبار مكونات رئيسة، اكتب عن واحدة من العناصر، مستعينا بمراجع غير الكتاب والأمثلة اللازمة للتوضيح.

٤- للأخبار والقصص التاريخية طبيعة خاصة، تحدث عنها، مع ضرب الأمثلة اللازمة، بالرجوع إلى مرجعين على الأقل.

٥- هناك خطورة بالغة في ترديد الأخبار أو القصص التاريخية السلبية، اكتب عن طريقة التعامل معها، مستعينا ببعض نصوص الكتاب والسنة، وضرب الأمثلة من كتب التاريخ الإسلامي.

٦- يردد المؤلف قول "القاضي كثيرا ما يحتار في تحديد المخطئ من المصيب، والخصمان أمامه، يدافع كلٌ منها عن وجهة نفسه. فكيف الأمر في حالة غياب الخصوم؟". ناقش هذه المقولة مع ضرب الأمثلة اللازمة من واقع الحياة أو من أخبار الصحف أو الإذاعة أو الإنترنت.

الفصل الثالث

التحقيق في الأحداث التاريخية

إن عملية التحقق من الأخبار أو المعلومات ليست بالأمر السهل، ووضع قواعد للتحقق، مفصلة ومضمونة النتائج أمر هو أقرب إلى الاستحالة منه إلى التحقق. فالمؤرخ يتعامل مع أحداث مضت أسهم في صناعتها أشخاص قد ماتوا أو هي أحداث قد وقعت في الماضي، وإن كان بعض المشتركين فيها لا يزالون أحياء. ولهذا إذا طالبنا الباحث بالتحقق مما يكتبه، لا نطالبه بتقديم الأدلة الكافية لإدانة الشخصية التاريخية، ولكن نطالبه بأن لا يتهم بدون أدلة كافية قوية. فمهمته تنصب على تسجيل الأحداث بحيادية كافية، لا يتحيز إلى طرف من الأطراف المتنازعة على حساب الطرف الآخر، قدر الإمكان. فمهمته تختلف عن مهمة المحقق أو المحامي الذي يبحث عن أدلة للإدانة أو أدلة للتبرئة. وهناك قواعد عامة يمكن استنتاجها من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتجارب البشرية، تعين الفرد العادي أو المؤسسات المتخصصة في عملية التحقق مما يصلها من أخبار. فهذه الوسائل تُقرِّب المسترشد بها إلى الحق وتجنبه المخاطرة بحسناته وسمعته كإنسان عاقل.

وصحيح أننا نحتاج إلى معرفة التجارب السلبية للتعرف على أسبابها ونتائجها لنتجنب الوقوع فيها، ونحتاج إلى التعرف على أسبابها ونتائجها الإيجابية لنقتدي بها ونكررها. ولكن نظرا لصعوبة التحقق من أحداث الماضي، ولا سيما فيما يتعلق بالشخصيات المحددة، فإنه يتحتم علينا كمسلمين الالتزام بما أمرنا الله به، مثل اجتناب الخوض فيما ليس لنا به علم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1]. ومثل الخوض فيما ارتكبه السابقون من

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

أخطاء ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾[1]. وهذا يعني أن نكون حذرين عند الحديث عن سلبيات الأشخاص المحددين، ونتوقف عنها إلا أن نجد أدلة دامغة تثبتها، وإلا فالأصل التغاضي عنها. فقد انتقلوا إلى الدار الآخرة وحسابهم على الله عالم الغيب والشهادة.

وهناك بعض الوسائل تعين في التحقق من مصداقية القصة التاريخية سنتحدث عنها في هذا الفصل، وإن كان بعضها وسائل تشترك فيها جميع أصناف الأبحاث العلمية.

عينة ممثلة من الروايات:

يجب على الباحث أن يحصر جميع القصص والروايات ذات العلاقة بدراسته، ولا سيما ما يمثل وجهات النظر المختلفة جميعها حول الشخصية أو المجموعة ذات العلاقة بالحادثة. وعليه أن يحذر الاقتصار على جمع نسخ متطابقة في رواية الحدث أو في التعليق عليها.

فليس هناك شخصية إلا ولها أصدقاء وأعداء، وليست هناك حادثة إلا وتتعدد الروايات حولها وتختلف. وقد يكون الاختلاف بسبب زيادة رواية عن أخرى بمعلومات أساسية أو تفصيلية، أو يكون بسبب التعارض. ومن المعلوم أن بعض المعلومات حتى الصغيرة قد تكون سياقا مهما، تُحوِّل الحادثة الواحدة من سلبية إلى إيجابية أو بالعكس.

وهناك ضرورة للتفريق بين الأقوال المنسوبة إلى الأشخاص والأفعال. فالأقوال تندرج تحت مسمى الوثيقة، وينبغي أن تكون واحدة، حتى عند اختلاف الناقلين. وأما الأفعال فهي روايات لمن حضروا الفعل أو شاركوا فيه، وقد تتعدد بسبب تعدد موقف الشاهد من الفعل أو الحدث أو المشاركين فيه، وبسبب اختلاف الخلفيات الذهنية والعاطفية...

---

(١) سورة البقرة: ١٤١.

ومما يتعلق بالعينة الممثلة يجب أن يعتمد المحقق على المصادر الأساسية الأقرب إلى الوقائع التاريخية، من حيث الزمان والمكان، ومن حيث شهود العيان، وأن يعتمد على المصادر التي تعنى بسرد الأحداث أكثر من التعليق عليها. فكتب التاريخ العامة يغلب عليها الروح المحايدة، بخلاف الكتب المخصصة لدولة محددة أو لشخصية محددة فيغلب عليها أن تكون محشوة بالآراء والتعليقات والتعميمات المتحيزة.

قراءة ناقدة ومتعمقة:

تتمثل القاعدة الأولى في تقسيم القصص والروايات ذات العلاقة إلى حقائق متفق عليها، وأخرى مختلف فيها. ولا يتم ذلك إلا بالقراءة الناقدة والمتعمقة للقصص كلها، ولهذا ينبغي على المحقق أو الباحث أن يقرأ الروايات المختلفة قراءة ناقدة ومتعمقة، وليست قراءة سطحية تجمع ما هب ودب أو قراءة تنتقي بطريقة عشوائية المعلومات المتيسرة والأكثر طرفة، وتحفظ وتردد أو تنسخ. فكثيرا ما يواجه القارئ أقوالا تُردّد بكل بساطة، مع أنها تتعارض مع العقل والفطرة، وذلك ثقة في مصادرها. فيشبه من يسأل ثقة عنده عن موقع مكة المكرمة فيقول له هي في الجنوب الغربي من الرياض، ولكن أشار له الثقة خطأ إلى الجنوب. فيستمر في السفر أياما تجاه الجنوب، دون ملاحظة للجهة التي تطلع منها الشمس وتغرب. فينحرف أكثر عن هدفه بصورة مستمرة، دون أن يشعر، وذلك بسبب تعطيله لعقله.

فالسطحية في القراءة أمر خطير، ولا سيما إذا صدرت ممن يعتبرهم البعض قادة للرأي. فقد يكونون سببا في ضلال خلق كثير وانحرافهم عن جادة الصواب. وقد يكونوا سببا في اتخاذ قرارات مصيرية ذات خطر عظيم في الحاضر والمستقبل. ومثال القراءة السطحية أن يصنف جميع أتباع القيادة الواحدة تحت صنف واحد، أو منحهم سمة عامة واحدة. فالأصل أن يبذل المحقق جهدا كافيا للتعرف على مكونات تلك المجموعات والتعرف على الفئات الفرعية داخلها، وتحديد السمة العامة لكل مجموعة فرعية. كما يجب عليه أن يتعرف على درجة التزامها بمبادئ

ومواقف القيادة العليا ودرجة تمثيلها لها، وأن يتعرف على موقفها الحقيقي من أهداف القيادة العليا. فالمنافقون مثلا كانوا تحت قيادة النبي ﷺ، ولكنهم لا يمثلونه، بل كانوا فئة تتظاهر بالانتماء إلى الإسلام، ولكنها تحاربه وتحارب قيادته في الخفاء، وبكل ما تستطيع من وسائل.

ومن التعميم، التصور بأن "كل الكافرين هكذا يفعلون، كل المسلمين هكذا يفعلون، كل الناس يعملون هذا..." والملاحظ أن كلمة "كل" ومشتقاتها الصريحة أو المبطنة تمتلئ بها أحاديث الناس المنشورة وغير المنشورة، المصنفة بأنها علمية أو غير علمية، سواء في الدين أو في الأمور الدنيوية...

فهو مبدأ أو عادة أو حجة شائعة ينطلق منها ويستند إليها المدافع عن الحق وعن الباطل.

ومن أشكال القراءة السطحية الإيمان بمصداقية الخبر أو الرواية، دون عرضها على الحقائق الفطرية أو العقل والمنطق، مع أنها معلومات غير منسوبة إلى الخالق وإلى أنبيائه أو نسبتها إلى الله ورسوله غير ثابتة.

ومن القراءة المطلوبة قراءة **الوثائق** بطريقة متأنية ناقدة. فمثلا أعلنت الحكومة الأمريكية بأنها وجدت "وثيقة" تدين - في رأيها - ١٩ من المسلمين في أحداث ١١ سبتمبر[1]. وهي الوثيقة الوحيدة وأنها وجدت نسخا منها. ومن يتأمل قصة الوثيقة ونصها لا يملك نفسه من السخرية، وذلك للأسباب التالية:

١- تقول القصة الرسمية بأن من كتب الوثيقة الوحيدة التي تدين المتهمين المسلمين هو أحدهم وعمره ٣٣، واسمه محمد عطا، وأنه نسي أمتعته عند ركوب الطائرة ليجد البوليس السري الأمريكي FBI "الوثيقة" المزعومة في حقيبته. ومما يثير الغرابة أن رئيس العملية الذي كان يوصي في "الوثيقة" رفاقه بعدم نسيان حقائبهم، وملابسهم، **وسكاكينهم**، ووصايهم، وبطاقاتهم، وجوازات سفرهم، وجميع أوراقهم، نسي هو حقيبته. هناك احتمالان: أن عطا تركها

(1) Woodward, Bring knifes.

ليعترف بالتهمة، أو كانت القصة الرسمية الملفقة، تحتاج إلى هذا النسيان، ليجد مسؤولو الأمن في الحكومة الأمريكية ما يؤيد روايتهم.

٢- أما عن مضمون الوثيقة فيعجب الإنسان أن يكتب محمد عطا هذه الوصية لزملائه في ليلة الحادثة، إضافة إلى حمل الجوازات في رحلة داخلية...، وقبيل ساعات من تنفيذ العملية الانتحارية، يقول لهم: "تأكدوا من نظافتكم، ونظفوا ثيابكم، بما في ذلك أحذيتكم". ويقول لهم "... يجب أن تصلوا وأن تصوموا، ويجب أن تطلبوا الهداية والعون. استمروا في الصلاة أو الدعاء هذه الليلة واستمروا في تلاوة القرآن." والسؤال: هل يحتاج الذين سينفذون عملية انتحارية إلى النصائح وفي ليلة العملية الانتحارية؟ وأي صيام إسلامي هذا الذي سيكون في الليل، وقبيل ساعات من العملية الانتحارية؟ ولماذا يأخذون وصيتهم معهم لتحترق، بدلا من حفظها عند من يتوقع لهم العيش بعدهم؟ ويقول في "الوثيقة" المؤلفة "بسم الله، وباسمي، وباسم أسرتي..." من الواضح أن من ألّف القصة الرسمية لم يكن مسلما أو لديه معرفة كافية عن الإسلام، وكان ينتقي بطريقة عشوائية بعض النصوص الإسلامية.

القراءة المحايدة:

هناك ضرورة لقراءة الروايات التاريخية بعين محايدة، وذلك للوصول إلى ما هو أقرب إلى الحقيقة، وليست القراءة الانتقائية للحصول على أدلة تسند المواقف المسبقة من الشخصية التاريخية المحددة في الحادثة. وينبغي على الباحث أن يتنبه أيضا إلى أساليب المبالغة والتعميمات التي يرددها كثير من مؤلفي كتب التاريخ الثانوية أو المصادر الثانوية. وعلى القارئ التيقظ لمبالغات الراوي وتناقضاته في خبره أو تلونه حسب الظروف، ولتحيزاته أو للدسائس التي يبثها الغلاة أو الأعداء في ثنايا الرواية، ولا سيما في حالة وجود أطراف متنازعة أو متنافسة. وتظهر المبالغة في صورة التعميم، واستعمال مفردات المبالغة، مثل، كل، وجميع، ولا أحد...

فمثلا أقامت إحدى التربويات قضية سرقة من كتابها على أحد الدعاة المشهورين. وكان هناك تطابق في مواد كثيرة من الكتابين. مما يوحي بنظرة سطحية أن الكتاب المنشور لاحقا قد سرق من الكتاب المنشور سابقا.

ولكن بدا واضحا من النظرة المدققة أن ما حصل بين الكتابين المذكورين ليس سرقات، ولكن نقل لمعلومات يغلب على معظمها أنها مشاعة، لا يملك حقها أحد المؤلفين، ولا يحق له إقامة دعوى سرقة فيها.

ومن أمثلة التهاون في الرجوع إلى صاحب الخبر ومن يدور حوله خبر انتشر عن مشاركة فرقة نسائية مختصة في الدبكة اللبنانية في إحياء عيد مدينة حائل. فقد نفت اللجنة المنظمة للعيد في حائل أن يكون ضمن فعاليات المهرجان دبكة لبنانية نسائية. وأكدت وجود فرقة دبكة لبنانية رجالية ١٠٠٪ وبدون موسيقى ومعتمدة من مجلس التنمية السياحية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحائل.

ومن الأمثلة المعاصرة أيضا، نفى رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط الصادرة من لندن طارق الحميد، خبر إيقاف الإعلامي عبد الرحمن الراشد عن الكتابة اليومية في الجريدة. وفي محاولة جديرة بالاحترام قام موقع "شريط" بالاتصال برئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط السابق ومدير قناة العربية، عبد الرحمن الراشد، على هاتفه الشخصي؛ ليؤكد أو ينفي صحة إيقافه عن الكتابة اليومية، **ولكن للأسف لم يأته أي رد ..**

ومما يبرز صعوبة عملية التحقق من الخبر حتى بالنسبة لاثنين من الأحياء أن "مصدرا إعلاميا مطلعا" أعاد التأكيد لموقع "شريط" الإلكتروني، أن عبد الرحمن الراشد تلقى رسميًا قرار إيقافه عن الكتابة منذ نحو خمسة أيام، الأمر الذي يفسر الغياب المستمر لزاويته خلال الأيام الأخيرة[1].

وعلينا أن نتذكّر تحذير النبي، عليه الصلاة والسلام، الذي يقول: "لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك". والأحاديث كثيرة

(١) منتدى عبد العزيز قاسم:١٩٥٩.

في تحريم سوء الظن بالمسلمين، وفي سب أحيائهم وأمواتهم[١]. ومن المزالق الذكية جدا، التي يزيّنُها إبليس وأعوانه للمخلصين من الدعاة والمتحمسين من المسلمين هذا المنزلق. فيحاكمون الأحياء والأموات من اخوتهم المسلمين والمسلمات غيابيا، وذلك بالاعتماد على ما يكشفونه مما في صدورهم، وما يدور في أذهانهم من النوايا المستقبلية... ويحدث كل ذلك منا، بكل سهولة ويسر، ونصفق لهذه المحاكمات المبنية على الظنون، بكل حماس...

وهو أمر يختلف عن نقد أعمال مكتوبة أو أقوال أو أفعال للآخرين، بعد التأكد من نسبتها إليهم، ولكن بدون تجاوز ذلك النقد إلى أشخاصهم. وأقول النقد، أي توضيح السلبيات والإيجابيات والترجيح بينها، وليس التجريح والمحاكمة، والحكم عليهم غيابيا، سواء أكانوا أحياءً أم أمواتا.

ويختلف نقدنا ومحاكماتنا للآخرين عن ما يرد في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الموثقة من أخبار سلبية عن معتقدات بعض الأشخاص، وأقوالهم وأفعالهم، وصفاتهم الشخصية. وذلك لأن أحدا من المسلمين لا يدعي أن لديه علم يعادل علم الله أو علم نبيه الذي ينزل عليه الوحي والإلهام... وهناك فرق بين أن نردد ما ورد من أخبار في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، وإن كان فيه ذكر لبعض الأموات بالسوء وبين أن نكيل الشتائم لمن يخالفوننا أو يخالفون الحق. فما يرد في القرآن والسنة الموثقة عن الموتى، يصدر عن علم مؤكد، والهدف منه ليس محاكمة الميت، ولكن للاعتبار والتعليم، ولعلاقتها المباشرة بالتشريع الذي جاء به سيد المرسلين. ومثال ذلك قصص الأخطاء التي وقع فيها بعض الذين عاشوا مع النبي ﷺ سواء أكانوا مسلمين أو منافقين... فلولا علاقتها المباشرة بالتشريع لما وردت في النصوص المقدسة، وجاز ترديدها، وقد مات أصحابها.

ومن زاوية أخرى، إن كان الإسلام يشجع على الستر على الأحياء فالأموات أولى بذلك. وإن كانت الغيبة هي ذكر المسلمين بالصفات التي يكرهونها وهي حقيقية، فإن

(١) انظر مثلا رياض الصالحين للنووي.

ذكر المسلمين بما يكرهون من الإشاعات أولى بأن تكون غيبة أو بهتانا عقوبتها عظيمة. ومن يعتقد بأن هدفه هو النصح، فينبغي عليه إن كان ناصحا أو داعية مخلصا أن يحرص على إيصال النصيحة إلى المنصوح نفسه، وليس إلى من يهتفون لها، لأنها تعبر عن آرائهم ومشاعرهم ومواقفهم التي قد تكون خاطئة. وليس إيصالها، كذلك، إلى من يتحمسون لنشر هذه الصفات السلبية التي قد يتصفون بها هم أنفسهم أو بما يشابهها، أو من المحتمل أن يقعوا فيها أنفسهم، لو وقعوا في الظروف نفسها.

افترض أحدهم أن الأمر الملكي الذي يحصر الفتوى في المملكة العربية السعودية، في هيئة كبار العلماء ولجنة الإفتاء هو من صناعة المصلحين المغرِّبين، لمحاربة المصلحين الإسلاميين. واتضح أن الأمر الملكي كان اقتراحا لأحد المصلحين الإسلاميين المتحمسين لكثير من أعضاء الهيئتين الرسميتين المتخصصتين في الفتوى... وصدر هذا الاقتراح اقتداء بالأوامر الرسمية المماثلة في ظروف كانت موجودة في العهود السابقة، حيث كان الجهل منتشرا بين الناس، وحيث كان بعض أعداء الدولة يستخدمون الفتاوى لمحاربتها. وهو عهد قد مضى، مع انتشار العلم ومع يسر الحصول على المصادر الإسلامية الموثقة ووسائل فهمها، وبعد انكشاف التعدد المقبول لفهم النصوص الثابتة ظنية الدلالة. بل انكشف خطأ بعض المفاهيم التي بقيت سائدة ردحا من الزمان بين كثير من طلبة العلم ولها شعبية واسعة مرتبطة بشعبية قائليها... ولا تزال بعض آثار هذه الآراء باقية حتى بين طلبة العلم المخلصين والمتحمسين لإصلاح الآخرين من كبار الدعاة...

رد الخبر إلى الله ورسوله والمتخصصين:

من تلك القواعد المتعددة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

(١) النساء:٨٣.

انطلاقا من هذه القاعدة فإن المسلمين في حياة النبي ﷺ كانوا يعودون إليه للتحقق فيما قد يصل إلى أسماعهم من أخبار. فماذا عن اليوم؟ في الحقيقة، حتى نحن اليوم نستطيع ذلك. فهناك القرآن الكريم وهناك السنة الموثقة، نعود إليهما في بعض الوقائع. كما أن أولي الأمر من ذوي السلطان، والعلماء المتخصصون في كل مجال متوفرون نستطيع الرجوع إليهم. كل في مجال تخصصه يستطيع- إلى درجة كبيرة- تمييز الخبر الذي يحتمل الصدق عن غيره.

والاستعانة بالقرآن الكريم والسنة في التحقيق يتم بمعارضة محتوى الخبر بما جاء فيهما من نصوص صريحة فنقبل ما يوافقهما ونرفض ما يعارضهما، ونحقق ما سكتا عنه بوسائل أخرى.

ومثال ذلك أن يقول بعض علماء الأحياء أن أصل الإنسان كان قردا قبل أن يتطور إلى الهيئة التي هو عليها. فنقابل ذلك بما ورد في القرآن حيث يؤكد القرآن الكريم بأن الله قد خلق الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه، وخلقه في أحسن تقويم، وبصفته مخلوقا مستقلا[1].

ومن الأمثلة إنكار بعض المؤرخين ورود ذكر النبي محمد ﷺ في التوراة، ويثبت القرآن الكريم ذلك، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾[2].

ومن أمثلة الاستعانة بالمتخصصين في المجالات ذات العلاقة الاستعانة بخبرات الطيارين، وخبراء المتفجرات وخبراء التصوير، في حادثة الأبراج الثلاثة في نيويورك في ١١ سبتمبر.

إقرار المعني بالأمر:

يأتي هذا الدليل في صورة المقالات التي يكتبها الإنسان أو التصريحات التي

(١) مثلا الحجر: ٢٨ - ٢٩؛ التين: ٤.

(٢) سورة الصف: ٦.

يدلى بها، سواء كانت شفهية أو مكتوبة. وتستند هذه الوسيلة إلى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1] إلى آخر الآيات. كما تستند إلى النصوص الأخرى المتصلة بالاعتراف وأحكامه.

وهذا الدليل كاف في العادة ولكن قد لا يتوفر، وقد ينكره المصرح به عند التحقيق، إذا كان الخبر سلبيا. وقد أصبحت عملية التحقق بهذه الطريقة ميسورة نسبيا بالنسبة للأحياء، بسبب توفر وسائل التسجيل والاتصال، كالهاتف والفاكس والإنترنت والبريد الإلكتروني وغيرها، سواء للتواصل أو للتسجيل بالصوت والصورة بأجهزة أصبحت في متناول أيدي المهرة والأشخاص العاديين.

ومع هذا فانه يجب ملاحظة عدم الاكتفاء بالتحقق السطحي، مثل الاعتماد على شريط يسجل صوت المعني بالخبر أو حتى صورة الحدث. فعملية مونتاج بدائية يمكن أن تضع على صوت الإنسان كلاما لم يقله الا أن فقرات ذلك الكلام مما قاله.

ومثال ذلك أن تقول: "لعنة الله على الشيطان". في مناسبة من المناسبات؛ وتقول في مناسبة أخرى: "بارك الله في "فلان" وجزاه خير الجزاء". تقصد صديقا أحسن إليك فتدعو له. فيأتي وغد لئيم ويقطع اسم صديقك من الجملة الثانية ويضعها مكان كلمة "الشيطان". فالصوت صوتك، والكلمات كلماتك، ومع هذا فإن المعنى ليس لك لأن الجملة ستصبح لعنة الله على "فلان".

ويضاف إلى ذلك التقليد المتقن للأصوات، والقدرة على تأليف كلام من مقاطع الأحرف التي نطق بها الإنسان. وعملية الخدع التصويرية في تأليف المناظر معروفة. فقد يضطر المخرج البارع إلى تصوير دور كل ممثل على انفراد ثم بعملية المونتاج الماهرة يظهرهما في المسلسل يتحادثان أو يتحاوران أو يتشاجران معا.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

الشـــــهود[١]:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾[٢].

وترتبط قوة هذه الحجة أو الدليل -عادة- بعدد الشهود ودرجة عدالتهم أي الثقة فيهم[٣]. وقد قامت هذه القاعدة في التحقيق بدور حاسم في تحقيق السنة النبوية وبعض الروايات التاريخية[٤]. ويعود الفضل في تطوير هذه القاعدة إلى علماء القراءات وعلماء الحديث. فعلى أيديهم أصبحت هذه القاعدة علما مستقلا له شأنه، وأهميته، تفرع إلى علوم أخرى منها علم الإسناد وعلم الجرح والتعديل. فقد تم جمع تراجم عديدة للقراء ولرواة الحديث للتعرف على كفايتهم العلمية وميولهم واتجاهاتهم ومستوى تطبيقهم لتعاليم الدين الإسلامي والتزامهم بمبادئه وقدراتهم العقلية في مراحل حياتهم، مثل قوة الذاكرة، الدقة في الحفظ، واحتمال اللقاء بين الراوي والمروي عنه. وفي ضوء هذه التراجم أمكن تعديلهم أو جرحهم، ليتم في ضوئه تقدير مصداقية القراءات بالنسبة للقرآن الكريم، وبالنسبة للخبر المنسوب إلى الرسول ﷺ عن طريقهم.

ولكن يلاحظ أن إمكانية استثمار منهج المحدثين في تحقيق الأحداث التاريخية محدودة، ويعود هذا إلى أسباب رئيسة، منها:

١- أفعال الرسول ﷺ وأقواله معلنة أمام الناس بما في ذلك كثير من جوانب حياته الخاصة. فهي إما نماذج يجب أن يحتذى المسلم بها وإما تعليمات يجب أن يطبقها للفلاح في الدنيا والآخرة. وهو ﷺ مأمور بإظهارها للناس فهي ليست أسرارا يحرص على إخفائها أو التمويه عليها. وهي ليست صفات، لا

(١) وانظر البيانوني، وخاطر، ج٤: ٢٥٣ - ٢٦٣.

(٢) سورة النور: ٤.

(٣) ابن العربي ص٥٣؛ الطحان، أصول؛ حسين، الجرح.

(٤) انظر البيانوني، وخاطر، ج٤: ٢٥٣ - ٢٦٣.

تتوافر في الواقع فيضطر إلى ادعائها أو التظاهر بها مما يجعل عملية التحقق صعبة.

٢- أفعاله عليه الصلاة والسلام نماذج وأقواله وإقراراته أوامر وإرشادات. لهذا فان المسلم عندما يكون في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون متيقظا لما يفعله الرسول ويقوله أو يقره. ولهذا حرص بعض الصحابة على التناوب للمثول في حضرته[1]. كما كانوا يسألون أمهات المؤمنين، ومن كانوا يقومون على خدمته، حتى لا يفوتهم شيء مما يجب معرفته. أما حياة الشخصيات التاريخية الأخرى، فمهما بلغت عظمتها، لا تحظى بمثل هذه الأهمية، وبالتالي لا تلقى مثل هذا الاهتمام. أما حياة العوام من الناس فقلما يلتفت إليها الناس، إلا أن تلفت الانتباه لغرابتها. ولهذا لا نعجب إذا وجدنا مئات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يروون أقوال النبي عليه الصلاة والسلام بعباراتها ويروون أعماله بتفاصيلها، بينما تتضارب الروايات بالنسبة للأحداث التاريخية الأخرى، حتى البارزة منها.

٣- لقد كان التواتر (المجموعة تروي الخبر عن مجموعة حتى يتم تسجيله) في الماضي دليلا قويا على مصداقية الخبر، ولكن اليوم مع وسائل الإعلام الكاسحة أصبحت قضية التواتر تختلط في أذهان الناس بسهولة بالتعدد السطحي لوسائل الإعلام العديدة التي تذيع الخبر الواحد وبالصيغة الواحدة. فعندما تردد جميع الإذاعات ومحطات التلفاز والوسائل المطبوعة والمواقع الإلكترونية الخبر توحي إلى مستقبله أن هناك إجماعا يؤكد صحة الخبر. غير أنه عند تدبر الأمر والبحث عن جذور الخبر، قد نجد أن وراء كل هذا التعدد مراسلا واحدا لوكالة أنباء واحدة أو رجل علاقات عامة واحد. وهذا يختلف تماما عن مفهوم التواتر في أصول الحديث حيث يتعدد الرواة في الجذور ويستمر هذا التعدد من جيل إلى جيل.

---

(١) البخاري، كتاب العلم: التناوب في العلم.

ونظرا لهذا التعدد الخادع الذي ينتج عن تعدد وسائل الإعلام يتخيل الإنسان أن المصادر الأصلية أيضا متعددة. وقد يتخيل أنه سمع الخبر من مصادر أصلية أخرى غير وسائل الإعلام الجماهيرية. وهذا يحصل خاصة عندما يكون الإنسان متحمسا لذلك الخبر.

وهذا بالطبع يعني استحالة الوصول إلى الأصل الصحيح لكل خبر في هذا العصر فليحذر المسلم الكيس من الوقوع في شراك الأخبار التي يروجها الأعداء؟

وأما إمكانية الاستفادة من هذه القاعدة في التحقق من الأحداث المعاصرة فلا ينكرها أحد. فالشهود العدول كانوا ولا يزالون الفيصل في كثير من القضايا المتنازع عليها. فمن السهل التحقق من الأخبار المنسوبة إلى أو التي تدور حول الشخصيات والمؤسسات الموجودة، وذلك بمحاولة الاتصال بها أو بمن له علاقة مباشرة بها. فوسائل الاتصال الحديثة لا تعفي الناشر لهذه الأخبار من التحقق قبل نشرها، ولا سيما إذا كان النشر سيستخدم وسائل الإعلام الجماهيرية: المقروءة، والمسموعة والمرئية.

وقد يقتصر الناشر على راو واحد في الخبر الذي ينشره، وقد يكون الراوي متحيزا فيحرف الخبر من مدلوله الإيجابي إلى مدلول سلبي، بالنسبة للشخصيات الرئيسة أو أحدها. ومثاله تم نشر خبر يقول، بأن الأستاذ محمد صلاح الدين أصيب بجلطة في المخ، وأنه نُقل إلى مستشفى الدكتور الفتيحي، ولكن الأخير رفض استقباله، ولهذا تم نقله إلى المستشفى التخصصي. واتضح فيما بعد أن الدكتور الفتيحي الذي كان مشرفا على المريض في حالة الغيبوبة، أوصى بنقل صديقه إلى المستشفى التخصصي، حيث تتوفر الأجهزة المطلوبة التي لا تتوفر في مستشفاه، وأشرف بنفسه على عملية النقل[1].

السمة البارزة:

هناك ضرورة لتحديد السمات الشخصية العامة للأطراف المتنازعة الرئيسة

(١) الأنصاري، مجموعة عبد العزيز قاسم النشرة رقم ٢٢٤٩.

وأعوانها في الحوادث المحددة. وهذه القاعدة في التحقيق تعتمد - إلى حد ما - على القواعد السابقة ويلجأ إليها الباحث عند غياب الصريح منها. فهي من البراهين العقلية التي تستند إلى النقل غير المباشر. وهي بشكل عام تستند إلى حديثين: الحديث الأول يشير إلى أن الإنسان قد يتقمص - أحيانا - صفة من الصفات الحسنة أو السيئة فيلازمها. ثم ينتهي به الامر إلى أن تصبح هذه العادة سمة بارزة فيه. وذلك في قوله ﷺ: "... وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا،... وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"(١).

أما الحديث الثاني فيشير إلى أن الشهود العدول لا يخطئون السمة العامة أو الصفات العامة للأشخاص، سواء كانت صلاحا أو فسادا. فقد روى أنس رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ وبعض أصحابه(٢): "مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: "وجبت"، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال النبي ﷺ: "وجبت". فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ فقال: "هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض"(٣).

ويستفيد المؤرخ من هذه القاعدة بحصر القصص والروايات التي تتحدث عن شخصية محددة، فيصنفها في أصناف مميزة، وينظر أين يقع معظمها؟ وإلى ماذا تشير؟ هل تشير إلى أن هذه الشخصية تميل إلى الخير أو إلى الشر؟ وبهذا يحصل على معيار يطبقه على القصص الأخرى التي تدور حول هذه الشخصية. فيقبل ما يتسق مع السمة البارزة، ويرفض ما يتعارض معها.

ولما كان العفو عن شخص مذنب خير من اتهام أو عقاب إنسان بريء، فان ترجيح كفة هذه القاعدة على الشهود الآحاد المعدودين يبدو جليا، وبخاصة فيما يتصل بالشخصيات التي انتقلت إلى رحمة الله أو الغائبة التي يتعذر الاتصال بها بالنسبة للأخبار السلبية، والتأكد منها. ولا شك أن لكل قاعدة حالات استثنائية.

---

(١) الصالح، منهل، باب الصدق، حديث متفق عليه.

(٢) الصالح، منهل، ج٢: باب ثناء الناس على الميت.

(٣) صحيح البخاري ج١ص ٤٦٠.

ومثاله أن يستشهد باحث مجتهد في مرحلة الدكتوراه بقول يخالف العقل والنقل منسوب إلى أحد عظماء العلماء يقول نصه: "ليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك. والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك"[١]. ولو تأملنا في السمة العامة لكتابات ابن تيمية لوجدنا أن أبرز صفة تتسم بها هي تحكيم العقل، حيث يقول "بل نقول هذا لا بد من ثبوته بالعقل الصريح كما دل عليه النقل الصحيح"[٢].

وقد اعتمد ابن خلدون في دفع عدد من التهم التي دسّها الأعداء في التاريخ الإسلامي مستندا بصورة جزئية إلى السمة العامة للشخصيات المتهمة. ومن هذه التهم إرجاع سبب نكبة البرامكة إلى العلاقة **المزورة** بين أخت هارون الرشيد العباسية ووزيره جعفر البرمكي. فقد فنّد ابن خلدون التهمة، وأثبت العوامل الحقيقية التي أدت إلى نكبتهم. وكذلك فعل بالنسبة للتهم الموجهة للمأمون وقاضيه يحيى ابن أكثم بأنهما كانا يعاقران الخمر...[٣].

وتقترح هذه القاعدة على المؤرخ قبول القصص، وإن كانت مفصلة على حوادث صغيرة أو هي روايات فردية، لا تتعارض مع السمة العامة. وأما إذا تعارضت مع السمة العامة فينبغي عليه رفضها إلا أن تكون قوية من حيث السند، أي الرواة، مثل كونها وردت في نصوص مقدسة موثقة، أو تجربة شخصية للمؤرخ أو لشخص يثق فيه المؤرخ.

ظروف الحادثة وتطوراتها:

هناك ضرورة للإحاطة بملابسات الخبر وتطوراته. فلا بد للباحث أن يتعرف على السياقات والخلفيات المطلوبة. فكما أن الله يأمرنا بالتأكد والتبين من صحة الخبر الذي نتلقاه فإنه ينهانا أيضا عن الخوض فيما ليس لنا به علم. في قوله تعالى:

(١) ابن تيمية، مجموع ج٢٨: ٢٠٩؛ يلاحظ أن الجامع لم يدع أنه حقق ما جمعه، ولكن رتبه.
(٢) ابن تيمية، درء التعارض ج٧: ١٣١؛ وانظر النجدي، مجموع ج١٢: ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٣) ابن خلدون، المقدمة ص٢١ - ٢٧.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فالتبين من صدق الخبر لا يتم إلا بالإلمام بظروفه مثل أسبابه وملابساته. وبالنسبة للقصص التاريخية فإنه يجب معرفة تطوراتها أيضا.

فكثيرا ما يؤدي إلغاء الأسباب والتطورات الأخيرة إلى قلب الحقائق رأسا على عقب. فتبدو الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة. ولعل خير مثال يوضح هذه الحقيقة ما ورد في صحيح البخاري من حوار بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ورجل من مصر، حاقد على الخليفة الراشد، حول بعض الحقائق التي تمس حياة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

ويشبه هذا، في العصر الحديث وقوع قناة الجزيرة في فخ القوة المدبرة لأحداث ١١ سبتمبر، حيث نشرت اعترافا مُصنّعا لأسامة بن لادن. وغاب عن ذهن المسؤولين في الجزيرة، أمام إغراءات السبق الصحفي، أن تقارن بين ما قاله بن لادن عقب الحدث مباشرة وبين الاعتراف المزور الذي وصلها من جهة مجهولة تدعي أنها تمثل أسامة بن لادن.

الحذر من موقف المحب والكاره:

ومن قواعد التحقيق الأخرى التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة هي حاجة المحقق إلى معرفة الطبيعة البشرية، فالإنسان مجبول على تذكر محاسنه الشخصية و فضائل من يحبهم. وغالبا ما تدفعه هذه الفطرة تلقائيا إلى المبالغة في وصف تلك المحاسن أو تخيلها وتعميمها. والإنسان أيضا مدفوع بالفطرة إلى تتبع مساوئ من يكرههم وإلى غمط فضائلهم، وربما دفعه ذلك إلى تضخيم رذائلهم.

ولنا في قصة امرأة العزيز مع يوسف عبرة، إذ راودته عن نفسها فلما رفض اتهمته وأدخلته السجن دفاعا عن نفسها، ولكنها أقرت بخطئها في النهاية، حيث

(١) الاسراء: ٣٦.

(٢) البخاري، كتاب مناقب الصحابة: باب مناقب عثمان.

ورد عن لسانها في القرآن الكريم قولها: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[١].

ولهذا قال النبي ﷺ: "لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر(ذي حقد وشحناء) على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع (الخادم المنقطع للخدمة) لأهل البيت"[٢].

فالحديث هنا ينطلق من المعرفة الجيدة للطبيعة البشرية، فالحاقد كالمحب قد يشط في شهادته. اما بالتحيز ضد من يحقد أو بالتحيز لمن يحب. ولعل من أبرز الأمثلة تلك القصص التي ألفها ويروج لها الشيعة الذين تسيطر عليهم النزعة الفارسية أو يستعبدون أنفسهم لها، ومنها الأكاذيب المؤلفة ضد الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، الذي انتصر فيها المسلمون على الفرس الذين بادروا الإسلام بالعداوة. ومما يثير العجب أن تهمة عمر بن الخطاب بضرب فاطمة ابنة النبي، هي تهمة أعظم للخليفة الرابع المقدس عندهم، لأنها تصوره جبانا. وكذلك الادعاء بأن عليًا هو الخليفة بعد النبي تهمة شنعاء ضد الخليفة الراشد الرابع، لأنها تتهمه بأنه جبن عن تطبيق أمر النبي، في اعتقادهم، رضي بخلافة أبي بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، ولم يسع في تنفيذ الوصية المزعومة.

وإذا كانت شهادة القانع مرفوضة فشهادة المقدس للشخصية المحددة أولى بالرفض.

وتهذيبا لهذه الطبيعة البشرية فإننا نجد القرآن الكريم ينهى عن تزكية النفس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[٣]، ونهى عن السخرية بالآخرين وعن التنزيه للذات من العيوب وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ

(١) سورة يوسف:٣٢ - ٣٣، ٥٣.

(٢) الصنعاني، ج٤: ٢٥٦ - ٢٨٥ للحديث والحكم المبني عليه من زواية أحمد وأبو داوود.

(٣) النجم:٣٢.

أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾[١]. كما نهت السنة النبوية عن المبالغة في الثناء[٢] وعن الكراهية التي تؤدي إلى شتيمة الخصم ولعنه، وجعلته من المنهيات بل - أحيانا - من المحرمات بين المسلمين[٣].

ومن المبالغات المكشوفة يقول أحدهم وهو يُعرّف بداعية يفتخر به بأن "عالم النفس المصري البروفيسور... الذي قُدِّر له أن يستمع إلى محاضرة للشيخ عنالعبقرية و الجنون شهد إثرها أنه بعد أن حاضر في حياته المديدة في علم النفس، وحضر أكثر من سبعة آلاف محاضرة، لم يسمع أروع ولا أجمل من هذه المحاضرة". وهو بمبالغته هذه يفترض شيئا مستحيلا.

والقاعدة التي يمكن استنباطها من كل ما سبق أنه يجب علينا توقع مدح الإنسان نفسه ومن يفتخر به، وذم الإنسان أعداءه ومخالفيه ومخالفي من يعتز به، بشيء من المبالغة. وقد يكون المدح أو الذم مصحوبا بالكذب المتعمد.

والمبالغة تأتي في صور عديدة منها:

١- تعميم صفة ذميمة أو حسنة قد تكون استثنائية وجعلها السمة البارزة للشخص.

٢- إضافة ما ليس بموجود في الأصل إلى ما وقع فعلا.

٣- إخفاء أجزاء من الحقيقة.

٤- تشويه أجزاء من الحقيقة.

٥- اختلاق قصة كاملة لا أساس لها بتاتا.

وينبه ابن خلدون في مقدمته إلى ضرورة التيقظ لهذه المبالغات، باستخدام التحليل المنطقي أو العقلي[٤]. ولكن مما يدل على صعوبة التنبه إلى مشكلة المبالغة

(١) الحجرات: ١١.

(٢) الصالح، من باب كراهة المدح في الوجه.

(٣) الصالح، من باب تحريم لعن الإنسان إلى باب تحريم الطعن في الأنساب.

(٤) ابن خلدون، مقدمة ص١٦ - ١٨.

أن ابن خلدون نفسه مدح السلطان الذي أهدى هو إليه نسخة من كتابه، استعمل فيها أكثر من مائة وخمسين كلمة إنشائية، لا تحتوي من الحقائق الواقعية إلا القليل والباهت. فالمديح يبدأ بقوله "أتحفت بهذه النسخة منه خزانة مولانا السلطان الإمام المجاهد الفاتح مولانا السلطان المجاهد، الفاتح الماهد المتحلي منذ خلع التمائم ولوث العمائم بحلى القانت الزاهد المتوشح بزكاء المناقب والمحامد وكرم الشمائل والشواهد بأجمل من القلائد في نحور الولائد...[1].

تناقض الراوي أو تلونه حسب الظروف:

يمكن استنباط ذلك مما نزل من الآيات في المنافقين. فهم مع تظاهرهم بالولاية لله ولرسوله، يناقضون أنفسهم إذا جد الجد. إذ يقول الله تعالى فيهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[2].

ولهم قول أمام المؤمنين وقول آخر إذا خلوا إلى أصحابهم. إذ يقول الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[3].

وقد يضطر الإنسان أو يدفعه الحذر المقبول على تعديل قوله أو التخفيف من حدته. ومع هذا فإن من المرفوض أن يبالغ الإنسان في الثناء على شخص في ظرف من الظروف، ثم يبالغ في التشنيع عليه، في ظرف آخر، دون أن يحدث تغيير ملحوظ على الشخص المذكور. ومثاله قول اليهود في عبد الله بن سلام قبل أن يعرفوا أنه أسلم وبعد. يروي أنس قصة إسلام عبد الله بن سلام فيقول بأن عبد الله:

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ص١٤ - ١٥.

(٢) آل عمران: ١٦٧.

(٣) البقرة: ١٤ - ١٥؛ المنافقون: ١ - ١١.

"قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا أعلمنا وبن أعلمنا وأخيَرُنا وبن أخيَرِنا. فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال أَشهَدُ أنْ لا إِلهَ إلا الله وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رسول اللهِ. فقَالُوا شرُّنَا وابن شرِّنَا ووَقَعُوا فيه[1].

المرجحات بين الروايات:

وبهذا يمكن الخلوص إلى أن المرجحات للقصص المختلفة تتمثل في:

١- ورود الخبر في كتاب الله وسنة رسوله الموثقة وإلى المتخصصين في المجالات ذات العلاقة بالخبر.

٢- شهود العيان، أو توفر أسانيد متصلة وموثوقة.

٣- روايات متعددة في مقابل رواية واحدة.

٤- خبر مؤلف من أجزاء جاءت من مصادر متعددة في مقابل خبر كامل من مصدر واحد.

٥- قصة مستقلة تؤيد إحدى الروايات.

٦- قصص عديدة تُألِّف السمة الغالبة، تعارضها قصص أخرى معدودة، مثل صفة الشجاعة الغالبة، في مقابل قصة تفيد الجبن والخور.

٧- العقل أي منطقية الرواية.

٨- الشعور الطبيعي، ردة الفعل الطبيعية (الفطرة).

تمارين التحقيق في الأحداث التاريخية:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

---

(١) البخاري جزء ٣ صفحة ١٢١١.

١- أورد المؤلف، وكرر الحديث عن ثلاث وسائل تعين على الوصول إلى الأحداث أو القصص الأكثر مصداقية، ومنها العينة الممثلة من الأخبار، والقراءة الناقدة، والقراءة المحايدة. اكتب عن واحدة منها، مستندا إلى ما ورد في مواضع متعددة من الكتاب مع التوثيق بالصفحات، أو بالاستعانة بمراجع خارجية، مع إيراد الأدلة اللازمة لأهميتها، وضرب الأمثلة.

٢- ورد في الكتاب وسائل للتحقق من الأحداث التاريخية، تندرج تحت النقد الخارجي، تحدث عنها باختصار، موضحا دليلك على أنها تندرج تحت هذا الصنف، مع ضرب بعض الأمثلة من كتب التاريخ أو مصادر الأخبار.

٣- ورد في الكتاب ما يندرج تحت النقد الداخلي، تحدث عنه باختصار، موضحا دليلك على أنه يندرج تحت هذا الصنف، مع ضرب بعض الأمثلة من كتب التاريخ أو مصادر الأخبار.

٤- ورد في الكتاب وسائل تندرج أو تجمع بين النقد الخارجي والداخلي. احصر ما ورد منها، وتحدث عنها باختصار. اذكر دليلك على أنها تندرج تحت هذا الصنف، مع ضرب بعض الأمثلة من كتب التاريخ أو مصادر الأخبار.

الفصل الرابع

المنهج التاريخي في خطوات تطبيقية

سيتم في هذا الفصل عرض نماذج مختصرة لطريقة تحديد موضوعات الدراسة، واستعراض الجهود السابقة لها، ومنهجها، وذلك بعرض العناصر الثلاثة لكل نوع من الدراسات المختارة بصورة مستقلة. ثم يتم عرض بعض الاقتراحات الخاصة بطريقة جمع المادة العلمية، وطريقة تحليلها، وطريقة عرض النتائج.

النماذج ذات الطبيعة المختلفة:

لقد تم اختيار ثلاث موضوعات للدراسة تتميز كل واحدة، من حيث طبيعة المادة العلمية التي قد تؤثر في منهج البحث قليلا. فالأول يتعلق بجيل الصحابة، والآخر يمثل الأجيال المتوسطة بين الجيل الأول والأجيال المتأخرة، ويمثل الموضوع الثالث العصر الحديث. وهي كما يلي: ما القرارات الأصوب في الفتنة الكبرى؟ ولماذا قتل هارون الرشيد جعفرا؟ و١١ سبتمبر والإمبراطوريات المالية.

نموذج: ما القرارات الأصوب في الفتنة الكبرى؟

مشكلة الدراسة:

تتمثل المشكلة العامة للدراسة في الوصول إلى الصورة الأكثر تمثيلا لما جرى في الواقع بين أصحاب محمد ﷺ في صراع نتج عنه سفك دماء آلاف المسلمين. والهدف المحدد هو الوقوف على أكثر الآراء صوابا لأهل المشورة وقرارات أصحاب القرار من الصحابة أثناء أحداث الفتنة الكبرى، بصرف النظر عن الذي صدرت منه. وذلك لكي نستفيد منها، بالاسترشاد بأكثرها صوابا، وباجتناب أبعدها

عن الصواب، في حدود الفرصة المتوفرة للاختيار. وللحقيقة، فإن هذه الفرصة في عالم اليوم محدودة جدا لتقلص الاستقلال حتى استقلال الدول العظمى.

وبعبارة أخرى، فإن الهدف هو معرفة الآراء والقرارات التي نتجت عنها الفتنة التي أدت إلى سفك دماء آلاف المسلمين، وأيها كان أقرب إلى الصواب، وليس إصدار أحكام شرعية عليها، أو لمجرد التعرف على ما حدث لغرض الاطلاع والتسلية.

الجهود السابقة[1]:

إن المتأمل في الكتابات حول الفتنة الكبرى يجد محاولات مخلصة للدفاع عن أصحاب النبي ﷺ، سواء عن مجموعهم أو عن بعضهم ممن عاصروا الفتنة أو أُقحموا فيها. ويلاحظ القارئ أن هناك تحيزات واضحة أو خفية للخليفة الراشد الرابع، وتخطئة للأطراف الأخرى في المنازعات، وغفلة عن بعض الحقائق الحاسمة، وأحيانا مبالغات في التبرئة، بإلقاء كل اللوم على الفئة المتمردة أو الباغية.

وأكدت العديد من الدراسات بأن ما حصل من خلاف بين كبار الصحابة، إنما هو من الاجتهاد الذي يثاب عليه المصيب والمخطئ. وألقى الكثير منها اللوم على الفئة الباغية التي أثارت الفتنة، ودبّرت المؤامرة الخبيثة التي أفسدت الصلح بين فريق الخليفة الرابع وأم المؤمنين وطلحة والزبير. ومال البعض إلى تخطئة أم المؤمنين بحجة خطأ اجتهادها وطلحة والزبير، وإلى تهمة معاوية بالطمع في الخلافة. واعتبروا توجه أم المؤمنين وطلحة والزبير إلى البصرة واستيلائهم عليها نوعا من الخروج على الخليفة، يمزق الدولة الإسلامية.

والسؤال: من الذي بدأ القتال في البصرة؟ وهل تم الاستيلاء على البصرة ابتداء أم كردة فعل لبدء والي الخليفة الرابع الهجوم على أم المؤمنين ومن معها؟ وهل

(١) انظر مثلا: تعليقات السامرائي عند تحقيق كتاب سيف؛ ملاحظات هارون عند تحقيق كتاب المنقرئ؛ ويمكن الرجوع إلى كثير منها بالاستعانة بمحرك قوقل، ومثاله: موقع إسلام وقصة الإسلام؛ وملتقى أهل الحديث؛ وشبكة الدفاع عن السنة...؛ فقيهي، التحديات في عهد علي.

يُعتبر توجه أم المؤمنين ومن معها إلى البصرة لطلب التعاون في القصاص من قتلة عثمان اعتداء يستحق المبادرة بالهجوم عليهم، وإباحة دمائهم؟

وقال البعض بأن الذين بايعوا عليًّا رضي الله عنه، هم من أصحاب الحل والعقد، ومنهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وإن كانوا مرغمين، وطلبوا من الخليفة الرابع تنفيذ القصاص. وأما معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لم يكن يعترض مطلقًا على خلافة علي، رضي الله عنه، ولكن كان الاختلاف في ترتيب الأولويات؛ فمعاوية رضي الله عنه يرى القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وبذل الجهد في تحقيقه أولا. أما علي، رضي الله عنه، فكان يرى استقرار الدولة تحت إمرته أولًا، ثم ينظر في أمر قتلة الخليفة الراشد الثالث.

وذهب البعض إلى القول بأن المطالبين بالقصاص جماعة خرجت على جماعة المسلمين، وإلى جواز الاستعانة بالقائمين بالفتنة وقتلة الخليفة الراشد ظلما وعدوانا لقتال المطالبين بالقصاص، وذلك استنادا إلى تجويز بعض العلماء الاستعانة بالكافرين لقتال الكافرين المهاجمين للمسلمين.

والسؤال: هل المطالبون بالقصاص يشبهون الكافرين المهاجمين للإسلام؟ وهل يجوز الاستعانة بالكافرين المعتدين على المسلمين الذين يطالبون بتطبيق حدود الله؟

وينتقد البعض أم المؤمنين لأنها قامت بلعن قتلة عثمان، ولأنها حثّت على الصمود أمام المهاجمين لها ومقاومتهم. وأغفلوا الظروف التي اضطرتها إلى ذلك. فهي لم تلعن إلا قتلة الشهيد عثمان، رضي الله عنه ومن ساندهم، ولم تحثّ على القتال إلا دفاعا عن جيشها، وعندما رفض المهاجمون الاحتكام إلى كتاب الله، وتجاهلوا نداءها بالتوقف عن القتال.

ودافع البعض عن أم المؤمنين وطلحة والزبير بقولهم أنهم لم يبطلوا إمامة علي، ولا طعنوا فيها، وموقعة الجمل لم تكن بتدبير أحد من الصحابة، وإنما أنشب الحرب قتلة عثمان. والدماء التى سُفكت في وقعة الجمل كانت جريمة أخرى من جرائم قتلة عثمان، لا يلحق منها شيء بعلي ولا بعائشة أو طلحة أو الزبير.

والسؤال: هل هؤلاء القادة كانوا مثل حجارة الشطرنج يلعب بهم رؤوس الفتنة وأتباعهم كما يشاؤون؟ حاشاهم أن يكونوا كذلك.

ويقول أحدهم لم يكن علي رضي الله عنه قادرًا على تنفيذ القصاص في قتلة عثمان رضي الله عنه لعدم علمه بأعيانهم، ولاختلاط هؤلاء الخوارج بجيشه، مع كثرتهم واستعدادهم للقتال.

والسؤال: هل عدم العلم بهم يكفي لتجاهل التحري عنهم ولمدة أربعة أشهر؟ وهل كان هناك احتمال للسيطرة على البغاة خلال الأشهر الأربعة؟ وهل القضية قضية تأجيل القصاص فحسب؟ أو كونها مقرونة بالاستعانة بالمستحقين للقصاص لقتال المطالبين به؟

وهناك من يدافع عن أم المؤمنين ومن معها وعن معاوية، حيث يقول "لم يكن الصحابة - رضي الله عنهم - في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب من المدينة". ويؤكد آخر بأن صفة الفئة الباغية لا تنطبق إلا على الفئة التي قتلت الخليفة الثالث للمسلمين، ولم يكن عندها مانع في قتل الخليفة الرابع، لكي تنجو من العقوبة، ولهذا أفسدت الصلح.

وهناك من يرى التوقف عن الحديث عن ما حصل أو ذكر الأحداث بدون أي تعليق. وهو رأي يستند إلى الورع والخوف من الزلل[١]. ولكن ألم يقل الله تعالى أن في قصص الأولين عبرة لأولي الأبصار؟[٢] وإذا كان الأمر كذلك أليس من الأفضل توضيح الحقائق، بدلا من تركها لتخرصات المبغضين أو غير المؤهلين؟

وفنّد البعض "أحاديث" ماء الحوأب، وعمار تقتله الفئة الباغية، وأن الزبير سيقاتل عليًا وهو ظالم له، وذلك بإنكار الحديث، أو بتقديم التفسيرات المناسبة.

وجميع ما سبق دراسات مشكورة، ولكنها لا تجيب بدرجة كافية عن أسباب موقعتي الجمل وصفين حتى نأخذ العبرة ونجتهد في تجنبها.

---

(١) الفيفي.

(٢) سورة آل عمران: ١٣؛ يوسف ١٠٩ - ١١١؛ النازعات: ١٥ - ٢٦.

وأما من الناحية المنهجية فقد خلط البعض بين منهج المحدثين الذي يرتكز على نقد السند والحفظ أكثر ومنهج المؤرخين الذي يستند إلى نقد المتن والعقل أكثر. وغفلوا عن الاختلاف في طبيعة النصوص المقدسة عن القصص التاريخية غير المقدسة. وهناك خلط بين الحديث عن فضائل الصحابة، وغيرهم، وبين أدوارهم في الفتنة، أي هناك افتراض بأن ثبوت الفضائل العظيمة تعصم من الأخطاء في القرارات التنفيذية. وهذا غير صحيح. فعلماء الحديث يعدلون المسلم، وإن وقع في أخطاء اجتهادية جسيمة ونتائجها السلبية عظيمة. فمركز عنايتهم هو احتمال الكذب على النبي ﷺ ونقل سنته إلى الأجيال المتعاقبة. ولهذا، هناك ضرورة لإعادة النظر في أحداث أعظم كارثة وقعت في التاريخ للمسلمين، ولكن بمنهج واضح نحتكم إليه في اختيار الروايات وفي تحليلها، وذلك بدلا من الاختيار والتحليل في ضوء مشاعرنا تجاه الشخصيات المحددة، وفضائلهم المتفاوتة.

وطعن أحدهم في مصداقية قصص سيف، إضافة إلى تطبيق منهج المحدثين، بضرب مثال لاختلاف رواية سيف ابن عمر الأسدي عن رواية أخرى، تتعلق بالوفد المصري،على افتراض أنها لحادثة واحدة. وبالرجوع إلى سيف والطبري اتضح أن القصتين لحادثتين مختلفتين: رواية سيف عن اللقاء الأول الذي أظهروا فيه القناعة برأي الخليفة وتظاهروا بالعودة إلى مصر، والأخرى بعد مفاجأتهم أهل المدينة وغزو المدينة مع وفد البصرة والكوفة، بمؤامرة دبروها معا في المدينة قبل مغادرتهم.

منهج الدراسة:

يتمثل منهج الدراسة في النقاط التالية:

أولا- الاعتماد على أكثر المصادر قربا من تلك الأحداث، مثل روايات سيف التي هي الأقرب بالنسبة لأحداث استشهاد الخليفة عثمان، وموقعة الجمل. ومثالها روايات أبو مخنف التي اعتمد عليها الطبري في الحديث عن أحداث صفين، وكذلك روايات المنقري، وإن كان الاثنان من المعروفين بأنهم من شيعة علي ابن أبي طالب، بدرجات متفاوتة من التطرف. والملاحظ أن روايات سيف تتمتع بدرجة

من الحياد عالية، تنصف الخليفة عثمان، والخليفة الرابع وأم المؤمنين وطلحة، والزبير، ومعاوية، رضي الله عنهم أجمعين. فهي تثبت ما لهم وما عليهم.

ثانيا- التنبه إلى أن جرح المحدثين لرواة القصص التاريخية لا تطعن في القصص التاريخية التي يجمعونها في مجلد واحد، إذا توفرت فيها الحيادية، وتجنب المبالغات الشديدة. وفي المقابل، فإن تعديل المحدثين للمسلم لا يعني عصمته من الأخطاء الاجتهادية التي قد تكون نتائجها فادحة، قد تسهم في إراقة دماء آلاف المسلمين. ويلاحظ أن تعميم منهج جرح المحدثين على رواة الأحداث التاريخية فيه نظر. فالأصل أن تعديل المحدثين وجرحهم خاص بنصوص السنة التي قد يوردها المؤرخ سيف ضمن القصص التاريخية التي يرويها. فهو مؤرخ، مهمته في المرحلة الأولى وفي نوع من الأبحاث التاريخية هو جمع ما يقع في يده. وهو في المرحلة الثانية وفي نوع آخر من الأبحاث التاريخية يهمه التحقق من مصداقية القصص التاريخية، وليس النصوص المقدسة. وأما مسؤولية التحقق من النصوص المنسوبة إلى النبي ﷺ فهي من مسؤوليات المحدث. ولهذا يجب أن لا نخلط بين منهج توثيق المحدثين، الخاص بتوثيق النصوص المقدسة، الذي يستند إلى نقد الشهود والسند بشكل رئيس، وبين منهج المؤرخين الذي يستند إلى نقد المتن بشكل رئيس. فقد يُضعِّف المحدث نصا، ويحكم بالصحة لرواية أخرى للحديث نفسه، مع أنهما يتفقان في المعنى، ولكن يختلفان في السند[1]. ومن زاوية أخرى، فإن الأحاديث النبوية، لها قدسية خاصة، تستوجب متابعة المعاصرين للأمر النبوي والنهي وللحدث بحرص، وتفرض الرواية بعناية فائقة، لأنها تعاليم ربانية يجب اتباعها والعمل بها. وأما الأحداث التاريخية فلا تحظى بتلك القدسية أو تفرض تلك العناية[2]. ولهذا فإن أقصى ما نطلبه فيها هو توفر الحيادية عند الحديث عن الأطراف المتصارعة. ونشترط فيها النقاء النسبي من المبالغة في السلبيات خاصة، أو في الإيجابيات، والتفاصيل المرفوضة منطقيا، والمقاطع الأدبية. وهي مسائل ثانوية، يمكن معالجتها بالتجاهل أو بالتعديل حسب قواعد ثابتة.

(١) ابن الصلاح ص٩٢ - ٩٣.

(٢) صيني، قواعد أساسية، ط٢ ص٩٥ - ١٠٣.

ولعل أفضل قول في المسألة قول ابن حجر العسقلاني: "ضعيف في الحديث عمدة فى التاريخ".

ثالثا- استبعاد الأحاديث النبوية التي تدور حول فضل أحد المتنازعين. وكذلك استبعاد تعديل المحدثين أو جرحهم للشخصيات الرئيسة التي شاركت في الحوادث المروعة. فما يهمنا هو ما قالته الشخصية القيادية أو فعلته، فأسهم في وقوع الكارثة العظمى التي أدت إلى إباحة أرواح آلاف المسلمين. فالفضائل الموهوبة من الله أو الموروثة أو المكتسبة لا تعصم المسلم من الأخطاء الاجتهادية، عند غياب الكتاب والسنة، كما سبق أن أشرنا.

رابعا- اشتراط القطعية في الثبوت وفي الدلالة في الأحاديث النبوية التي ترجح صواب قرار ضد قرار آخر. فمن المعلوم أن التنبؤات النبوية هي من الغيبيات، وينبغي عدم الإيمان بأي نص فيها، لا يوفر الشرطين المطلوبين، ولا سيما إذا كُنّا سنحتكم إليها للجزم بخطأ أحد الطرفين. فمثلا من الصفات المميزة للفرق الموالية لعلي ابن أبي طالب والتي تميل إلى تقديسه، أنها جريئة في وضع الأحاديث النبوية والقصص التي تسند مواقفها. وهذا التوجه في صورته المخففة طبيعة بشرية، ولهذا لا تُقبل شهادة المحب أو المبغض. يقول النبي ﷺ: "لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر (ذي حقد وشحناء) على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع (مثل الخادم المتحيز) لأهل البيت"[(١)].

خامسا- الانطلاق من الإيمان بأن قرارات الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، لا تخرج عن إطار الاجتهادات البشرية، كما قال طلحة والزبير "إنا وهم، أي جماعة علي بن أبي طالب، مسلمون. وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سنة. إنما هو حدث جديد، ورأى الطرف الآخر تأجيل القصاص اتقاء لشر، ورأينا عدم تأخيره لأن الشر درجات، وتأجيله فيه شر أعظم. وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها"[(٢)].

---

(١) الصنعاني، ج٤: ٢٥٦ - ٢٨٥ للحديث والحكم المبني عليه من زاوية أحمد وأبو داوود.

(٢) سيف، الفتنة ص١٥٠.

سادسا- تحديد الفئات المتصارعة، سرا أو جهرا، وإبراز مساهماتها في صناعة الحدث، والتعريف بمكوناتها وسماتها العامة، وسمات أبرز أفرادها.

سابعا- عرض التصريحات، والقرارات، أو الأفعال التي قامت بها كل فئة منها لتخدم رأيها وقناعتها.

ثامنا- عقد مقارنة ثنائية أو جماعية بين آراء الفئات المتصارعة، وبين تصريحاتها، وبين قراراتها الفعلية، وطرح التساؤلات اللازمة للخروج بالرأي أو القرار الأصوب بالنسبة للقرارات المتعارضة أو المتصادمة، وذلك للاسترشاد بها في الحالات والمواقف المشابهة.

تاسعا- تقسيم أحداث الفتنة إلى مراحل: استشهاد الخليفة عثمان، موقعة الجمل، وموقعة صفين. وسيتم تناول النقاط التالية في كل مرحلة: الأحداث التي جرت، الأطراف التي أسهمت في الحدث، وقياداتها، وأهدافها الرئيسة، والقرارات التي اتخذتها، والوسائل التنفيذية التي استعانت بها. ثم محاولة التعرف على الآراء والقرارات الأقرب إلى الصواب لتجنب الأحداث المروعة التي حدثت، بتحكيم العقل النزيه للقارئ.

ثالثا - الاستفادة من المصادر الثانوية الأخرى، عند وجود إضافة لم ترد في المراجع الأساسية، أو إضافة ذات أهمية في تفسير الأحداث أو تحليلها.

قائمة المحتويات الأولية:

حوادث استشهاد الخليفة عثمان.

حوادث موقعة الجمل.

حوادث موقعة صفين.

ولنتائج الدراسة يُرجع إلى الفصل: الخامس، والسادس والسابع، في الكتاب.

نموذج: لماذا قتل هارون الرشيد جعفرا؟:

مشكلة الدراسة:

لقد كثر الحديث عن موضوع الخليفة العباسي هارون الرشيد، وأقربائه من

الرضاعة البرامكة. فاختلطت القصص حتى أصبح الخليفة العباسي شخصية غامضة، وتعارضت الروايات عن علاقته بأقربائه من الرضاعة، البرامكة حتى أصبح مُتّهمًا في دينه وعرضه وأخلاقه. فالهدف الرئيس من هذه الدراسة هو التوصل إلى حقيقة هذه الشخصية التاريخية التي لقي الإسلام أثناء خلافتها عزا. وتتمثل الأهداف الفرعية في التساؤلات التالية:

١- ما السمة الغالبة على هارون الرشيد؟

٢- ما علاقته بالبرامكة؟

٣- ما الحقيقة وراء قتل جعفر والتخلص من سيطرة البرامكة على الخلافة؟

٤- ما حقيقة الإشاعة عن العباسة، أخت هارون الرشيد، ووزيره جعفر؟

الجهود السابقة:

يقول الأباصيري "لم يكن الخليفة "هارون الرشيد أول خليفة غَضِبَ من جُرْم وزيره فقتله، وزجَّ بأهله وقرابته في السجن، كما حدث مِنْ قتْلِه جعفر بن يحيى البرمكي وإيقاعه بأُسرته. ولكن نزول ذلك فجأة من غير إعلان السبب، أو ذكر شيء عن السرِّ في هذه النكبة، دَفَعَ الفضوليين إلى انتحال تفسيرات لا حقيقة لها، والحاقدين إلى اختلاق الإشاعات والتهم التي لا أصل لها"[(١)]. فقام بتسجيلها بعض المؤرخين ورددها آخرون، بدون تمحيص لها.

ويلخص راغب السرجاني بعض الأسباب لقتل الخليفة جعفرا، فيقول أنها تتمثل في تجاوز جعفر لصلاحياته، بإطلاق سراح أحد الثائرين على هارون الرشيد المحجوز عنده، بدون إذنه، ومبالغة البرامكة في الترف، ووشاية الفضل بن الربيع بهم عند الخليفة، وإنشاء الفضل جيشا من خمسين ألفا يميل ولاؤهم أكثر إلى الطالبيين وآل البيت المنافسين للعباسيين[(٢)]. ويردد البعض أن سبب قتل جعفر كان سياسيا. ولهذا شنّع كثير من الكتاب على الخليفة هارون الرشيد. وأضاف البعض قصة تقول بأن الخليفة هارون الرشيد ووزيره جعفر كانا يقيمان مجالس الشرب

(1) http://www.alukah.net/culture/0/75071/#ixzz4SlOoXq8r

(٢) نكبة البرامكة - موقع الإسلام.

والغناء ولا يصبر عن أخته العباسة فزوجهما زواجا صوريا ليجوز انضمامها إلى مجالسهما[١].

والسؤال: ما الحقيقة في شخصية هارون الرشيد؟ هل الأسباب التي ذكرتها الجهود السابقة هي التي جعلت هارون الرشيد يقتل وزيره وأخاه من الرضاعة جعفر، والحجر على والده وأخيه الأكبر من الرضاعة؟ وما الحقيقة عن إشاعة العباسة وعلاقتها بقتل جعفر؟

منهج الدراسة:

يتبين من موضوع الدراسة أن الأساس هو تحرير صورة الخليفة العباسي هارون الرشيد، والبحث عن السبب الحقيقي لقتله وزيره جعفر البرمكي، والتحقق من مصداقية قصة العباسة. ولهذا فإن الباحث سيقوم بالخطوات التالية:

١- حصر ما هو مكتوب في كتب التاريخ والتراجم عن هارون الرشيد، سواء ما هو إيجابي أو سلبي.
٢- استنتاج السمة الغالبة على شخصيته.
٣- محاكمة القصص المعارضة للسمة الغالبة إليها، للوصول إلى الصورة الصحيحة للخليفة العباسي.
٤- الفحص بدقة في القصص الواردة عن الخليفة وعلاقته بجعفر، وبالبرامكة عامة، للوقوف على السبب المرجح لقتل جعفر والحجر على أسرته.
٥- فحص قصة العباسة في ضوء مكانة الخليفة ورفعة نسبه وسمته البارزة، مستعينا أيضا بتواريخ الحوادث، مثل تاريخ وقوع الحادثة، وتاريخ موت من وقعت له الحادثة.

قائمة المحتويات الأولية:

- ما ورد عن هارون الرشيد.
- علاقة هارون الرشيد بالبرامكة.

(١) البرامكة - الموسوعة العربية.

- سبب قتل جعفر.
- مصداقية قصة العباسة.

ولنتيجة الدراسة يرجع إلى الفصل الثامن في الكتاب.

نموذج: ١١ سبتمبر والإمبراطوريات المالية:

مشكلة الدراسة:

لقد تقدمت تقنية المؤامرات السياسية والاقتصادية في هذا العصر تقدما مذهلا، بتقدم وسائل صناعة الأفلام الخيالية التي تبدو حقيقية. أو تمزج قليلا من الواقع بزخم من الخيال فتظهر كحقائق واقعية للإنسان العادي، وحتى لكثير من قادة السياسة والفكر، والمتمرسين في رواية الأخبار.

فمهمة هذه الدراسة هي فحص الروايات المتعلقة بتفاصيل حادثة ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ ميلادية، للإجابة على الأسئلة التالية:

١- ما درجة احتمال تنفيذ العملية بواسطة مجموعة لا تتجاوز العشرين فردا من غير المتخصصين في الطيران أو في التفجير أو في تخطيط المؤامرات المعقدة؟

٢- ما الحقيقة بالنسبة للرواية الرسمية المتعلقة بتعرض وزارة الدفاع الأمريكية للهجوم بطائرة ركاب مدنية، وهي تسير على عجلاتها، بدلا من وهي تطير؟

٣- ما الحقيقة بالنسبة للطائرة الرابعة التي تحطمت في منطقة خالية في ولاية فرجينيا، دون أن تترك قطعا من هيكلها الخارجي..؟

٤- ما درجة مصداقية الرواية الرسمية بالنسبة لسبب انهيار الأبراج الثلاثة (رقم ١، ٢، ٧)؟

٥- من هم صناع الحادثة في الحقيقة؟

٦- من المستفيدون من صناعة الحادثة، وما نوع الاستفادة، وفي المقابل من الخاسرون؟

٧- ما علاقة الإمبراطوريات المالية بالحادثة.

دراسات سابقة:

يقول أحدهم، مؤمنا بالرواية الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر "أرجو ألا يخرج أحد المتنطعين ويجتر ما أعرفه من اعتراف القاعدة، أو يتهمني بالمؤامرة. إن أحداث ١١ سبتمبر حقيقة. ومن يقف خلفها منطقيًا هو إيران. والقاعدة نفذتها لصالح طهران بالدرجة الأولى بهدف شيطنة منافسها الرئيس في المنطقة وهو المملكة العربية السعودية، وكسر أقوى علاقة صداقة له بأميركا. ولكن أسامة بن لادن حين التخطيط والتنفيذ لم يكن سعوديًا، بل إرهابيًا مطرودًا من المملكة، فكيف تتحمل السعودية وزر أفعاله؟[١].

وقد لا يستغرب القارئ الجزء الأول من هذا القول، فحتى وسائل الإعلام المحايدة الأمريكية والغربية العملاقة صدّقت بالرواية الرسمية في البداية. فمن الطبيعي أن يصدقها كثير من المسلمين: عامتهم وقياداتهم الفكرية والسياسية. وهذا مع أن الرواية الرسمية تتهم بعض المسلمين بالقيام بتلك الأحداث المروعة من حيث دناءتها. وحتى بعد مضي ستة عشر عاما، يبدو أن أغلبية أعضاء الكونغرس الأمريكي والبرلمان يصدقون قصة حكومة بوش[٢].

ومن الزاوية الأخرى، وبعد أشهر من الحادثة، ظهر من يُكذِّب الرواية الرسمية التي تتهم مجموعة من المسلمين ذات قدرات محدودة، وبدأت الجهود في هذا الاتجاه تتراكم. وأثبتت الأدلة العقلية والفنية المتخصصة كذب الخبر الذي يشير إلى أن طائرة هاجمت مبنى وزارة الدفاع الأمريكي، الخماسي الشكل. وأورد الباحثون، كذلك، أدلة دامغة، يدركها الإنسان بالعقل والحس على أن المتفجرات عالية الانفجار هي المسؤولة عن انهيار الأبراج الثلاث (رقم ١، ٢، ٧) إلى الأرض، خلال مدد قصيرة، وبصورة فجائية، ولا سيما البرج رقم ٧ الذي لم تصدمه طائرة، أو أي شيء ظاهر، يمكن مشاهدته، وتصويره.

---

(١) لماذا أخفت واشنطن ٢٨ صفحة من تقرير ١١ سبتمبر لمدة ١٤ عامًا.

(٢) العودة، رؤية حول أحداث أمريكا و١١ سبتمبر؛ وهناك أمثلة عديدة منشورة في الإنترنيت.

وهناك من يقول بأن أمريكا والغرب نقضت مفهوم الحرب التقليدية وأنتجت مفهوم الحرب المدنية. وما يجري في العراق وسوريا وما حدث في أفغانستان وسيراليون هو نوع من هذه الحرب، حروب مدنية إمبراطورية. وتتقاتل فيها عدة جيوش لدول عدة، تدعم فصائل مختلفة. وفي هذا المفهوم وهو الحرب المدنية Civil War كل واحد من النزاعات المحلية مرتبط بدرجات مختلفة بمناطق حرب أخرى. ولنا في اليمن وسوريا والعراق وانعدام استقرار لبنان نموذج. فثمة صراع مصالح وثمة أدوار متفق عليها بين القطبين العالميين: روسيا وأمريكا. وكل ذلك ذو صلة بأحداث ١١ سبتمبر[١].

وهذا كلام جميل، ولكن هل المسألة مسألة **دول** سياسية عظمى؟ أم مسألة **إمبراطوريات مالية**، تتصارع لتحقيق مكاسب مالية أكبر، وإن كان على حساب الميزانيات العامة للدول، بمختلف أنواعها (وراثية أو انتنخابية) وبمختلف أحجامها السياسية والاقتصادية (عظمى أو صغرى)؟

والسؤال: أين الحقيقة؟

منهج البحث":

لا تقتصر مصادر البحث التاريخي لأحداث هذا الزمان على الروايات التاريخية الشفهية أو المكتوبة أو المخطوطة، ولا على الصور الفوتوقرافية الثابتة التي تقف عند عكس الواقع الثابت. ولا تقف عند حد الجمادات التي تركتها الأحداث الماضية، مثل النقوش، والأواني، والمباني، ولكنها تتجاوز كل ذلك لتصور الحدث بحركاته، وبأصواته الطبيعية. لهذا فإن الدراسة سوف تستفيد من المصادر التالية:

١- الصور التي التقطها عامة الناس، أو المؤسسات المتخصصة في الأخبار، أو المؤسسات التي تصور ما يجري حولها لأغراض أمنية، فهي التي تمثل الحقائق المتفق عليها والمثبتة بالوصف والصورة.

٢- ما جمعه معدو الفلم الوثائقي Loose Change الذي يعتمد على تصريحات حكومة بوش، وتقرير لجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر، وبعض جلسات

(١) مبيضين، جريدة اليوم الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٣٧هـ.

التحقيق، وأقوال شهود العيان للحادثة، وأقوال الخبراء في تشييد المباني وطرق إزالتها، والمعلومات التي تم جمعها عن المتهمين... والفلم متوفر في مواقع إلكترونية متعددة، بعضها متاح لعامة الزوار، تحت الاسم المذكور.

٣- الدراسات المبكرة والشاملة، مثل بحث تيري ميسان، والمقالات ذات العلاقة ونتائج أبحاث المعنيين بالقضايا السياسية والاقتصادية. ومنها دراسة "الحصين" التي يمكن الرجوع إليها وإلى الدراسات الأخرى العديدة، والوثائق الصحيحة أو المزيفة باستعمال محرك قوقل google أو Bing، سواء باللغة الإنقليزية أو بالعربية، ومنها موسوعة ويكيبيديا.

٤- التصريحات الرسمية للمسؤولين في حكومة بوش الأمريكية، وأقول حكومة بوش لأن الحدث، إذا كان مؤامرة، فهو لا يمثل السمة الغالبة للحكومة الأمريكية في سياستها الداخلية. وسيكون من مصادر الدراسة جميع الحكايات الرئيسة لحكومة بوش، مثل قصة التسعة عشر مختطفا لأربع طائرات مدنية وتسبب اثنين منها في انهيار البرجين التوأمين، ووصية محمد عطا، وتصريحات أسامة بن لادن، ولا سيما المسجلة بالصوت والصورة، مع ملاحظة أن التزوير لا يقتصر على المطبوعات، ولكن يشمل التسجيلات المسموعة والمرئية.

وبالنسبة للتحليل فسيتم إجراء ما يلي:

١- عمل جداول تتضمن المعلومات الأساسية المتفق عليها لعناصر الحدث، مثل وقت الحدث، ومقاسات الأبراج، وعدد أدوارها، والمساحات التي يحتلها البرجان، ووقت اندلاع النار في البرج أو اصطدام طائرة به، ومدة الحريق، وساعة الانهيار ومدته.

٢- التأكد من مصداقية الروايات الرسمية وتفسيراتها بالاستعانة بشهود العيان، وبالاستفادة من الصور الفوتوقرافية الثابتة والمتحركة والمثبتة للقطات الحاسمة، والعارضة لها بالسرعة البطيئة أو بتكبيرها أو تقريبها.

٣- التنبه إلى فخاخ الصور المزيفة أو التسجيلات المزيفة، وذلك باعتماد الباحث على الصور والوثائق التي لا خلاف حولها. وفحص القصص والتفسيرات التي

تخضع للخلاف، باستخدام المقارنة بالسمة الغالبة وبالمنطق البشري البسيط.

فمن الأدلة: قياس درجة التناسق بين دليل الاتهام، الذي يظهر في هيئة وصية مكتوبة أو تسجيل، من جهة، والمعتقدات والعادات التي يعتمدها المتهم، من جهة أخرى. ومثاله أن يظهر المتهم وراء منصة الحديث الغربية، ليعترف بالمسؤولية عن أحداث ١١ سبتمبر، بدلا من افتراش الأرض كما هي عادته. ومثاله درجة جودة الصورة، في ظل جودة الكاميرات العادية، وتطابق حركات الشفة والوجه مع العبارات المسجلة، ومواكبة حركة الشفة للصوت المستمر.

٤- مقارنة التفسيرات الرسمية وقصصها المساندة بما يقره العقل المحايد والفطرة، وتقره المعلومات المتخصصة، في الطيران، وفي أسباب الانهيارات ووسائلها.

وسيتم تقسيم المناقشة إلى ما يلي:

أولا- الحقائق المدركة بالعين والقابلة للتصوير، وهي تقتصر على نشوب نيران في البرج رقم ١، واصطدام طائرة بالبرج رقم ٢، ثم انهيارهما، وانهيار البرج رقم ٧، بدون أسباب مرئية. وقد يضاف إليها صورة الحريق المندلع في الواجهة الخلفية لمبنى وزارة الدفاع، الملتقطة من موقع بعيد، لا يظهر معها أثر للطائرة المهاجمة المزعومة، أو آثار عجلات، أو خدوش بطن الطائرة، في المنطقة التي انزلقت فوقها الطائرة لتنتج الفتحة التي نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية، بعد سنوات..

ثانيا- قصص وصور نسبتها الجهات الرسمية للحادثة، مثل قصة الطائرة التي هاجمت مبنى وزارة الدفاع، والصور التي ظهرت بعد أكثر من ثلاث سنوات، مثل صورة فتحة، تسع رأس الطائرة، وصورة الأدوار الثلاثة المنهارة حول أعلى الفتحة المذكورة، وقصة الطائرة التي سقطت في فرجينيا، بدون ترك آثار تذكر، وقصة رسالة محمد عطا، والشريط الذي يعترف فيه أسامة بن لادن بتحمله مسؤولية أحداث ١١ سبتمبر، وأدلة متناثرة أخرى. وعدد الضحايا البشرية. وسيتم التحقق من هذه القصص واحدة تلو الأخرى.

ثالثا- الحقيقة العامة المستنتجة التي تؤكد بأنها مؤامرة، مع الاختلاف على هوية المخطط والمنفذ الحقيقي، الذي كان له نصيب الأسد في المكاسب، وأنواع المكاسب.

ولنتيجة الدراسة يُرجع إلى الفصل التاسع من الكتاب.

جمع المادة العلمية:

هنا يقوم الباحث بحصر كل ما يعتقد أن له صلة بموضوع بحثه، بأي شكل من الأشكال. فقد تكون المادة العلمية في كتاب، أو دورية، أو تسجيل بالصوت أو بالصورة أو بهما معا. ويتم الحصر بالطرق التالية:

أولا- الاطلاع على عينة مختلفة من المراجع في الموضوع، ومعيار الاختلاف هو الشمولية في تغطية أبعاده كلها، توجهات المؤلفين وموقفهم من الشخصيات أو من الأحداث التي يريد الباحث دراستها، سواء أكانت تروي الأحداث بصورة محايدة، إلى حد كبير، أو كانت تميل، بوضوح أو بدرجات متفاوتة، إلى بعض الشخصيات الرئيسة في القصة التاريخية. ويمكن للباحث التعرف على القصص والروايات التاريخية ذات العلاقة بالرجوع إلى المؤلفات أو الأبحاث التي عالجت الموضوع أو جزءا من عناصره أو المعنيين بالموضوعات المشابهة أو القريبة منها. ويمكن كذلك الاستفادة من قواعد البيانات الإلكترونية التي تسجل المواد ذات الصلة بالموضوع. فقد أصبح من اليسير على الباحث جمع كمية كافية من المواد العلمية اللازمة للبحث في المواضيع التاريخية، بما في ذلك القديمة، وأصبح من اليسير الاستعانة بمحركات البحث، مثل "العم قوقل"، و"العم بينق"... لقد أصبحت مهمة البحث عن المنشورات سهلة باستخدام نظام البحث الآلي بالنسبة للمواد المسجلة إلكترونيا والمنشورة إلكترونيا، وذلك بالبحث عن العناوين المحتملة للموضوع أو المفردات الرئيسة أو أسماء الشخصيات الرئيسة في القصة التاريخية.

ثانيا- تقسيم المادة العلمية إلى موضوعات فرعية، أو ما يسمى بقائمة الموضوعات الأولية التي قد تتعرض لإعادة النظر، إذا كانت قراءة الباحث للمراجع واستيعابه لمضموناتها غير كاف، أو لأن موضوع الدراسة يتسم بالتعقيد. وفي حالة الجمع من الميدان بالمقابلات الشخصية يُفضل عمل استبانة ترشد الباحث في عملية طرح الأسئلة وتذكره بالمعلومات التي يحتاجها. ويُقترح عليه طرح الأسئلة

من زوايا متعددة بالنسبة للمعلومات الأساسية في الموضوع ليتأكد من مصداقيتها في حدود المصدر الواحد. وذلك إضافة إلى محاولة الحصول على مصادر متعددة للمعلومات الأساسية ليصل إلى الصورة الأقرب إلى الواقع.

ثالثا- جمع المادة العلمية، مع التركيز على الكتابات الأكثر قربا والأكثر شمولية، ثم الأقل قربا وشمولية. وقد يحتاج إلى جمع جزء أو كل المادة العلمية من الميدان، بالمقابلات أو بالاطلاع على الآثار أو - على الأقل- بالحصول على صورها... ويراعى عند جمع المادة العلمية أن تكون شاملة، من حيث الأبعاد المختلفة للحدث. فلو أردنا الكتابة عن تطور التعليم مثلا، لا نقتصر على الإحصائيات والأنظمة و"الإنجازات". بل، نضمنها مواقف واقعية إنسانية أو طريفة، ولقطات تبرز المساهمات الفردية في التطوير، مثل مساهمة مدير أو معلم أو حارس أو عامل في المؤسسة التعليمية المحددة أو طالب. ونعقد مقارنات مجسدة للتطور في الجوانب العديدة، مثل نوع الفصول ونوع الخدمات ونوع الكتب والمناهج والمباني... وفي حالة الكتابة عن الجماعات نبرز مساهمات الأطراف المتعددة في تنمية المجتمع: اقتصاده، وتعليمه، وسلوكياته، ومأكله ومشربه وملبسه ومسكنه. وذلك إضافة إلى تطعيم المعلومات بالطرائف الواقعية بأسلوب لا يثير الأحقاد قدر المستطاع، ولكن يتسم بالفكاهة والمتعة.

وليس من الضروري أن يمتلك الإنسان كل المصادر التي تحتوي على المادة العلمية. فقد يضطر الباحث إلى استعارة المرجع أو تصوير الصفحات التي يريدها أو نقل ما يريد منها. ومن العادات الطيبة أن يصور الباحث الغلاف الذي يحتوي على معلومات النشر كاملة عند تصويره الصفحات التي يحتاجها، سواء أكان التصوير ورقيا أو إلكترونيا بالماسح scanner. وفي حالة عدم وجود مثل هذه الصفحة يفضل تسجيل معلومات النشر كاملة قبل القيام بعملية نقل المعلومات منها أو تصويرها. وقد يعجب من أَلِفَ الاستعانة بـ "العم قوقل" google أو Bing أنه يجد مواد علمية لا تخطر في البال في موضوعات متنوعة أشد التنوع، يصعب الحصول على نسخ منها والاطلاع عليها في المكتبات. وبسبب التسجيل

الإلكتروني وخدمات الإنترنت، قد يحصل عليها دون أن يغادر مجلسه أمام جهاز الحاسب الآلي. والقاعدة الأساسية في إمكانية الاعتماد عليها هي إمكانية الحصول على نسخ مطبوعة منها. ولهذا لا بد من تسجيل المصادر أولا بأول، بحيث تتضمن اسم المؤلف والمترجم... ومعلومات النشر وطريقة الوصول إليها، وانظر الجدول (٤ - ١).

الموضوع	شهرة المؤلف:.	معلومات النشر: . . . . .
	عنوان الكتاب:	مكان وجود المصدر: . . . . أو عنوان الموقع الإلكتروني
علي بن أبي طالب	(أرقام الصفحات في الموضوع في المرجع)	
أم المؤمنين، عائشة		
معاوية ابن أبي سفيان		

شكل (٤ - ١)

ثانيا- تقسيم المراجع إلى مصادر أساسية وثانوية بدرجات متفاوتة، ومن مقاييس "الأساسية" كون المرجع هو أقرب المصادر إلى الحدث، من حيث الزمان أو العلاقة بالشخصيات التي شاركت في صناعة الحدث أو بعضها، لأنهم أو أسلافهم عاصروها. ومن مقاييس الأساسية كون المصدر أكثر حيادية، وأما المؤلفات المعلوم تحيز أصحابها فالأولى اعتبارها مصادر ثانوية، وإن كانت الأقرب للحدث. أما إذا لم يتوفر غيرها فلا مفر من اعتبارها أساسية. فمن الخطأ الاعتماد على مراجع نقلت عن مراجع أقدم حرفيا، بالإشارة إلى الراوي الأصلي أو بدونه. نعم قد تضيف بعض المراجع المتأخرة بعض الحقائق الجانبية أو التفسيرات، ولكن ليس الأجزاء الرئيسة من الحدث. ويمكن التعرف على توجهات

المؤلف بالرجوع إلى تراجم حياة المؤلف، وأصبحت العملية يسيرة لمن يحسن التعامل مع محرك "العم" قوقل، أو بينق، أو دك دك قو،...

ثالثا - يلاحظ أن الحصر للمادة العلمية، في المرحلة الأولى، لا يعني بالضرورة كتابة النصوص بصيغتها الأصلية أو بالمعنى أو مختصرة كما ستظهر في تقرير نتائج الدراسة. فالهدف الأساس هنا هو تحديد مواقع المعلومات المطلوبة والمبعثرة في مئات الصفحات أو في آلافها، في المراجع المحددة، وذلك في ورقات محدودة، يمكن استعراضها بسهولة ويسر. وهي أشبه بعملية رسم خارطة لمنطقة جغرافية شاسعة المساحة ومتنوعة التضاريس، يستطيع الناظر إليها استعراض تلك المساحات الشاسعة، وربما تضاريسها المعقدة أيضا. وذلك دون الحاجة إلى التنقل في الطبيعة. فالباحث يستغني بعملية الحصر هذه عن تقليب المراجع الكثيرة والصفحات العديدة، قبل مرحلة التحليل. ويمكن إعداد الخارطة المختصرة للمراجع بطرق، منها:

١- استعمال البطاقات أو تصميم جداول باستخدام برامج الحاسب الآلي لتحديد التقسيمات الرئيسة والفرعية للبحث. وذلك في ضوء الخطة المرسومة. وتتميز عملية حصر مصادر المادة العلمية بالحاسب الآلي بمرونتها الفائقة، في تصنيف المادة العلمية بدقة وبسرعة، وبإعادة تصنيفها بيسر، وبتيسير عملية استرجاع المطلوب منها (أي الوقوف على مواقعها في الكتاب مثلا)، واستعراض الفقرات المتشابهة أو التي تنتمي إلى فئة محددة. فهذه الجداول تيسر عملية الرجوع إلى النقاط المحددة في المراجع ذات العلاقة. لهذا ينصح الباحث بعمل جداول لتشمل جميع التقسيمات التفصيلية التي تتطلبها عناصر البحث الرئيسة على الأقل.

٢- استعراض كل مرجع بشكل مستقل، أولا، لتسجيل أرقام الصفحات التي وردت فيها معلومات ذات صلة بقسم من أقسام موضوع البحث. وهذه الطريقة تشعر الباحث بأنه قد أنجز شيئا تجاه تنفيذ البحث بعد تفريغ كل كتاب. فلا يصاب بالإحباط الذي يتسبب فيه - عادة - قضاء وقت طويل في الاطلاع والقراءة دون إنجاز شيء محسوس، وانظر الجدول (٤ - ١). وبدلا من الملفات

الخاصة بكل مؤلف يمكن للباحث أن يجمع في جدول واحد عددا من المؤلفات تناولت قسما محددا من الموضوع، وذلك بترتيب المؤلفات حسب تاريخ نشرها، وإن لم توجد فبحسب تاريخ وفاة المؤلف، وربما الأفضل حسب تاريخ ميلاده، لأن بعض المؤلفين قد يولدون متأخرين بالنسبة لمؤلف آخر، ولكن يموت في حياته. ويخدم هذا الترتيب أغراضا متعددة، منها متابعة تطور الموضوع، والتعرف على منشأ، بعض الأخبار أو القصص التاريخية، ومن جاء بها أولا، ثم من رددها. ويتم تسجيل الصفحات التي ورد فيها الحديث عن القسم الفرعي المحدد في موضوع البحث، في الخانات التي يلتقي فيها القسم المحدد مع اسم المؤلف المحدد، وانظر الجدول (٤ - ٢).

المراجع	الطبري ٣٢٤هـ	ابن أثير ٦٥٥هـ		ابن كثير ٧٠١هـ		
الصفحات / الموضوع						
هارون الرشيد	١٨١٩-١٨٤٨			١٠: ٥٨٥-٥٩٤، ١٠: ٦١٩		
علاقته بالبرامكة	١٨٢٠-١٨٢١			١٠: ٥٩٥، ١٠: ٦٢٥		
قصة العباسة	١٨٢١-١٨٢٢			١٠: ٦٢٠		

الجدول (٤ - ٢)

رابعا- يقترح الحصول على المراجع الرئيسة مطبوعة على الورق، وإذا تعذّر فيمكن البحث عنها في قواعد البيانات الإلكترونية أو في المواقع الإلكترونية في الإنترنت. ويفضل في حالة الحصول على أي مرجع تنزيل نسخة منه، ولا سيما إذا كان قابلا للتحرير، لتوفير جهد طباعة النصوص المطلوبة فيها، وإن كان متوفرا على

الورق. ويستحسن للباحث حفظ النسخة الإلكترونية في ملف خاص، لتكون في متناول يده، وليمكن القص منها ولزقها في مسودة البحث. فبعض النسخ الإلكترونية مسجلة ببرنامج معالج للكلمات قابل للتحرير، والبعض موجود في هيئة نسخ PDF. فالمادة العلمية المسجلة إلكترونيا يسهل البحث فيها بطريقة آلية، ويسهل تصنيفها حسب تفريعات الموضوع، بطريقة تلقائية (أوتوماتيكية) بوضعها في جداول. وفي حالة تفريغ المادة العلمية المختارة، كلها أو بعضها، يُقترح حفظها كأصل، يمكن الرجوع إليه. ثم عمل نسخة أخرى للتحرير حسب الحاجة، مثل اختصار بعض الفقرات، أو حذفها، أو إعادة صياغتها، أو إضافة معلومة مأخوذة من مصادر أخرى أو تعليق. ومما يمكن عمل جدول من عمودين: عمود يضم عنوان القسم الفرعي، وعمود يضم النص المنسوخ من المرجع المحدد، مع مراعاة توثيق كل فقرة مستقلة. ويمكن أيضا تعليم الفقرات المطلوبة بلون ليميزها عن المحتمل حذفه، وإن كانت الألوان لا تفيد إلا من يطبع بحثه بنفسه إلكترونيا. انظر الجدول (٤ - ٣).

صفات الرشيد	حج عام ١٧٠، وعام ١٧٧ وعام ١٧٩، وعام ١٨١ وأرسل من يغزو الروم، (بن خياط ج١: ٤٤٧).
صفات الرشيد	حج عام ١٨٦، وعام ١٨٨ (ابن خياط ج١: ٤٥٨).
صفات الرشيد	أرسل من يغزو الخوارج ويقتلهم بن خياط ج١: ٤٥٤.
صفات الرشيد	غزا هارون الروم عام ١٩٠ (المعارف جزء ١: ٣٨٢).
صفات الرشيد	تقدير العلماء: كان المغيرة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. وعرض عليه هارون الرشيد قضاء المدينة وجائزةً أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى أمير المؤمنين إلا أن يُلزمه "القضاء". فقال: والله يا أمير المؤمنين لأن يخنقني الشيطانُ أحبُّ إليَّ من أن أليَ القضاء. فقال الرشيد: ما بعد هذا غاية.

	وأعفاهُ من القضاء، وأجازه بألفي دينار. (البلدان جزء ١ صفحة ٨٣)
يحيى والخليفة	فقال بختيشوع إني لقاعد في مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد وكان يدخل بلا إذن فلما صار بالقرب من الرشيد وسلم عليه رد عليه ردا ضعيفا فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير ثم أقبل علي الرشيد فقال يا بختيشوع يدخل عليك في منزلك أحد بلا إذنك فقلت لا ولا يطمع في ذلك فقال ما بالنا يدخل علينا بلا إذن فقام يحيى فقال يا أمير المؤمنين قدمني الله قبلك والله ما ابتدأت ذلك الساعة وما هو إلا شيء خصني به أمير المؤمنين ورفع به ذكري حتى إن كنت لأدخل وهو في فراشه وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب وإذ علمت فإني أكون في الطبقة الثانية من أهل الإذن والثالثة إن أمرني سيدي بذلك قال فاستحى وكان من أرق الخلفاء وجها وعيناه في الأرض ما يرفع طرفه ثم قال ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون وخرج يحيى (المنتظم جزء ٩ صفحة ١٢٦).
جعفر والخليفة	وقال ثمامة بن أشرس رفع محمد بن الليث رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويقول **إن يحيى بن خالد** لا يغني عنك من الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف أنت إذا وقفت بين يدي الله فسألك عما عملت في عباده وبلاده فقلت استكفيت يحيى أمور عبادك أتراك تحتج بحجة يرضاها مع كلام فيه توبيخ وتقريع فدعى الرشيد يحيى وقد تقدم إليه خبر الرسالة فقال تعرف محمد بن الليث قال نعم قال فأي الرجال **هو قال متهم على الإسلام فأمر به فوضع في الحبس دهرا.** (المنتظم جزء ٩ صفحة ١٢٧).
جعفر والخليفة	أطلق جعفر سراح يحيى ابن عبد الله، أحد الثائرين على هارون الرشيد، بدون إذنه، فأخبره الفضل ابن الربيع فأراه أنه لا يعبأ

	بخبره، وقال ما أنت وهذا لا أم لك فلعل ذلك عن أمري فانكسر الفضل. **وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا وجعل يلقمه ويحادثه إلى أن كان آخر ما كان بينهما أن قال ما فعل يحيى بن عبد الله قال بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال الثقيلة** فقال بحياتي [صياغة شعبية مؤلفة] فأحجم جعفر وكان من أرق الخلق ذهنا وأصحهم فكرا فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره فقال لا وحياتك يا سيدي ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به ولا مكروه عنده قال نعم ما فعلت ما عدوت ما كان في نفسي فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد يتوارى عن وجهه ثم قال قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك فكان من أمره ما كان... (المنتظم جزء ٩ صفحة ١٢٨؛ الكامل في التاريخ جزء ٥ صفحة ٣٢٧).
قصة العباسة	وفي هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما إذا جلس للشرب فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فإني لا أطيق الصبر عنها فأجابه إلى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاما فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له إلى مكة فأعطته الجواهر والنفقات ثم إن عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد وأخذت علما بمكانه فحج هارون هذه السنة وبحث عن الأمر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاما بعسفان إذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك أول تغير أمرهم (الكامل في التاريخ جزء ٥ صفحة ٣٢٧).

الجدول (٤ - ٣)

تحليل المادة العلمية:

كما سبق ذكره هناك ثلاث وظائف رئيسة للأبحاث التاريخية هي: جمع المعلومات اللازمة حول الشخصية التي نريد دراستها أو الجماعة أو النظام؛ والتحقق من مصداقية القصص التاريخية والتوصل إلى الصورة الحقيقية للحدث التاريخي. ومثاله التعرف على المساهمة الفعلية لكل طرف من الأطراف المشتركة في صناعة الحدث، ولا سيما الأطراف المتخاصمة. ومن الأبحاث التاريخية استقراء الأحداث للوصول إلى فرضية أو نظرية، تفسر الأحداث المشابهة.

ولتحقيق هذه الأهداف العامة نضع في أذهاننا الحقائق العامة عن طبيعة المادة العلمية للدراسات التاريخية المذكورة في الفصل الثاني، ووسائل التحقق في الفصل الثالث. ويمكن التأكيد على النقاط التالية:

أولا- الحرص عند جمع المادة العلمية على تعدد المصادر، سواء أكانوا أفرادا أو كتابات أو تسجيلات، حتى بالنسبة للخبر الواحد أو الحدث الواحد، بحيث يشمل القصص المتعارضة أو الروايات المتعارضة. فهذا أدعى للوصول إلى صورة متزنة وعادلة بالنسبة للقضية التي نتناولها بالدراسة. فهناك ضرورة قصوى لحصر جميع القصص التي تؤيد أحد الطرفين أو تعارضه، وذلك لأسباب منها[1]:

١- قد ينتقد أحد الباحثين في مجال محدد عمل شخصية محددة في مجال التأليف أو في مجال القصائد، فيجب أن لا يتجاوزها إلى تعميم نتائج بحثه على المؤلف والشاعر، وإنما يقصرها على إنتاجه فقط. فربما تراجع الكاتب عن رأيه الذي عبر عنه، وربما كانت كبوة جواد، وربما كانت ردود فعل اضطرارية للبيئة المؤقتة التي عاشها.

٢- قد يجد المؤرخ مرجعا من المراجع سجل عملا أو سلوكا سلبيا لشخصية محددة، في فترة من عمره، أو في ظروف محددة، فلا ينخدع ويعمم هذا السلوك السلبي. بل ينبغي عليه أن يبذل جهدا في البحث عن حسناته، ليخرج

(١) انظر مثلا صيني، زفرات جزء ٣، من المخطئ في حادثة استشهاد الحسين؟

بالصورة الصحيحة لهذه الشخصية. وكثيرا ما يكتشف المؤرخ أن الصفات الإيجابية لهذه الشخصية تفوق كثيرا صفاته السلبية التي أثبتتها بعض المراجع.

٣- مكانة الطرفين الرئيسين في النزاع غير متكافئة، من حيث الصفات الوراثية، مثلا في الاختلاف الذي وقع بين الحسين ابن علي وبين الخليفة يزيد ابن معاوية. فالحسين من أهل البيت ومن الصحابة أيضا. أما يزيد ابن معاوية، مع ثبوت صلاحه وحكمته لا يقارن بحال سبط أو حفيد نبي رب العالمين الثابت فضله عن جده عليه الصلاة والسلام. وهذا يعني أنه في حالة تساوي يزيد معه في الصفات المكتسبة فإن الحسين يفضل عليه بالصفات الوراثية. ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى المحاسبة النهائية على الصفات المكتسبة، وليس على الموروثة إلا بصفتها من النعم التي يحاسب عليها الإنسان. يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. ولهذا وجب الترجيح بين الروايات المتعارضة في ظل الصفات الشخصية المكتسبة للمتنازعين، وليس في ظل الفضل الموروث، مثل النسب أو القرب من نبي رب العالمين... فمن المعلوم أن حرمان المسلم من الميزات الموروثة لا تؤثر على مكانته عند الله العليم الخبير المطلع على سره وعلانيته.

٤- مكانة الشخصيات البارزة عند الفئات المتنازعة تختلف، وأحيانا بشيء من الغلو. ومثاله مكانة الحسين، رضي الله عنه، عند الشيعة، بسبب استغلال المغالين من قياداتهم للحادثة لنشر عقيدتهم، وللهيمنة على جمهورهم وللاحتفاظ بامتيازاتهم على أتباعهم، مثل حق جمع الخمس... فقد عمل كثير من المغالين بحماس على دس كثير من القصص والروايات والتفاصيل والتعليقات التي تأثر بمجملها حتى المنصفون من المؤرخين المسلمين فوقعوا في فخ ترديدها، وكأنها حقائق. ولما كان يزيد هو الخليفة المبايع له في

(١) الحجرات: ١٣.

العاصمة الإسلامية، والحسين له مكانته العالية عند المسلمين عامة، والمقدسة عند غلاة الشيعة انقسم الذين تناولوا الحادثة إلى فريقين: فريق يناصر الحسين، وفريق يناصر يزيد، وبدا من الصعوبة بمكان التوفيق بينهما، ووقف الكثير حيارى.

ثانيا- في الغالب هناك قصص متضاربة حول الشخصيات الرئيسة فأيها نصدق؟ الطريقة العلمية المتيسرة هي جمع كل ما ورد عن هذه الشخصيات: السلبي منه والإيجابي، ثم الخروج بالسمة الغالبة، بتحكيم العدد الأكبر من القصص في الكفتين، وذلك إضافة إلى النقد الخارجي أو الداخلي للقصة. ومن النقد الخارجي التعرف على موقف الراوي من الشخصية المحددة. فبالنسبة للحسين مثلا، هناك الصحابة المحايدون والمشفقون، الذين نصحوا الحسين بعدم تصديق الرسائل التي وصلته. وهناك المحبون للحسين لرابطة القرابة والمتفانون في الوقوف معه. وهناك المتشيعون لعلي المبالغون في محبته والمبغضون أشد البغض لمن يخالفه. ومن النقد الداخلي اكتشاف أن تاريخ القصة التي تدين الشخصية جاءت عقب موته.

ثالثا- عند تحليل الأحداث لا يكفي التعرف على السمات الغالبة على قيادات الأطراف المتنازعة، إذ لا بد من التعرف على مكونات أتباعهما. هل هي وحدة واحدة تمثلها قيادتها، وهم يمثلون قيادتها؟ أم أنهم أقسام مختلفة، وربما متعارضة؟ فالمنافقون كانوا تحت راية النبي ﷺ، ولكن كانوا يحاربونه والمؤمنين. فمن الضروري، مثلا أن نعرف أن أتباع الحسين كانوا قسمين: قسم مخلص لقضيته، وقسم يريدون استخدامه لمحاربة خليفة المسلمين، يزيد، وهم الأغلبية. وأتباع يزيد كانوا ينقسمون إلى: مطيعين للخليفة الذي أمر بالتصدي لمن خرج عليه وزحف إليه؛ وفريق كان يسعى لتحقيق مصالح شخصية ومتحمس للقضاء على من خرج على الخليفة، اعتقادا بأن ما يفعله يقربه إلى الخليفة؛ وفريق يمثل الأغلبية متعاطف مع الحسين، ولكن ليس مع قراره بالخروج على الخليفة.

رابعا- ضرورة الإنصاف بين الخصوم تقتضي أن يكون الباحث يقظا، ينتبه إلى الظروف التي وقعت فيها الحادثة، والدلالات الحقيقية للقرارات، وليست الدلالات

العاطفية. ويساعد على ذلك أن نعقد مقارنة بين ما فعلته إحدى الشخصيات الرئيسة في الحادثة وما يمكن أن تفعله إذا كان في مكان خصمه، في ضوء السمات الشخصية العامة والروايات المسجلة حول هذه الفترة العصيبة. ومثالها ما جرى بين الخليفة الراشد الثاني، عمر بن الخطاب، وبين سيف الله، خالد ابن الوليد. خرج صحابي من جيش خالد بعد قضائه على مسليمة الكذاب، وشكى خالدا إلى أبي بكر الصديق، وذلك لأن خالدا نزل بمنطقة "البعوضة"، وكان مؤذنهم غائبا، فلم يسمع أذانا، فأغار عليهم فقتل منهم ناسا. وجاءت مشكلة أخرى وهي أن مالك بن نويرة أحد الرافضين لدفع الزكاة وقع أسيرا. وكانت الليلة باردة فنادى منادي خالد "أن أدفئوا أسراكم". ففهم حراس الأسرى أنه الأمر بقتلهم، وذلك لأن كلمة "الدفء" في لغة كنانة تعني القتل. فلما علم الخليفة، أبو بكر، جزع من ذلك جزعا شديدا فكتب إلى خالد، فقدم عليه. وعندما سمع القصة منه قال أبو بكر: هل يزيد خالد على أن يكون تأول فأخطأ، ورد أبو بكر خالدا، وودى مالك بن نويرة، وردّ السبي والمال. وأعاد الصحابي الذي اشتكى خالدا إلى الجهاد مع أميره خالد ابن الوليد[1]. وهذا مما يؤكد براءة خالد أمام عدل الصديق وحزمه.

وحدث أن تزوّج خالد بزوجة مالك، بعد انقضاء عدتها. وكان عمر قد طلب من أبي بكر عزل خالد، فلم يوافق لثبوت براءته من التهم الموجهة إليه. وما جرى فإنه يمكن أن يحدث لأي أحد، مع إخلاص النية. ولكن عندما تولّى عمر بن الخطاب الخلافة جرّد خالد من كثير من الصلاحيات المنوحة له في خلافة أبي بكر الصديق. ولعل عمر فعل ذلك لأسباب، منها أن تلك الصلاحيات ليست ملكا لخالد فيحرمه حقه، ولأنه يعرف أن أداء خالد في الدفاع عن الإسلام لن يتأثر، وأن الحذر مما شاع حول خالد، يقتضي ذلك، وإن لم تثبت التهم الموجهة إليه. ولهذا كانت ردة فعل خالد على قرارات الخليفة، عمر، أن قال في مرضه: "وجدت عليه في نفسي أمورا لما تدبّرتُها في مرضي...عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل... وكان

(١) العصفري، تاريخ خليفة ص٩٨ - ١١١.

يغلظ عليّ، وكانت غلظته على غيري نحوا من غلظته علىّ، وكنت أدل عليه بقرابتي، فرأيته لا يبالي قريبا ولا لوم لائم في الله"[١].

ومما يساعد على النظرة الحيادية عقد مقارنة بين ما فعلته إحدى الشخصيات الرئيسة في الحادثة وما يمكن أن يفعله المؤرخ إذا كان في مكانه. ومثاله، ماذا يمكن أن يفعله ولي الأمر إن تمرّدت عليه ولاية من الولايات التي سبق أن بايعته؟ وهذا ما حصل بالنسبة لإرسال يزيد جيشا إلى المدينة المنورة، أو إلى مكة المكرمة. وهنا ينبغي على الباحث المنصف واليقظ أن يتنبّه للإشاعات والافتراءات التي ينشرها بعض الخصوم، مثل أسطورة إباحة المدينة. فهي كذبة ردّدها بعض المؤرخين، عن حسن نية، ودون تفكير في احتمال حدوثها ولو بالعقل فحسب. ويعتمد الطبري في روايتها على أبو مخنف، وهو شيعي معلوم التشيع، وردد روايته مؤرخون آخرون معروفون بالتشيع؛ ونقلها آخرون، بحسن نية، عن الطبري. وهناك روايات أخرى جاءت عن غير هذا الشيعي لم ترد فيها هذه الفرية العظيمة[٢]. وهي تهمة شنيعة لمسلم، ينطبق على من يرددها، دون تكذيب لها، وعيد النبي ﷺ "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها، يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"[٣].

رابعا- التعرف على الجزء المتفق عليه من الحدث، وفحص الأجزاء المختلف عليها، مثل قصص أو تفسيرات تساند رأيًا محددا. فليس من المستغرب صناعة الأساطير حتى في الدول العظمى التي تدعي أنها تحارب الآخرين لنشر الديموقراطية. فقد يكتشف المؤرخ أن الحدث كله مصنوع بما فيه الجزء الثابت بالاتفاق المعلن أو بعدم اعتراض أحد الأطراف عليه. وليس من المستغرب أن يصدق العقلاء من ذوي الثقافة العالية هذه الأساطير لتعقد الأمور وكثرة المشاغل، ولسطوة وسائل الإعلام، ولا سيما سطوة مالكيها من عبيد الدرهم والدينار.

---

(١) سلم، حروب الردة ص١٢٦ - ١٣٢؛ البلاذري، فتوح ص١٠٦ - ١٠٨.

(٢) شبكة الدفاع عن السنة.

(٣) النووي، رياض الصالحين.

خامسا- من الملاحظ على أمهات كتب التاريخ الإسلامي أنها مليئة بالأبيات الشعرية، وبالخطب الرنانة التي لا يفيد معظمها إلا التسلية، وذلك إضافة إلى كونها قد تورد روايات متعددة للقصة، لا تضيف إلا سلسلة أخرى من الأسانيد، وتجمع قصصا تحتمل الصدق وأخرى واضحة الصناعة وتخالف العقل، ومحشوة بالبهارات اللازمة لجذب المستمعين إلى قصص الحكواتية. لهذا ينبغي على الباحث اختصار المادة العلمية المتوفرة، بحذف المتكرر، وحذف مثل تلك الأبيات الشعرية وتفاصيل الخطب الرنانة التي لا تضيف إلى الحقائق شيئا يذكر، والتغاضي عن الأسماء الكثيرة التي لا تهم الدراسة المحددة، وعليه التشكيك، بأي طريقة، في مصداقية الأرقام الدقيقة لعدد المشاركين، والقتلى والجرحى، فهي مشوبة بالتضخيم والمبالغة. كما ينبغي عليه تجاوز التواريخ التفصيلية، إلا للتحقق من وقوع حادثة أو حوادث محددة، ذات ترتيب زمني قطعي.

سادسا- عمل جدول للأحداث التاريخية وللحقائق الثابتة، ذات العلاقة بالأحداث التي يكتب عنها الباحث. فهي تساعد في تيسير مهمة ترتيب الموضوع أو مناقشته، وفي اكتشاف التناقضات أو كذب القصة المحددة، مثل قصة العباسة وبعثها رسولا لنقل صبيها من مكة إلى اليمن، بعد وفاتها بحوالي خمس سنوات.

سابعا - الاستفادة من الوسائل الحديثة، مثل الأبحاث المتخصصة ذات العلاقة بموضوع البحث ومواده. فالأحداث التي تقع في عصر تتوفر فيه الكاميرات والتصوير الثابت والمتحرك، ومعامل الاختبار المتقدمة لآثار الحادثة، تختلف عن التي وقعت في زمن لم تتوفر فيه إلا الرواية الشفوية أو الرسم أو النقوش.

ثامنا- الاستعانة بشخص أو أشخاص يقرؤون النتائج التي يتوصل إليها الباحث، والأدلة التي يسوقها والترتيب الذي يستخدمه لعرض الأحداث، ما لم يكن البحث للحصول على اعتراف من جهة رسمية بأن الباحث يستحق المكافأة المحددة.

تمارين البحث التاريخي في خطوات:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- هناك نماذج ثلاث لصياغة مشكلة الدراسة، قارن بين صياغة المشكلة في دراستين، غير واردتين في الكتاب، مع بيان أوجه الاختلاف، والسبب الذي وراء الاختلاف في وجهة نظرك، مع الربط بما ورد في الفصول الثلاث الأولى من الكتاب.

٢- هناك نماذج ثلاث لصياغة الجهود السابقة، قارن بين صياغة دراستين، غير واردتين في الكتاب، مع بيان أوجه الاختلاف، والسبب الذي وراء الاختلاف من وجهة نظرك، مع الربط بما ورد في الفصول الثلاث الأولى من الكتاب.

٣- هناك نماذج ثلاث لصياغة منهج البحث، قارن بين صياغة المنهج في دراستين، غير واردتين في الكتاب، مع بيان أوجه الاختلاف، والسبب الذي وراء الاختلاف من وجهة نظرك، مع الربط بما ورد في الفصول الثلاث الأولى من الكتاب.

٤- اختر رسالة ماجستير أو دكتوراه في البحث التاريخي، وناقش منهج جمع المادة العلمية في ظل قواعد جمع المادة العلمية المذكورة في الفصول الثلاث الأولى من الكتاب، مع ضرب الأمثلة اللازمة.

٥- اختر رسالة ماجستير أو دكتوراه في البحث التاريخي، وناقش منهج تحليل المادة العلمية في ظل قواعد جمع المادة العلمية المذكورة في الفصول الثلاث الأولى، مع ضرب الأمثلة اللازمة.

الفصل الخامس

نتيجة ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى

المقدمة العامة:

كثر الحديث عن أحداث الفتنة التي وقعت بين بعض كبار أصحاب محمد ﷺ، وهناك اتفاق على أن "الفئة الباغية" التي ورد ذكرها في حديث قتل عمار ليست من الصحابة الأجلّاء. ولكن أيضا من العبث إلقاء اللوم كله علي الفئة الباغية التي غزت عاصمة الخلافة الإسلامية، وقتلت خليفة المسلمين، وتسلطت على الأمور السياسية، وإلا افترضنا أن الموجودين في الحادثة كانوا حجارة شطرنج تحركها الفئة الباغية. وحاشا لله أن تكون القيادات الرئيسة من الصحابة حجارة شطرنج.

ومن المعلوم أن بعض قرارات أصحاب القرار النهائي أسهمت في سفك دماء آلاف المسلمين، وليس دماء الكافرين المعادين. بيد أنا نؤمن ونجزم بأن القرارات الرئيسة للقيادات من الصحابة كانت ترتكز على قواعد شرعية ثابتة، ونثق في إخلاصهم للحق، وأنهم اجتهدوا في ترجيح الآراء الشرعية المتوفرة، والاجتهاد قد يخطئ ويصيب. فالخليفة الراشد الرابع كان يرى أن الأولوية لتوحيد كلمة المسلمين تحت رايته، والفِرق الأخرى كانت ترى الأولوية لتطبيق حد القصاص على المستحقين، عند توفر القدرة.

وأما القرارات التنفيذية للفِرق المعنية هي اجتهادات بشرية غير معصومة من الخطأ، وأسهمت، بدرجات متفاوتة، في المذبحة الكبرى للمسلمين. فالصحابة عدول في رواية أخبار المصطفى، وحريصون على اتباع أوامر الله ورسوله الكريم، ولا سيما من كان في مستوى أصحاب القرارات النهائية في الفتنة. بيد أنهم غير

معصومين من الخطأ في الاجتهاد الذي يثاب عليه المخطئ والمصيب، مثل طريقة تنفيذ الرأي الراجح عندهم: الإصرار المستميت أو الموازنة في ظل الواقع المتصادم. وكذلك الحال بالنسبة لنوع الوسائل التي يستعينون بها. فمن الوسائل، لا سيما السلبية منها، ما لها نتائج بالغة الخطورة.

وقد يعتقد البعض أن الموازنة بين المبادئ والواقع نوع من التذبذب والنفاق، ولكن الحقيقة تقول بأن الموازنة ما لم تكن على حساب مجموعة كبيرة من المسلمين، هي نوع من الحكمة المطلوبة من أصحاب القرار في الشئون الخاصة، والعامة بصفة خاصة. ولنا قدوة حسنة في رسول رب العالمين وقرراه يوم صلح الحديبية.

والخطأ في الاجتهاد طبيعي، فحتى الأنبياء الذين يتلقون الوحي والمعصومين في التبليغ عن ربهم، قد يقعون في بعضها. ولم يسلم منها خاتم النبيين وسيد المرسلين، ويكفي أن نقرأ سورة عبس وتولى، وأن نتذكر الموقع الذي اختاره النبي ﷺ في غزوة بدر، وحكمه في الأسرى. ومن زاوية أخرى، فالخطأ في الاجتهاد بالنسبة للمسلم ينتج عن خطئه في تقدير ما يحبه الله، في غياب الكتاب والسنة. وقد ينتج عن الخطأ في تقدير الواقع، أو في تصور النتائج المحتملة، كما ينتج عن الاستبداد في الرأي والإصرار على تنفيذه، وتجاهل الموازنة بين المصالح المتصادمة عمدا أو اجتهادا.

نتائج الدراسة:

استشهاد الخليفة عثمان

(الجزء الأول)

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

حوادث استشهاد الخليفة عثمان:

بدايات الفتنة:

جلس سعيد ابن العاص، والي الخليفة عثمان للناس فقال عبد الرحمن ابن

خنيس، وهو حدث، والله لوددت أن ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة هو لك. فقال البعض فض الله فاك، إنه يتمنى له سوادنا، أي مناطقنا الزراعية. فقال ابن العاص ويتمنى لكم أضعافه. قالوا: لا يتمنى لنا ولا له. وثار إليه الأشتر وبعض الأشقياء، فأخذوه. فذهب أبوه ليمنعه فضربوهما حتى غشي عليهما. وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، فسمعت بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل. فعاذ المشاغبون بسعيد وقالوا أفلتنا وخلصنا. فخرج سعيد إلى الناس وهدأ الأمر، وطلب من هؤلاء الأشقياء عدم حضور مجلسه[1].

وكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم فكتب إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية. وكان عثمان قد كتب إلى معاوية إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فأخِفهم، وقم عليهم. فإن آنست منهم رشدا فأقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم. فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم دارا، وأجرى عليهم، بأمر عثمان، ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل يتغدى ويتعشى معهم. وبذل الجهد في نصحهم، ومناقشتهم بشيء من الحزم وبيان فضل الإسلام عليهم وفضل قريش، ولكنهم كانوا يظهرون المكابرة والعنت. فتركهم فترة فلاحظ معاوية أنهم يشهدون الصلاة، ودخل عليهم يوما وبعضهم يقرئ بعضهم القرآن، فقال إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم. ووبخهم وقال لهم إن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم وليسعكم ما وسع الناس، ولا يبطرنكم الإنعام. فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم. وكتب معاوية إلى عثمان إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أثقلهم الإسلام وأضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة.

وخرج القوم من دمشق فقالوا لا ترجعوا إلى الكوفة فإنهم يشمتون بكم وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام، فأووا إلى الجزيرة. وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان معاوية قد ولاه حمص، فدعا بهم، وأنّبهم. وسرح الأشتر

(١) سيف، الفتنة ص٣٥ - ٣٦.

إلى عثمان. وخرج الأشتر فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه. فقال عثمان للأشتر أحلل حيث شئت. فقال مع عبد الرحمن بن خالد وذكر من فضله. فقال ذاك إليكم فرجع إلى عبد الرحمن. (سيف، الفتنة ص٣٧ - ٤١).

واشتكى أهل الذمة من حكيم ابن جبلة الذي كان إذا رجعت جيوش المسلمين تأخر عنها يغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء. ثم يرجع، فشكاه اهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى واليه في البصرة، عبد الله بن عامر، أن أحبسه ومن كان مثله لا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا. فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها. فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع نفر إليه فطرح عليهم ابن السوداء اليهودي الذي أظهر الإسلام ويريد التفريق بين المسلمين بطرح فكرة تأليه علي وتعاطف معه حمران بن أبان الذي تزوج امرأة في عدتها وفرق بينهما وضربه وسيره إلى البصرة. وعندما واتته الفرصة للانتقام سعى مع آخرين بعامر بن عبد قيس الذي كان واليا لعثمان على البصرة بتهم منها: أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة. (سيف، الفتنة ص٤١ - ٤٣).

اجتماع الثوار على عثمان:

خلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعا أو مفتونا، فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد فجلس فيه، وثاب إليه الذين كان فيهم ابن السوداء يكاتبهم فعارضه القعقاع. فرجع يزيد بن قيس إلى بيته واستأجر رجلا وأعطاه دراهم وبغلا على أن يأتي مجموعة الأشقياء الذين منهم الأشتر، وكتب إليهم لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا فإن أهل المصر معنا على خلع عثمان. ومن ناحية أخرى ظهر الأشتر في يوم جمعه على باب المسجد يحرض على سعيد، والي عثمان، بالكذب عليه، وأنه يحرض الخليفة عثمان على إنقاص مخصصاتهم. (سيف، الفتنة ص٤٥).

فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفعل وبقي حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد وذهب من

سواهم. وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة ومعه الأشتر وقد كان سعيد تأخر في الطريق، فلما طلع عليهم وجدهم معسكرون يتربصونه. فقالوا: لا حاجة لنا بك. فقال لماذا اختلفتم الآن؟ إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلا، ثم انصرف عنهم راجعا إلى المدينة، وقال لهم مولى لسعيد: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع فضرب الأشتر عنقه، ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره الخبر فقال ما يريدون أخلعوا يدا من طاعة قال اظهروا أنهم يريدون البدل. قال فمن يريدون؟ قال أبا موسى قال أثبتنا أبا موسى عليهم؛ ووالله لا نجعل لأحد عذرا، ولا نترك لهم حجة، ولنصبرن حتى نبلغ ما يريدون. وكتب لهم ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئا أحببتموه، لا يعصي الله فيه، إلا سألتموه ولا شيئا كرهتموه، لا يعصى الله فيه، إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أحببتم، حتى لا يكون لكم علي حجة. [1]

دعوة عبد الله بن سبأ:

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فيلقب باين السوداء، فأسلم أو تظاهر بالإسلام زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم. فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد. وأخرجه أهل الشام فتوجه إلى مصر. فاستقر عندهم وقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويُكذِّب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾. ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان هناك ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان عليّ وصى محمد. ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلى خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يُجِز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على، وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة (أي أن أبا بكر وعمر حرما عليًا الخلافة). ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق؛ وهذا وصي رسول الله ﷺ. فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا بالطعن على أمرائكم واظهروا الأمر

(١) سيف، الفتنة ٤٦ - ٤٧.

بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر. فبث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبا يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون. فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة. فوصله الخبر بما شاع، فأرسل من يتحقق عن الأوضاع، فوصلهم أن أمراءه يقسطون، ويقومون بما عليهم. وكان الخليفة قد أرسل عمارا ليتحقق من الوضع في مصر، فاستماله قوم بمصر، منهم عبد الله بن السوداء[١].

مشاورات عثمان مع ولاته:

كتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته. وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم. وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يُشتمون وآخرون يُضربون. فيا من ضُرب سرا وشُتم سرا، من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه، حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين[٢].

المواجهة الأولى سنة ٣٤هـ:

كاتب أهل مصر أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا على أمرائهم واتفقوا على يوم محدد. فلم يستجب لهم إلا أهل الكوفة. فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها واجتمع إليه أصحابه.

(١) سيف، الفتنة ص٤٧ - ٤٩.

(٢) سيف، الفتنة ص٥٠ - ٥١.

ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس. فعندما علم الخليفة بذلك طلب من اثنين التأكد مما يريدون. فقالوا نريد أن نسأله عن أشياء، وهددوا الخليفة بخلعه أو قتله، إذا رفض التنازل عن الخلافة. فأمر الخليفة الراشد بالنداء ليجتمع الناس، وليسُنّ سنة جريئة في العدالة بين الحاكم والمحكوم، فقف موقف المتهم ليناقش المحكومين فيما اتهموه بها. فقال إن هؤلاء:

١ - قالوا أتم الصلاة في السفر، أي أنه أتم أثناء الحج في مكة، وكانت لا تتم. ألا وإني قدمت بلدا فيه أهلي فأتممت، أليس كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

٢ - قالوا وحميت حمى، وإني والله ما حميت إلا اقتداء بمن قبلي لصدقات المسلمين يحمونها. فعمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة. وما لي من بعير غير راحلتين وما لي ثاغية ولا راغية. وإني قد وليت وإني أكثر العرب بعيرا وشاة، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي أكذلك؟ قالوا اللهم نعم. وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطي[(١)].

٣- وقالوا كان القرآن كتبا فتركتها إلا واحدا. ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء أكذلك؟ قالوا نعم. وهنا يشير إلى أن أباب كر بمشورة عمر جمعا القرآن في مجلد واحد. وما فعله هو توحيد الآيات المقروءة لظهور الخلاف على بعض الآيات بين بعض المسلمين.

٤- وقالوا إني رددت الحكم وقد سيّره، أي نفاه رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف. سيره رسول الله ﷺ، ثم رده. أكذلك؟ قالوا اللهم نعم.

٥- وقالوا استعملت الأحداث. ولم أستعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا. وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده. ولقد وُلّى من قبلي أحدث منهم،

(١) سيف، الفتنة ص٤٥ - ٥٦، فضائل الصحابة لابن حنبل جزء ١ صفحة ٤٧٠.

وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي، في استعماله أسامة. أكذلك؟ قالوا اللهم نعم.

٦- وقالوا إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه وإني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم أكذلك قالوا نعم.

٧- وقالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيهم. فأما حبي فإنه لم ينتج عنه جور على أحد، بل أحملهم ما عليهم من الحقوق. وأما إعطاؤهم فإني ما أعطيهم إلا من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس. ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص. أفحين فني عمري وودعت الذي لي في أهلي؟ وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا. ولقد رددته عليهم، وما قدم عليّ إلا الأخماس، ولا يحل لي منها شيء[1].

٨ - قالوا أعطيت الأرض رجال. وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك. فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم، بأمرهم، من رجال أهل عقار ببلاد العرب، فنقلت إليهم نصيبهم فهو في أيديهم دوني.

ومع هذه الأدلة الدامغة لبراءته من التهم، وفي حضور كبار الصحابة، تكاتب البغاة، وتواعدوا على الاجتماع في ضواحي المدينة في شوال سنة خمس وثلاثين.

خروج الثوار إلى المدينة عام ٣٥هـ:

لما كان شوال سنة خمس وثلاثين خرج البغاة من مصر والكوفة والبصرة،

(١) سيف، الفتنة ٥٦.

متجهين إلى المدينة، متظاهرين بأنهم حجاج. وكان مجموع عددهم يتراوح بين الألف ومائتين وثلاثة آلاف.

وكان على أهل مصر أربعة أمراء: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان ابن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني. وعليهم جميعا الغافقي ابن حرب العكي، وكان معهم ابن السوداء وخرج أهل الكوفة ومن قياداتهم: زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الاصم أحد بني عامر بن صعصعة؛ وعليهم جميعا عمرو بن الأصم. وخرج أهل البصرة وقياداتهم: حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي، وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدي. وكان أهل مصر يريدون عليًا للخلافة وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يريدون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يريدون الزبير.

فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة فقال زياد بن النضر وعبد الله ابن الأصم لا تعجلوا حتى نعرف أخبار أهل المدينة. هل هم مستعدون لنا، أو أنهم لا يعلمون بهدفنا. فدخلا المدينة ولقيا أزواج النبي ﷺ وعليًا وطلحة والزبير، وقالا إنما نأتم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك. وعرض المصريون على علي الخلافة، بدلا من عثمان، وعرض البصريون الاقتراح نفسه على طلحة، والكوفيون على الزبير. فرفض الثلاثة وقالوا لهم لقد علم الصالحون ان جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله قالوا نعم فانصرفوا من عندهم على ذلك. (سيف، الفتنة ص٥٧ - ٥٩).

مباغتة أهل الفتنة للمدينة:

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن. وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحدا من كلام فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم علي فقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن

رأيكم قالوا أخذنا مع البريد كتابا بقتلنا. وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا، ونمنعهم جميعا كأنما كانوا على ميعاد. فقال لهم علي: **كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة**. قالوا فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا. وهو في ذلك يصلي بهم وهم يصلون خلفه ويغشى من شاء عثمان، وكانوا لا يمنعون أحدا من الكلام وكانوا زمرا بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع. (الفتنة ووقعة الجمل جزء ١ صفحة ٦٠ - ٦١).

كتابة عثمان إلى الأمصار (سيف، الفتنة ص٦١ - ٦٣):

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم، ويوق في رسالته: لقد أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم، ومن الناس علي، على غير طلب مني ولا محبة فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، مقتديا غير متكلف. ومضت الأمور على مايرام ثم بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة، وعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع. فازدادوا على الله عز وجل جرأة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة وثابت إليهم الأعراب. فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق. فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول.

ولما جاءت الجمعة التي على اثر نزول المصريين مسجد رسول الله ﷺ خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء العدى. الله الله فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ. فامحوا الخطايا بالصواب. فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ إلا بالحسن. فقام محمد بن مسلمة فقال أنا اشهد بذلك. فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده فقام. ثم احتدم النقاش بين الطغاة والمدافعين عن الخليفة، فحصب الغزاة الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع على المنبر مغشيا عليه. وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر: محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة

وعمار بن ياسر. وشمر البعض ليدافعوا عن الخليفة، منهم: سعد بن مالك وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن علي. فبعث إليهم عثمان بعزمه أن ينصرفوا فانصرفوا.

وفي رواية أخرى لسيف، صلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ثم أنهم منعوه الصلاة فصلى بالناس أميرهم الغافقي دان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم وكان الحصار اربعين يوما وفيهن كان القتل ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح. (سيف، الفتنة ص٦٤).

آخر خطبة لعثمان:

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية. (سيف، الفتنة ص٦٤).

وكان آخر كلامه للناس: يا أهل المدينة إني أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله في قضائه ولأدعن هؤلاء وما وراء بابي غير معطيهم شيئا يتخذونه عليكم دخلا في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمدا وابن الزبير وأشباها لهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم وتاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار.

حصار الخليفة:

كان الحصر اربعين ليلة والنزول في المدينة سبعين. فلما مضت من الأربعين ثماني عشرة جاء الركبان بخبر قدوم المدافعين عن الخليفة من الآفاق. فعندها قام الطغاة بمنع الناس عن الخليفة، ومنعوه كل شيء حتى الماء. وقد كان يدخل علي بالشيء مما يريد حتى منعوه. (سيف، الفتنة ص٦٥) وجاءت أم حبيبة على بغلة لها

فضرب الأشتر وجه بغلتها فكادت تسقط. وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأم حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل. وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج. (سيف، الفتنة ص٦٦) وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء فأشرف عثمان على الناس فقال يا عبد الله بن عباس فدعي له فقال اذهب فأنت على الموسم وكان ممن لزم الباب فقال والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج [ابن عباس +] فأقسم عليه لينطلقن فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة. (سيف، الفتنة صفحة ٦٧).

فلما علم البغاة بأن الناس يستنكرون عملهم قالوا لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل بذلك الناس عنا. فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا. فناداهم عثمان: الله. الله. أنتم في حل من نصرتي فأبوا ففتح الباب وخرج ومعه الترس والسيف لينهاههم. فلما رأوه أدبر المصريون وركبهم فتراجعوا. وأقسم الخليفة (سيف، الفتنة ص٦٨) على الصحابة ليدخلن. فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين. فلما بقي المصريون لا يمنعهم أحد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاؤوا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة فتأجج الباب والسقيفة حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب. فثار أهل الدار وعثمان يصلي حتى منعوهم الدخول، وكان من برز لهم المغيرة بن الأخنس، محمد بن طلحة وهو يقول (الفتنة ووقعة الجمل جزء ١ صفحة ٦٩) وسعيد ابن العاص. وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم. (سيف، الفتنة ص٧٠) وأقبل أبو هريرة والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصبة فاستقتلوا فقام معهم.

واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملؤها ولا يشعر الذين بالباب وأقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم وندبوا رجلا لقتله. فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك لست خالعا

قميصا كسانيه الله عز وجل وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاء. (سيف، الفتنة ص٧١).

استشهاد الخليفة الراشد الثالث:

فخرج الباغي الذي دخل على الخليفة وقال علقنا والله. والله ما ينجينا من الناس إلا قتله وما يحل لنا قتله. فأقبل عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله وقال يا قوم لا تسلوا سيف الله عليكم. فوالله إن سللتموه لا تغمدوه. فشتموه. وكان آخر من دخل عليه محمد بن أبي بكر فقال له عثمان ويلك أعلى الله تغضب هل لي إليك جرم إلا حقه أخذته منك فنكل ورجع. فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا **إنكساره ثار قتيرة وسودان ابن حمران السكونيان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه.** وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء. وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت (سيف، الفتنة ص٧٢) السيف بيدها فتعمدها وقطع أصابعها، وولت فغمز أوراكها وقال إنها لكبيرة العجيرة. وضرب عثمان فقتله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه **فلما رأوا سودان قد ضربه** أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله. فوثب قتيرة على الغلام فقتله. فلما خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله. ودار القوم في البيت فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء.

ووصل الخبر إلى الزبير، وطلحة، فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. رحم الله عثمان، وانتصر له. ووصل الخبر إلى عليّ فقال: رحم الله عثمان، وخلف علينا بخير. (سيف، الفتنة ص٧٣ - ٧٤).

وفي رواية، دخل محمد بن أبي بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال أرسل لحيتي فلم يكن أبوك ليتناولها فأرسلها ودخلوا عليه فمنهم من يجؤه بنصل سيفه، وآخر يلكزه. وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ترقوته فسال الدم على المصحف. وغشي عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشيا عليه جروا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التجيبي مخترطا سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة فقطع يدها واتكأ

بالسيف عليه في صدره وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس. (الفتنة ووقعة الجمل جزء ١ صفحة ٧٥).

وفي رواية ثالثة، تقدم محمد بن أبي بكر المجموعة التي قتلته، وأخذ بلحية عثمان وقال: قد أخزاك الله يا نعثل. فقال عثمان لست بنعثل ولكن عبد الله وأمير المؤمنين. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان. فقال عثمان: يا بن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال **محمد ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك، ثم طعن جبينه بمشقص في يده**، ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص فوجأ بها في أصل أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله. ويقول ابن أبي عون: **ضرب كنانة بن بشر جبينه** ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خر لجنبه فقتله. **وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره** وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال أما ثلاث منهن فإني طعنتهن لله وأما ست فإني طعنت إياهن لما كان في صدري عليه[1].

مما سبق يتضح أن حادثة قتل الخليفة الراشد الثالث ظلما وعدوانا حدثت عام ---- اليوم والشهر ٣٥ للهجرة، وكانت في منتهى الوحشية. يندى لها جبين التاريخ الإسلامي. فما هي العناصر البشرية التي كانت موجودة وأسهمت في صناعتها بدرجات متفاوتة؟

ما القرارات التي صنعت الحدث؟

من المؤكد أن الفئة الباغية هي الفئة الرئيسة التي صنعت الحدث المروع، وكان لها قرارها المعلن. ولكن هناك قرارات أخرى، كان لها بصماتها في صناعة الحدث، وإن لم تكن مقصودة. ويمكن الخلوص من استقراء الحوادث التي وقعت أن قرارات المسلمين، انقسمت إلى أربع قرارات: قرار الفئة الباغية، والفرقة التي

(١) الطبقات ج٣: ٧٣ - ٧٤؛ ابن أبي شيبة، مصنف ج٧: ٥١٤.

حاولت الدفاع عن الخليفة، والفرقة التي كان موقفها حيادي أو سلبي، وقرار الخليفة الراشد الثالث.

قرار الفئة الباغية:

لقد كانت هذه الفئة بتوحدها واجتماعها على رأي واحد ظاهرة القوة، وتسيطر على الأوضاع في المدينة، بدليل أنهم يحصبون المسلمين وخليفة المسلمين فلا تظهر مقاومة جماعية، ولكن فردية. وتتكون أبرز شخصيات هذه الفئة من رؤسائها الذين قدموا من مصر، والبصرة والكوفة، ومن بعض أهل المدينة. وكان من أبرز البغاة الذين استعان بهم الخليفة الراشد الرابع بعد مبايعته خليفة: مالك الأشتر النخعي، ومحمد ابن أبي بكر، ومحمد ابن حذيفة.

فمالك الأشتر كان من الذين بدؤوا الفتنة في الكوفة ضد والي الخليفة عثمان، ثم كان من الثوار الذين قدموا إلى المدينة لعزل الخليفة عثمان، فتعرض للتوبيخ وكان من المنفذين للحصار على الخليفة، وإن كان بتهديد وإهانة أم المؤمنين أم حبيبة التي حاولت إيصال شيء من الماء إلي الخليفة المحاصر[1].

وأما محمد ابن أبي بكر فقد كان أحد الذين أثبتت روايتان أنه من الذين أهانوا خليفة المسلمين أو باشروا عملية قتله بطريقة وحشية، مع آخرين من البغاة.

أما محمد ابن حذيفة فقد كان من الحاقدين على الخليفة، لأنه لم يكلفه بأي مهمة مستقلة لمعرفته الجيدة بكفاءته. فكان من المحرضين على الخليفة في مصر، رغم إحسان الخليفة برعايته يتيما.

وأما عمار ابن ياسر فكان من الذين حقدوا على الخليفة لأنه أمر بتعزيره هو وعتبة لأنهما ارتكبا القذف في خصومتهما، فكان الثوار المصريون يراسلونه في خلع الخليفة هو محمد أبن أبي بكر، ومحمد ابن حذيفة.

---

(١) سيف، الفتنة ص٥٨.

قرار بقية أهل المدينة ومنهم الصحابة:

لقد ظهر أهل المدينة ضعفاء أمام طغيان الفئة الباغية التي هاجمت المدينة والخليفة، وانقسموا إلى ثلاث فرق:

أولا- الأفراد الذين حاولوا الدفاع عن الخليفة الراشد الثالث، وكان عددهم محدودا. وذلك بالرغم من أن بعض الأخبار تفيد بأن الصحابة في منطقة المدينة كانوا لا يقلون عن ضعفي الفئة الباغية التي هاجمت المدينة، على غرة، وتهددهم بعدم التدخل. وكان من الذين حاولوا الدفاع عن الخليفة: أبو هريرة، وسعد بن مالك، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي. فبعث إليهم عثمان يأمرهم ويعزم عليهم أن ينصرفوا[١].

ثانيا- الفرقة التي كان موقفها حيادي أو سلبي، وتمثل هذه الفئة الأغلبية العظمى. ولعل من أسباب هذا الموقف هو أن عدد المهاجمين للمدينة كان بين الألف ومائتين إلى الثلاثة آلاف وكلمتهم واحدة[٢].

ثالثا- الفرقة التي ساندت الفئة الباغية بدرجات متفاوتة: بزراعة الفتنة ورعايتها وبالتحريض والفعل، مثل تشديد الحصار وما يترتب على ذلك من إهانة أمهات المؤمنين أو كبار الصحابة، أو بمباشرة القتل. وكان منهم: محمد ابن أبي بكر، محمد بن حذيفة، وعمار بن ياسر[٣].

قرار الخليفة الراشد عثمان:

رأى الخليفة الموقف السلبي الطاغي، تجاه حماية النظام الذي وحدّ المسلمين، في عهد أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، واثني عشر عاما من خلافته. فقرر أن

(١) سيف، الفتنة ص٦٣؛ العدد المقدر للموجودين في المدينة حوالي العشرة آلاف وعدد الغزاة لا يتجاوز الثلاثة آلاف.

(٢) سيف، الفتنة ص٥٧ - ٥٨.

(٣) سيف، الفتنة ص٦٣.

لا يسن سنة سيئة، وهي خلع الخليفة لأسباب مرفوضة، استنادا إلى رغبة الحاقدين والغوغاء. وفي الوقت نفسه كان حريصا على حقن دماء المسلمين، فقرّر في ظل تلك الظروف ترجيح حقن دماء المسلمين على الحفاظ على قدسية الخلافة، وإن كان على حساب التضحية بمصيره هو.

القرارات الأقرب إلى الصواب؟

هناك قراران رئيسيان أسهما في صناعة الحدث، إلى جانب قرار الفئة الغازية للعاصمة الإسلامية التي فتكت بالخليفة الراشد الثالث للمسلمين بأبشع طريقة.

أولا- غزا بعض المتمردين عاصمة الخلافة الإسلامية بصورة مفاجئة، فسيطروا عليها، بسبب اتحادهم، وتوعدوا أهل المدينة إن يتدخل أحد منهم بينهم وبين خليفة المسلمين. فأوجد هذا الغزو المفاجئ حالة ذهول وحيرة بين أغلبية المسلمين من سكان المدينة. يضاف إلى ذلك، هناك مواقف شخصية مختلفة تجاه النعم التي أنعم الله بها على الخليفة، فتأثر بعضهم بالتهم الموجهة إليه، وإن أثبتت المحاكمة العلنية التي وضع نفسه فيها براءته. وللأسباب السابقة انقسمت آراء أهل المدينة إلى:

١ - أقلية ساندت رأي الفئة الباغية.

٢ - أقلية رأت وجوب الدفاع عن الخليفة.

٣ - أغلبية اتخذت موقفا محايدا أو سلبيا.

ثانيا. وجد خليفة المسلمين نفسه في موقف لم يصل فيه المساندون له من الأمصار المختلفة، ووقف فيه أهل المدينة موقفا سلبيا للأسباب المذكورة، فكان عليه أن يختار بين قرارين فقط:

١- رفض التنازل بالجبر حتى لا يسن سنة سيئة وهي خلع الخليفة، لأسباب ترفضها المحاكمة العلنية، ولا سيما إذا أثبت جدارته خلال اثني عشر عاما، حافظ فيها على وحدة المسلمين. ويسن معها سنة فرض استمرار الحكم

بالسيف، ولكن بالتضحية بأقلية صغيرة، وقفوا بإخلاص لحماية الخليفة والنظام.

٢- رفض التنازل عن الخلافة بالجبر حتى لا يسن سنة سيئة وهي خلع الخليفة، بدون أسباب موجبة، والحرص على تجنب سفك دم أحد من المسلمين، وإن كان على حساب مصيره الشخصي.

وهنا نتساءل:

أولا- أي القرارات لأهل المدينة كان أقرب إلى الصواب؟

ثانيا- أي القرارات المتوفرة للخليفة كان أقرب إلى الصواب؟

تمارين استشهاد عثمان بن عفان:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية رد الخبر إلى الله ورسوله والمختصين في كل مجال. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٢- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية إقرار المعني بالأمر. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٣- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية السمة البارزة. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٤- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الإحاطة بظروف الحادثة وتطوراتها. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٥ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٦ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الحذر من رواية المحب والمبغض. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٧ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية تناقض الراوي أو تلونه. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

الفصل السادس

نتيجة ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى

موقعة الجمل (الجزء الثاني)

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

ينبه الباحث بأن البحث هنا يقتصر على الوصول إلى القرار الأصوب من القرارات الاجتهادية التي يثاب عليها صاحبها، إن أخطأ أو أصاب، وذلك بصرف النظر عن مكانة صاحبها عند الله ورسوله، وعند المسلمين.

عقب استشهاد الخليفة الراشد الثالث، عثمان بن عفان، حاولت الفئة الباغية الحصول على بيعة علي بن أبي طالب أو الزبير ابن العوام، أو طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنهم. فرفض الثلاثة فحاولوا مع سعد ابن أبي الوقاص، وعبد الله ابن عمر[1]. ثم ألحوا على عليّ، رضي الله عنه، فوافق على شرط أن تكون المبايعة على ملأ من الناس، في المسجد. فتمّت مبايعته بعد خمسة أيام من استشهاد الخليفة الراشد الثالث.

ظروف المبايعة لعلي رضي الله عنه:

قال رؤوس الفتنة لأهل المدينة: لقد أجلناكم يومين. فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليًا وطلحة والزبير وأناسا كثيرا. فألحّ الناس على علي ليقبل المبايعة على الخلافة، ويخرجهم من المأزق الذي خلّفه استشهاد الخليفة بأيدي رؤوس الفتنة. فقبل بعد ممانعة. فبعث البصريون إلى الزبير بصريا وقالوا احذر لا تحاده، وكان رسولهم حكيم ابن جبلة العبدي في نفر فجاؤوا به يحدونه بالسيف، وإلى

(١) سيف، الفتنة ص٩٣.

طلحة كوفيا، وقالوا له احذر لا تحاده. وبعثوا الأشتر في نفر، فجاؤوا به يحدونه بالسيف. وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، لأنهم يريدون عليًا. فصار أهل الكوفة وأهل البصرة أتباعا[١].

وفي يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء عليٌّ حتى صعد المنبر، فقال: يا أيها الناس، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم. وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أحقد على أحد. فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالأمس. وجاء الأشتر بطلحة فقالوا بايع فقال إني إنما أبايع كرها فبايع، ثم جاء حكيم ابن جبلة بالزبير، فقال مثل ذلك وبايع، ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل. فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا[٢].

الخليفة الرابع الراشد يمارس سلطاته:

بويع علي يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة عام ٣٥ للهجرة، وكانت أول خطبة خطبها، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير والشر. فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرمات كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق.

ويروي سيف: دخل إلى عليّ طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقالوا يا علي: إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم الخليفة. فقال لهم: يا اخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا. فهل ترون موضعا لقدرة على شيء

(١) سيف، الفتنة ص٩٣؛ اليعقوبي، تاريخ ج٢: ١٧٩.

(٢) سيف، الفتنة ص٩٤ - ٩٥؛ كان الأشتر وحكيم من رؤوس الفتنة.

مما تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه. فقال طلحة دعني فلآت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل. فقال: حتى أنظر في ذلك. وقال الزبير دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل. فقال: حتى أنظر في ذلك. وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء وأشار عليه أن يقر معاوية على عمله، ويقر ابن عامر على عمله، ويقر عمال الخليفة عثمان على أعمالهم حتى إذا أتته طاعتهم، وبيعة الجنود استبدل أو ترك. فقال الخليفة الرابع: حتى أنظر. وأيد ابن عباس رأي المغيرة المذكور. كما رأى الخليفة عدم الأخذ باقتراح طلحة والزبير، ولا برأي المغيرة وابن عباس، فعمل على تغيير الولاة على الأمصار، إلا أبو وسى، بناء على اقتراح الأشتر. فقُبِل ولاته بالطاعة في بعض الأمصار، وبالرفض في أخرى، وعلى رأسها الشام التي كانت تحت ولاية معاوية[١].

وهنا يتساءل المسلم: أي الرأيين أقرب إلى الصواب: رأي طلحة والزبير؟ أو رأي الخليفة؟ ويتساءل أيضا: أي الرأيين أقرب إلى الصواب: رأي المغيرة وابن عباس؟ أو الرأي الذي نفّذه الخليفة الرابع؟

الخليفة يرسل إلى أبي موسى ومعاوية:

كتب علي إلى معاوية، وإلى أبي موسى بالطاعة، فلم يرد عليه معاوية وكتب له أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، مع كراهة بعضهم لما جرى ورضى آخرين. وكان رسول امير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجهني فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه ورد رسوله. وبعد الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية برجلين فدفع إليهما طومارا (رسالة في ورقة كبيرة مطوية، عنوانها من معاوية إلى علي. وقال إذا دخلتما المدينة فأعرضا الرسالة، ثم أوصاهما بما يقولا. فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار، فعلم الناس أن معاوية معترض. وناول الرجلان عليًا المكتوب ففتحه فلم يجد فيه شيئا، فسأل ما وراءكما؟ فقال ورائي أني تركت قوما لا يرضون إلا بالقود. قال: ممن؟ قال من قتلة عثمان[٢].

---

(١) سيف، الفتنة ص٩٦ - ١٠٠.

(٢) سيف، الفتنة ص١٠١ - ١٠٣.

استئذان طلحة والزبير عليًّا في العمرة:

استأذن طلحة والزبير عليًا في العمرة فأذن لهما، فلحقا بمكة وتساءل أهل المدينة عن ردِّ فعل الخليفة الرابع على رسالة معاوية، وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس، وأشار عليه زياد بن حنظلة التميمي بالأناة والرفق. ولكن الخليفة جهّز نفسه، وحثّ أهل المدينة على التّجُهز والنهوض إلى "الذين يريدون تفريق جماعتكم"، أي ليقمع المعارضة في الشام، وكتب إلى من وافقوا على البيعة له ليمدوه بالرجال. "انهضوا إلى هؤلاء القوم".

وهنا يتساءل المسلم: أي الرأيين أقرب إلى الصواب؟ الرأي الذي نفّذه الخليفة؟ أم رأي الحسن الذي قال عنه الرسول ﷺ "**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**"[١].

ثم جاء الخبر إلى الخليفة بأن أم المؤمنين وطلحة والزبير يريدون البصرة للإصلاح، فتعبّى للخروج إليهم وقال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين[٢]. فاشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا، فبعث إلى عبد الله ابن عمر كميلا النخعي، وهو أحد الذين شاركوا في قتل الخليفة الثالث. فجاء به فقال: انهض معي. فقال أنا مع أهل المدينة إنما أنا رجل منهم. وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم؛ فلا أفارقهم. فإن يخرجوا أخرج، وإن يقعدوا أقعد. قال: فاعطني زعيما بألا تخرج. قال: ولا أعطيك زعيما. فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون لا والله ما ندري كيف نصنع؟ فإن هذا الأمر لمشتبه علينا. ولما رأى علي من أهل المدينة ما رأى لم يرض طاعتهم حتى يكون معها نصرته، فقام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة وقال إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله. ويقسم الشعبي بأنه لم يستجب للخليفة، في تلك الفتنة، إلا ستة بدريين ما لهم سابع أو سبعة ما لهم ثامن[٣].

---

(١) البخاري: ٢٧٠٤

(٢) سيف، الفتنة ١٠٨.

(٣) سيف، الفتنة ١٠٩ – ١١٠.

وصول خبر استشهاد الخليفة إلى عائشة:

قتل عثمان في ١٨ ذي الحجة عام ٣٥ للهجرة، وكان على مكة عبد الله ابن عامر الحضرمي، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس بعثه عثمان وهو محصور. فتعجل أناس في يومين فأدركوا مع ابن عباس، فقدموا المدينة، بعدما قُتِل، وقبل أن يبايع علي. وكانت عائشة في مكة تريد عمرة المحرم، فوصلها خبر قتل عثمان رضي الله عنه وهي عائدة إلى المدينة. وقيل لها أن المبايعة تمت لعلي. فاستنكرت قتل الخليفة الثالث، وسفك الدم الحرام، واستحلال البلد الحرام، في الشهر الحرام. فأتاها عبد الله بن عامر الحضرمي، والي عثمان على مكة، فحثته والآخرين على الطلب بدم الخليفة عثمان. فاستجاب لها سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية، وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلي بن أمية من اليمن وطلحة والزبير من المدينة[١].

وتشاور المطالبون بدم الخليفة، واقنعوا أم المؤمنين عائشة على الذهاب إلى البصرة، لتحثهم على المطالبة بدم عثمان. وأرادت أم المؤمنين حفصة الانضمام إليها، فمنعها أخوها عبد الله ابن عمر. وأعانهم يعلي بن أمية بالمال والبعير لتوصلهم إلى البصرة. ثم اعتزل سعيد ابن العاص والمغيرة، بعد أن عزموا على الخروج معها.

ولما تيامن عسكرها عن أوطاس أتوا على مليح بن عوف السلمي، فسلم على الزبير وقال يا أبا عبد الله: ما هذا؟ قال: عُدِي على أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقُتل بلا ترة ولا عذر. قال: ومن قتله؟ قال: الغوغاء من الأمصار ونُزّاع القبائل، وظاهَرهم الأعراب والعبيد. قال: فتريدون ماذا؟ قال: ننهض الناس، فيدرك بهذا الدم، لئلا يبطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا. وإذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب. قال: والله إن ترك هذا لشديد، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير. فودّع كل واحد منهما صاحبه وافترقا. وحث الزبير وطلحة ابن عمر

(١) سيف، الفتنة ص١١١ - ١١٣.

ودعواه إلى النهوض معهم، فقال إني إمرؤ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض وإن يجتمعوا على القعود اقعد. فتركاه[١].

وجاء عليًا الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين فأمّر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قثم بن العباس. وخرج ومعه من نشط من الكوفيين والبصريين البغاة متخففين في سبعمائة رجل. وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج. فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا امير المؤمنين: لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا. فسبّه من كان مع الخليفة. وكان الخليفة يرجو أن يأخذهم بالطريق فيعترضهم. فاستبان له بالربذة أنهم قد فاتوه[٢].

قال طارق بن شهاب خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضي الله عنه فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون. وتساءلتُ هل آتي عليًا فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه؟ إن هذا لشديد فخرجت فأتيته فأقيمت الصلاة بغلس فتقدم عليّ فصلى فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال قد أمرتك فعصيتني فتُقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك. فقال عليّ إنك لا تزال تخن خنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها. ثم أمرتك يوم قُتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر. ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا. فإن كان الفساد فيكون على يدي غيرك فعصيتني في ذلك كله[٣].

أم المؤمنين في البصرة:

هناك حديث في المستدرك للحاكم يقول أن النبي صلى الله عليه سلم قال لنسائه يوما "كيف بإحداكن إذ نبحتها كلاب الحوأب". والنص بجميع رواياته لا

(١) سيف، والفتنة ص١١٨.

(٢) سيف، الفتنة ص١١٩.

(٣) سيف، الفتنة ص١٢٠.

يتجاوز التنبؤ بحدوث ذلك، وليس فيه أي دلالة على الاستنكار، ولكن استثمره البعض للاستدلال على خطأ أم المؤمنين في التوجه إلى البصرة، وألّف حوله حكاية تقول بأنها عندما علمت بأنها في تلك المنطقة أرادت الرجوع.

ويقول سيف ومضى الناس حتى كانوا بفناء البصرة فلقيهم عمير ابن عبد الله التميمي وقال يا أم المؤمنين أنشدك بالله وأنت تقبلي على قوم أن تراسلي منهم أحدا فيكفيكهم. فقالت جئتني بالرأي. قال: فأرسلي ابن عامر، فليدخل فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه، فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتم فيه. فأرسلته فاندس إلى البصرة فأتى القوم. وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة، وكتبت إلى الأحنف ابن قيس، وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه. ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر. ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف، والي الخليفة الرابع على البصرة، اثنين من أصحابه ليعلما أخبار أم المؤمنين ومن معها، فسألاها عندما لقياها عن مرادها. فقالت إن الغوغاء من أهل الأمصار ونُزّاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر... وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون. فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا. وقرأت: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾. نحن ننهض في الإصلاح مؤتمرين بأمر الله عز وجل، وأمر رسوله ﷺ. فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره. فخرج أبو الأسود وعمران من عندها، فأتيا طلحة فقالا: ما أقدمك؟ قال الطلب بدم عثمان. قالا: ألم تبايع عليًّا؟ قال: بلى، والسيف على عنقي. وما استقيل عليًّا، إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان. وجاءا إلى الزبير فكانت الإجابات نفسها. فرجع الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف، وكان رأي أبي الأسود المقاومة[1]. وكان رأي عمران

(١) سيف، الفتنة ص١٢١ - ١٢٢.

القعود، ولكن عثمان، والي الخليفة الرابع، قرر منع أم المؤمنين ومن معها من تنفيذ ما يريدون حتى يأتي أمير المؤمنين، رغم نصح الآخرين بأن قراره يؤدي إلى شر، وفتق لا يرتق، وصدع لا يجبر.

ونادى عثمان في الناس وأمرهم بالتهيؤ ولبسوا السلاح واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وكلّف أحدا ليقول للناس إن هؤلاء القوم الذين جاؤوكم إن كانوا جاؤوكم خائفين فقد جاؤوا من المكان الذي يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان رضي الله عنه فما نحن بقتلة عثمان. فقام الأسود ابن سريع السعدي وقال: إنما فزعوا إلينا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا. فحصبه الناس.

فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد ومعه الزبير وعثمان في مسيرته فأنصتوا له، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه وعظم ما أتى إليه، ودعا إلى الطلب بدمه. وقال إن في ذلك [1] إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه. والطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حد من حدود الله، وإنكم إن فعلتم أصبتم، وعاد أمركم إليكم، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام. وتكلم الزبير بمثل ذلك. فقال البعض: صدقا وبرا، وقالا الحق وأمرا بالحق. وقال البعض: فجرا وغدرا، وقالا الباطل وأمرا به. وكادوا يشتبكون، فتكلمت عائشة وكانت جهورية فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه، وقالت كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه، ويزرون على عماله، ويأتوننا بالمدينة، فيستشيروننا فنجده بريا تقيا وفيا، ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون. فلما قووا على المكاثرة كاثروه، فاقتحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام، بلا ترة ولا عذر. ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره أخذ قتلة عثمان رضي الله عنه، وإقامة كتاب الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [2] فافترق أصحاب عثمان بن حنيف

(١) سيف، الفتنة ١٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٢٣.

فرقتين. فقالت فرقة صدقت والله وبرت وجاءت والله بالمعروف. وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما تقولون فتحاثوا بالتراب، وتحاصبوا بالحجارة. فلما رأت ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المربد في موضع الدباغين. وبقي أصحاب عثمان ابن حنيف على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ومال بعضهم إلى[١] عائشة وبقي بعضهم مع عثمان. وأرسل زيد ابن صوحان، أحد رؤوس الفتنة، ينصح أم المؤمنين بالعودة من حيث جاءت ويهددها بأنه سيقاتلها إذا لم تعد، وانتقد شابٌ طلحة والزبير على الخروج لطلب القصاص من قتلة الخليفة عثمان[٢].

قتال عائشة وعثمان بن حنيف:

كان حكيم بن جبلة رجلا لصا، إذا رجعت الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى الخليفة عثمان. فكتب إلى واليه، عبد الله بن عامر أن أحبسه، حتى تأنسوا منه رشدا[٣]. وعندما جاءت أم المؤمنين ومن معها للاقتصاص من قتلة عثمان أقبل حكيم بن جبلة، وانضم إلى والي الخليفة علي، وأنشب القتال. فأشرع أصحاب عائشة، رضي الله عنها، رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته ولم ينثن. فقاتلهم. وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم؛ وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها، ويقول إنها قريش ليرديّنها جُبنها والطيش. واقتتلوا على فم السكة (الطريق) وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى، فرموا باقي الآخرين بالحجارة. وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا. ثم انتقلوا إلى مقبرة بنو حصن وهي متنحية، فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون إليهم. وأصبح عثمان بن حنيف

(١) سيف، الفتنة ص١٢٤.

(٢) الطبري، الكرمي ص٨٨٠.

(٣) سيف، الفتنة ص٤٢.

فجاءهم وحكيم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: من هذا الذي تسب وتقول له ما أسمع؟ قال: عائشة. قال: يابن الخبيثة. ألأم المؤمنين تقول هذا؟ فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله. ثم مر بامرأة وهو يسبها يعني عائشة فقالت: من هذا الذي ألجأك إلى هذا؟ قال عائشة: قالت يابن الخبيثة. ألأم المؤمنين تقول هذا؟ فطعنها بين ثدييها فقتلها. ثم سار حكيم بن جبلة فلما اجتمعوا واقفوهم فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا، ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون. حتى إذا مس جيش والي الخليفة الرابع الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح والمتاب فأجابوهم. وكتبوا بينهم كتابا على أن يبعثوا كعبا إلى المدينة ليتأكد من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين. فإن كانا أكرها خرج عثمان وأخلى لهما البصرة، وإن شاء دخل معهما. أما إذا لم يكونا مكرهين. فالأمر أمر عثمان، والمؤمنون أعوان الفالح من الطرفين. ولما قدم كعب إلى المدينة سأل الناس فلم يجب أحد، خوفا من سطوة البغاة الذين يسيطرون على المدينة، ولكن أسامة بن زيد شهد بأنهما كانا مكرهين. فاعترضه بعض البغاة، فانتصر لقوله صحيب بن سنان، وأبو أيوب بن زيد، في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يقتل البغاة أسامة[1]. غير أن سيف يقول بأن عليّ كتب إلى واليه بأنهما لم يُكرها. ولهذا رفض واليه عثمان تنفيذ الاتفاق الذي كان منصفا جدا، ويعكس حسن نوايا أم المؤمنين ومن معها، ويؤكد عدم وجود مصالح شخصية لهم.

وهنا يبدو أن الرسائل المكذوبة كانت وسيلة سهلة سخّرها رؤوس الفتنة لتحقيق مآربهم، ومنها الكذب على عثمان الخليفة بأنه أرسل إلى واليه في مصر بقتل رؤوس الفتنة من مصر، حيث كشف علي بن أبي طالب كذبها، وأحرج الغزاة. فعندما أقنعهم الخليفة ببراءته، غادر الثوار، ثم عادوا بحجة أن الخليفة أرسل إلى واليه في مصر ليقتل ثوار مصر. فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل

(١) سيف، الفتنة ص١٢٦ - ١٢٨.

البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل فرجعتم إلينا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة. قالوا: فضعوه على ما شئم، لا حاجة لنا في الرجل، ليعتزلنا[١]. وكذبوا على أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت لهم بقتل نعثل، أي الخليفة عثمان. وهذه كذبة أخرى على الخليفة الرابع. فقد ثبت أن عليًا اعتذر عن تأجيل تطبيق الحد على قتلة عثمان لسيطرة البغاة على المدينة، كما أن مبايعة طلحة والزبير كانت عن إكراه أمام عيني الخليفة الرابع.

عودة القتال وانتصار عائشة[٢]:

قدم كعب من المدينة ليؤكد شهادة بعض الصحابة بأن مبايعة طلحة والزبير كانت عن إكراه، فأرسلوا إلى عثمان أن أخرج عنا. فادعى عثمان بأن كتابا جاءه من علي يقول بايعا غير مكرهين. فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة باردة، ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء. فأبطأ عثمان بن حنيف، فقدما عبد الرحمن بن عتاب، فشهر حراس الوالي عثمان من الزط والسيابجة، السلاح ثم وضعوه فيهم، فاقتتلوا في المسجد فتمكن رجال طلحة والزبير من قتلهم. وأرسلوا الرجال إلى عثمان ليخرجوه إليهما فلما وصل إليهما تناوله الرجال بالشد والدفع ونتف لحيته حتى لم يبق في وجهه شعرة. فاستعظما ذلك وأرسلا إلى عائشة بالذي كان واستطلعا رأيها. فأرسلت إليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه، وأخرجوا حراسه من القصر.

فأصبح طلحة والزبير وبيت المال والحرس في أيديهما، والناس معهما، ومن لم يكن معهما مغمور مستتر. وأصبح حكيم بن جبلة في خيله على أهبة الاستعداد فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من ربيعة. ثم توجّه إلى حيث جيش أم المؤمنين يشتمها فسمعته امرأة من قومه فشتمته فقتلها، فغضبت عبد القيس. واجتمع حكيم بن جبلة مع من غزا معه الخليفة الثالث، في المدينة، وشارك في

(١) الطبري، تاريخ ج٢: ٦٥٣.

(٢) سيف، الفتنة ص١٢٩ - ١٣٥.

حصاره، ومضوا إلى حيث ينزل جيش أم المؤمنين. وقالت عائشة لا تقتلوا إلا من قاتلكم ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا. فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحدا. فأنشب حكيم القتال ولم يأبه لنداء المنادي.

ويقول سيف قتل، في هذا اليوم، ذريح بن عباد العبدي، أحد رؤوس الفتنة، ومن معه. ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجئ بهم، فقتلوا. وما أفلت منهم من أهل البصرة جميعا إلا حرقوص بن زهير فإن بني سعد منعوه. ومن الواضح أن إعلان أم المؤمنين وطلحة والزبير كان واضحا، تبين هدفهم من المجيئ إلى البصرة، ولا يخالطه شيء من المصالح الشخصية، مثل الولاية أو الخلافة.

وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثأر إلا حرقوص. وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه. إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم وردُّونا بالسلاح. وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى أهل الكوفة، بأنها دعت جماعة عثمان، والي الخليفة الرابع، فقالوا: لنتُبعنّكم عثمان بن عفان. وذلك ليزيدوا الحدود تعطيلا فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر، وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾. فأذعن لي بعضهم واختلفوا بينهم فتركناهم، ولكن من كان منهم على رأيه الأول وضعوا السلاح في أصحابي، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني. ومكثنا ستا وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده، وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حل دمه، فأبوا واحتجوا بأشياء فاصطلحنا عليها فخانوا وغدروا. وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر عام ٣٦ للهجرة.

توجه الخليفة الرابع إلى البصرة:

لما أراد الخليفة الرابع الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي

نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه، أي أن يبايعوه فيوجدوا كلمة المسلمين. قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذا[١]. وهذا القول المنسوب إلى الخليفة الرابع، مشكوك فيه لأنه يثير تساؤلات، مثل: كيف نفسر محاولته اعتراض جيش عائشة، ليمنعه من تنفيذ القصاص، مستعينا برؤوس الفتنة؟ وكيف نفسر عزمه على التوجه إلى الشام لأخذ البيعة له؟

وقدم رجل من أهل الكوفة، قبل خروج علي، وقدّم نفسه بأنه عامر بن مطر الليثي. فسأله عليٌ أخبرني عما وراءك؟ فأخبره، حتى سأله عن أبي موسى. فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك؛ وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك. وكان موقف أبي موسى، منذ البداية، الانعزال عن الفتنة، ومع هذا أخذ البيعة للخليفة الرابع في الكوفة.

ولما نزل الخليفة الرابع الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه، فقام وأخبر القوم الخبر؛ وقال اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين وسلمنا منهم أجمعين. ثم أتاه خبر ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فقال الله أكبر ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما[٢].

موقف أبي موسى الأشعري:

لما قدم رسولا الخليفة الرابع، محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، على الكوفة أتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين، وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء. فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجي على أبي موسى فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا،

(١) سيف، الفتنة ص١٣٦.

(٢) سيف، الفتنة ١٣٧.

فاختاروا فلم ينفر إليه أحد. فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى. فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان، رضي الله عنه، لفي عنقي وعنق صاحبكما. فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحدا حتى يفرُغ من قتلة عثمان، حيث كانوا، فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر. وكان قد خرج مع الأشتر، يتعجل السير إلى الكوفة فقال علي: يا اشتر أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء. اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت[١]. وهنا يتساءل القارئ، إن صدقت العبارة الأخيرة، هل يشير الخليفة في كلمة "أفسدت" إلى الأشتر لأنه أحد الذين تسبب في الفتنة؟

فخرج عبد الله بن بن عباس ومعه الأشتر فقدما الكوفة وحاولا إقناع أبي موسى الأشعري فكان خلاصة قوله: إن لكم علينا حقا فأنا مؤديه إليكم. كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل ولا تجترئوا على الله عز وجل. وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا. فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء. النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب. فاغمدوا السيوف وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة.

ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله وأرسل معه عمار بن ياسر. فأقبلا حتى دخلا المسجد فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع فسلم عليهما وسأل عمار: يا أبا اليقظان، علام قتلتم عثمان رضي الله عنه؟ قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا. فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به[٢]. فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه إليه. وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجار؟ فقال: لم أفعل ولم تسؤني.

(١) سيف، الفتنة ص١٣٨.

(٢) كان عثمان أمر بتعزير عمار وعتبة لأنهما تقاذفا فاستحقا التعزير، انظر سيف، الفتنة ص٧٩؛ والطبري ج٢: ٦٨٠.

وقطع عليهما الحسن فاقبل على أبي موسى وقال: يا أبا موسى لِمَ تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا[١] الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. فقال صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن النبي ﷺ قال: "ستَكُونُ فِتنٌ. القَاعِدُ فيها خَيرٌ من القَائِمِ، وَالقَائِمُ فيها خَيرٌ من المَاشِي، وَالمَاشِي فيها خَيرٌ من السّاعِي، ومَنْ يُشرِفْ لها تَستَشْرِفْهُ ومَنْ وجَدَ مَلجَأً أو معَاذًا فَليَعُذْ بهِ"[٢]. وأضاف جعلنا الله عز وجل إخوانا وحرم علينا أموالنا ودماءنا، يقول تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾. وقال جل وعز: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾. فغضب عمار وأساء القول لأبي موسى فاختصم الناس فجعل أبو موسى يكفكف الناس.

وقام الحسن بن علي فحث الناس على الانضمام إلى فريق الخليفة الراشد الرابع فلقي استجابة[٣]. وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافا وثقالا وأنا أولكم. وقام الأشتر فذكر الجاهلية وشدتها والإسلام ورخاءه، وذكر عثمان رضي الله عنه بسوء، فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجيع العامري ثم البكائي وقالا: اسكت قبحك الله. فثار الناس فأجلسوهما.

نزول أمير المؤمنين علي في ذي قار:

لما قدم أهل الكوفة بذي قار تلقاهم علي في أناس فيهم ابن عباس فرحب بهم وأثنى على أهل الكوفة. فاجتمع بذي قار سبعة آلاف ومائتان، وعبد القيس بأسرها، وبضعة آلاف أخرى من أهل البصرة[٤].

(١) سيف، الفتنة ١٣٩.

(٢) البخاري ج٣: ١٣١٨، تحقيق البغا؛ سيف، الفتنة ص١٣٨.

(٣) سيف، الفتنة ص١٤١ - ١٤٢.

(٤) سيف، الفتنة ص١٤٣ - ١٤٤.

مساعي الإصلاح:

اجتمع للخليفة الرابع عدد كبير من المناصرين[١] فنزل بهم على ذي قار ودعا القعقاع بن عمرو، وأرسله إلى أهل البصرة، وقال له الق هذين الرجلين، أي طلحة والزبير. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها، وقال: أي أمة ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس، أي بالقصاص من قتلة الخليفة الثالث. قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما، فجاءا فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمُتَابعان أم مُخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فقال: نريد قتلة عثمان رضي الله عنه. فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم. قتلتم ستمائة إلا رجلا فغضب لهم ستة آلاف. واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذي أفلت، يعني حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف وهم جاهزون للحرب. فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون...

فقالت أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟[٢] قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة. وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر... فقالوا: نعم، إذًا قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر. فرجع إلى علي فأخبره فاعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح: كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.

ومن الواضح أن موقف أم المؤمنين وطلحة والزبير مختلف عن حالة معاوية وأهل الشام، فهم ليسوا من الممتنعين عن البيعة أو المعارضين - في الأصل. ولم

(١) سيف، الفتنة ص١٤٤.

(٢) سيف، الفتنة ص١٤٥.

تكن لهم مصالح شخصية محتملة، بل كانوا حريصين على تنفيذ القصاص بالمستحقين لها، وحريصين على وحدة الأمة، دون سفك دماء المسلمين. ولهذا بدا كلام القينقاع منطقيا لتأجيل تطبيق القصاص. وتجاوبوا معه، ولم يجادلوه بمنطقه نفسه بالنسبة لحرص الخليفة الرابع على وحدة المسلمين تحت إمرته، وإن أدى إلى قتال المسلمين وسفك دماء الآلاف منهم.

فكان قرار أم المؤمنين وطلحة والزبير، مرنا في ظل الواقع، يوازن بين المطلوب شرعا (تطبيق حد القصاص)، والممكن في الظروف الواقعية المحددة.

وفي الجهة الأخرى فقد كان الخليفة مصرا على المضي في توحيد المسلمين أو الحصول على البيعة بالسيف.

ولو استخدمنا منطق القينقاع الذي أقنع أم المؤمنين ومن معها، في قرارات الخليفة الراشد الرابع الحريص على وحدة كلمة المسلمين تحت إمرته، ولو بالاستعانة برؤوس الفتنة وقتلة عثمان، وتأجيل القصاص، ستبرز تساؤلات، منها:

أولا- هل فكر القعقاع في استخدام منطقه في إقناع الخليفة ويدعوه لى الموازنة بين المأمول وبين الواقع؟

ثانيا- أي القرارين أقرب إلى الصواب لجمع كلمة المسلمين، وحقن دمائهم، وتجنب سخطهم، وتطبيق حدود الله: قرار أم المؤمنين ومن معها الذي يوازن بين المصالح المتضاربة؟ أو قرار الخليفة الرابع الذي يرى الاستمرار في تحقيق الوحدة تحت إمرته، مهما كانت التكاليف، أو الاحتمالات؟

ويروي سيف أنه لما جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم جمع عليٌّ الناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة، بالخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، وإني راحل غدا

فارتحلوا[١]. وهذا الكلام مشكوك في نسبته إلى الخليفة علي بن أبي طالب لأن العاقل يدرك أنه لا ينطبق على أم المؤمنين، ولا على طلحة، أو الزبير. فليس هناك احتمال لتهمتهم بالسعي وراء مصالح شخصية، مثل الولاية أو الأمارة.

رؤوس الفتنة يفسدون الصلح:

اجتمع نفر من المتلبسين في استشهاد الخليفة عثمان، منهم علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، ومالك الأشتر في عدة ممن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار. وانضم إليهم من المصريين ابن السوداء، وخالد بن ملجم. وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله عليّ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك. فكيف به إذا اجتمع القوم وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم؟ أنتم مطاردون، ولن ينجيكم شيء. فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم. ورأي الناس فينا، والله، واحد، وإن يصطلحوا وعليٌّ فعلى دمائنا. فهلموا فلنتواثب على عليّ فلنلحقه بعثمان، فتعود فتنة ينشغل بها الناس عنا. واقترح البعض الاعتزال عن الفريقين. فقال ابن السوداء بئس ما رأيتم. ود والله الناس أنكم منعزلون، ولم تكونوا مع أقوام برآء. ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء. وقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال، فينشغل عنكم علي وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم[٢].

وشكك بعض من كان مع أم المؤمنين في احتمال الصلح وقالوا: يا طلحة، يا زبير. فقالا: إنا وهم مسلمون. وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سنة. إنما هو حدث، وقد رأوا تأجيل القصاص، اتقاء لشر محتمل، وارتئينا تعجيله فهو أقل شرا. وقالا: إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا وهو أمر ملتبس، فإخواننا لا يدرون أمقبلون هم أم مدبرون. إن الشيء يحسن عندنا اليوم

(١) سيف، الفتنة ص١٤٤ - ١٤٦.

(٢) سيف، الفتنة ص١٤٧ - ١٤٩.

ويقبح عند إخواننا فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم، وإنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة ثم يحتجون بها على أمثالها. ونحن نرجو الصلح إن أجابوا إليه، وإلا فإن آخر الدواء الكي.

وقام عليٌّ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ايها الناس أملكوا أنفسكم كفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم. فإنهم إخوانكم واصبروا على ما يأتيكم وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غدا من خصم اليوم، ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها حتى إذا أطل على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب، إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا فننظر في هذا الأمر[١].

وبهذا بدا واضحا أن هناك ثلاث فرق: فرقة مع علي وأخرى مع أم المؤمنين، وثالثة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين، وذلك إضافة الفئة الباغية المتآمرة على الصلح. ولم تستند الانقسامات على الانتماء القبلي أو المحلي. فالبصريون انقسموا بين الفريقين، وكذلك بعض القبائل انقسمت إلى فريقين[٢].

وخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة، في موضع قرية الأرزاق، ومعهم مضر وربيعة واليمن جميعا، وهم لا يشكون في الصلح وهم ثلاثون ألفا. وأخبروا رسولي الخليفة الرابع، حكيما ومالكا بأنهم على ما فارقهم عليه القعقاع. وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون الفا وأهل الكوفة... ولما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وطلحة والزبير، فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع وأنه لا يدرك. فافترقوا عن موقفهم على ذلك ورجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما[٣].

فلما أمسوا وذلك في جمادى الآخرة عام ٣٦ للهجرة أرسل طلحة والزبير إلى

(١) سيف، الفتنة ص١٥٠ - ١٥١.

(٢) سيف، الفتنة ١٥٣.

(٣) سيف، الفتنة ص١٥٤ - ١٥٥.

رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، فباتوا على الصلح. وأما أولئك الذين بغوا على الخليفة عثمان فباتوا بشر ليلة باتوها قط. قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر. واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر. فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربعيهم إلى ربعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم. فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم .

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا من يتحقق من الأمر.

وسأل: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا. ومن الجهة الأخرى، وضع المتآمرون رجلا قريبا من الخليفة عليّ ليخبره بأن جيش أم المؤمنين فاجوؤهم وبيتوهم. وهكذا اختلط الحابل بالنابل واشتعلت المعركة بين الفريقين[1].

وقالت عائشة: خلِّ يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه ودفعت إليه مصحفا. فأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعليّ من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقداما. فلما دعاهم كعب رشقوه رشقا واحدا فقتلوه ورموا عائشة في هودجها. فجعلت تنادي يا بني البقية البقية، ويعلو صوتها كثرة، الله، الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداما. وحين رأت أم المؤمنين أنهم أبوا، قالت أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وأقبلت تدعو وضج أهل البصرة بالدعاء. وسمع علي بن أبي طالب الدعاء، فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم. فأقبل يدعو ويقول اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم. وهذا دليل على صدق نية علي، رضي الله فيما يدعو إليه، وفي براءته من المساهمة في الفتنة وقتل الخليفة عثمان.

وكان مع الخليفة أقوام من غير مضر، ومنهم زيد بن صوحان، من روؤس

(١) سيف، الفتنة ص١٥٦.

الفتنة، فقال له رجل من قومه: تنح إلى قومك ما لك ولهذا الموقف؟ ألست تعلم أن مضر بحيالك؟ وأن الجمل بين يديك وأن الموت دونه. فقال الموت خير من الحياة الموت ما أريد، فأصيب، وأخوه سيحان، وصعصعة[١].

واستحر القتال إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير رضي الله عنه. فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة فخرضتهم على الصمود، فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا. فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا وذلك **يوم الخميس في جمادى الآخرة** عام ٣٦. فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة و تزاحف الناس. وأقبلت ربيعة فقُتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد وصرع صعصعة، شريك الأشتر، في إثارة الفتنة ضد والي عثمان في البصر...[٢] وقد كان هودج أم المؤمنين في حلقة من أهل النجدات والبصائر وما رامه أحد من أصحاب عليّ إلا قُتل أو أفلت ثم لم يعد. فجاء الأشتر فعارضه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لأقطع منزوف فاعتنقه ثم جلد به الأرض عن دابته فاضطرب تحته فأفلت وهو جريح[٣].

وكان آخر من قاتل ذلك اليوم زفر بن الحارث فزحف إليه القعقاع فلم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب يتسرعون إلى الموت. وصرخ القعقاع: يا بجير بن دلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين. فقال يا آل ضبة، يا عمرو بن دلجة، فاجتث عمرو ابن دلجة ساق البعير فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير. وقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون، واجتمع هو وزفر على قطع الحبال التي تربط الهودج بالبعير، وحملا الهودج فوضعاه على الأرض. ولما أمسى الناس، تقدم عليٌّ، وأحيط بالجمل ومن حوله وقال: إنكم آمنون فكفّ الناس عن القتال. وجاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر عائشة واحتملا الهودج فنحياه

(١) سيف، الفتنة ص١٥٦ - ١٥٩.

(٢) سيف الفتنة ص١٦٠ - ١٦٣.

(٣) سيف، الفتنة ص١٦٣ - ١٦٤.

حتى أمرهما عليٌّ بأن يدخلاها البصرة، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي[١].

نتائج موقعة الجمل:

كانت موقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ للهجرة، في قول الواقدي. وكان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة. وكان من ضحاياها طلحة ابن عبيد الله الذي أصابه سهم في ركبته، فنزف الدم غزيرا وثقل، فقال لمولاه أردفني وأبغني مكانا لا أُعرف فيه. فأخذه حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة مهجورة وأنزله فيها، فمات ودفن رضي الله عنه في بني سعد[٢]. وكان من ضحايا موقعة الجمل الزبير ابن العوام فبعد انهزام الناس مضى بعيدا عن أرض المعركة، فحضرت الصلاة فوقف ليصلي، فاغتاله ابن جرموز وقتله[٣].

وأما الذين شاركوا في قتل الخليفة الثالث: يزيد ابن صوحان، وأخوه، وعلباء ابن الهيث فقد لقيوا حتفهم عندما كانوا يحاولون الهجوم على هودج أم المؤمنين[٤].

سيرة علي فيمن يقاتلهم:

كان من سيرة علي، رضي الله عنه، ألا يقتل مدبرا ولا يقضي على جريح، ولا يكشف سترا، ولا يأخذ مالا. فقال قوم يومئذ يحل لنا دماءهم، ويحرم علينا أموالهم؟ فقال علي: القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا، ونحن منه. أما من قاتل حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإنّ لكم في خمسه لغنى. فتكلمت

(١) سيف، الفتنة ص١٦٦ - ١٧٢

(٢) سيف، الفتنة ص١٦٧.

(٣) سيف، الفتنة ص١٧٤.

(٤) سيف، الفتنة ص١٦٩.

الخوارج ثم انشقوا[١]. ويقول أحد أتباعه: كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه معه عدوا يقول لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم. فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة، وتركككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم. فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا إلا بإذن ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم. فإنهن ضعاف القوى والأنفس[٢].

خروج عائشة من البصرة إلى مكة:

كتب الخليفة، علي، بخبر النصر إلى عامله بالكوفة. وجهّز عليٌّ عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام. وأوصى أخوها محمد بمرافقتها، وودعها. فقالت، يا بني، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي، على معتبتي، من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦هـ وشيّعها الخليفة الرابع أميالا وسرح بنيه معها يوما.

القرارات التي أسهمت في إهدار دم آلاف المسلمين:

كما لاحظنا، أسفرت موقعة الجمل عن سفك دم حوالي العشرة آلاف مسلم. والقرارات التي أسهمت فيها، إضافة إلى قرار المستحقين للقصاص، وظروفها تتمثل فيما يلي:

أولا- قرار خروج أم المؤمنين عائشة، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير ابن العوام إلى البصرة للاقتصاص من المساهمين في قتل الخليفة الثالث ظلما وعدوانا. وجاء

(١) الفتنة ص١٨١.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ٨٢.

هذا القرار الأول في ظروف، منها: ١) ثبوت قتل الخليفة الثالث ظلما وعدوانا، ٢) بيعة طلحة والزبير للخليفة الرابع تحت تهديد السلاح، ٣) انشغال الخليفة كلية عن واجب تطبيق القصاص، مدة أربعة أشهر، رغم تذكير طلحة والزبير وآخرين بضرورته، فاعتذر حينها لسيطرة المستحقين للقصاص على المدينة، ٤) اقترحا عليه الاستعانة بالمسلمين في الكوفة والبصرة، فأبى الخليفة الرابع. ٥) اقترح عليه المغيرة وأيّده ابن عباس على عدم التسرع في استبدال ولاة عثمان حتى تستقر الأمور له، فأبى، ٦) اقترح عليه البعض البقاء في المدينة فعزم على إخضاع أهل الشام لبيعته، ٧) الاستعانة بالمساهمين في قتل الخليفة الثالث، لمحاربة المطالبين بتطبيق حد القصاص، وملاحقته أم المؤمنين وطلحة والزبير إلى البصرة لمنعهم من تنفيذ القصاص، بدلا من التوجه إلى الشام لإخضاع الرافضين للبيعة إلا بشرط تنفيذ القصاص أو تمكينهم من ذلك.

وكان قرار أم المؤمنين وطلحة والزبير واضحا، حيث قال طلحة والزبير: إن بيعة علي في رقابهما، إن هو لم يحل بينهم وبين قتلة عثمان[1]. ومع هذا وافقا ووافقت أم المؤمنين، بسهولة، على تأجيل القصاص من البقية حتى أن تستقر الأمور للخليفة الرابع.

ثانيا- قرار الخليفة الرابع **جمع كلمة المسلمين تحت إمرته أولا، ثم النظر في أمر القصاص**، وذلك باعتبار مبايعة أهل المدينة له هي مبايعة أهل الأمصار، كما جرى العرف بالنسبة لبيعة أبي بكر، وعمر، وعثمان. ولكن يلاحظ أن بيعته، رضي الله عنه، جاءت في ظروف تختلف عن ظروف بيعة من سبقوه، فحتى حادثة اغتيال الخليفة الثاني، تم فيها الاقتصاص فورا. وأما وضعه فكان حرجا في مدة السيطرة القهرية للغزاة على المدينة، ولكن كانت هناك خيارات للتعامل معها، حينها وفيما بعد:

١- إبقاء ولاة الخليفة الثالث حتى تستقر الأمور، ثم يفعل ما يريد، وذلك في مقابل القرار الذي اتخذه وهو الإسراع في تبديلهم، إن لم يبايعوه.

(١) سيف، الفتنة ص١٢٢؛ الطبري ٨٧٠ الكرمي.

٢- الاستعانة بمن اقترحهم طلحة والزبير، وذلك في مقابل القرار الذي اختاره، وهو صرف النظر عن الاستعانة بهم، ففوّت على نفسه فرصة التخلص من سطوة الغزاة على العاصمة الإسلامية، والقرارات السياسية فيها.

٣- تجاهل المستحقين للقصاص أو عزلهم عن جيشه، عندما أمكنه ذلك. وذلك في مقابل قراره الاستعانة بهم في قتال مخالفيه إلى آخر لحظة، وبالتالي توفير الحماية لهم ومنحهم الفرصة لإفساد الصلح، والتسبب في إراقة دم عشرة آلاف من المسلمين في يوم واحد. وكما قال بعض رؤوس الفتنة وقتلة الخليفة عثمان، عندما أوشك الصلح أن يتم بين أم المؤمنين والخليفة الرابع، "ود الناس أنكم منعزلون، ولم تكونوا مع أقوام برآء لتخطفكم كل شيء. وقال آخر:"يا قوم إن عزكم في خلطة الناس".

والسؤال: أي القرارات السابقة أكثر صوابا؟

تمارين موقعة الجمل:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية رد الخبر إلى الله ورسوله والمختصين في كل مجال. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٢- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية إقرار المعني بالأمر. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٣- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية السمة البارزة. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٤ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الإحاطة بظروف الحادثة وتطوراتها. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٥ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٦ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الحذر من رواية المحب والمبغض. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٧ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية تناقض الراوي أو تلونه. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

الفصل السابع

نتيجة ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى

موقعة صفين (الجزء الثالث)

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

ينبه الباحث للمرة الثالثة بأن البحث يقتصر على الوصول إلى القرار الأصوب من القرارات الاجتهادية التي يثاب عليها صاحبها، إن أخطأ أو أصاب، وذلك بصرف النظر عن مكانة صاحبها عند الله ورسوله، وعند المسلمين.

عمرو بن العاص يؤيد معاوية في طلب دم عثمان:

خرج عمرو ابن العاص، رضي الله عنه، مع ابنيه من المدينة، متوجها إلى الشام، قبل حصار الخليفة عثمان، واستشهاده، وكان الخليفة قد استشهد في يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة عام ٣٥ للهجرة. فوصله خبر حصار الخليفة الثالث وهو في الطريق، ثم وصله خبر استشهاده والبيعة لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، خليفة. ولما قدم على معاوية وجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، فأعرب عن تأييده لذلك[١].

وكان قد بويع لعلي بن أبي طالب بالخلافة، بعد خمسة أيام، من استشهاد الخليفة الراشد الثالث، أي في يوم الجمعة ٢٤ من ذي الحجة في العام نفسه. فبعث أمير المؤمنين سبرة الجهني إلى معاوية ليبايعه، فلم يجب إلا بعد ثلاثة أشهر من استشهاد عثمان، يطالبه بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه[٢].

---

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٦٨ - ٧٠.

(٢) سيف، الفتنة ص١٠٢.

وعندما فرغ علي من موقعة الجمل، حوالي منتصف شهر رجب عام ٣٧ للهجرة، وجّه جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته، بدلا من الأشتر الذي اقترح إرساله هو لعدم ثقته في جرير[١].

ويستغرب القارئ للتاريخ أن الخليفة الرابع، حتى بعد خمسة أشهر، لم يكتشف سبب نشوب الحرب فجأة بينه وبين جيش أم المؤمنين، وكانا قد اتفقا على الصلح في الليلة السابقة لموقعة الجمل التي لم تستغرق سوى يوم واحد. وقد يشكك البعض في حدوث تلك المؤامرة من رؤوس الفتنة، أو يتجاهلها، ولكن هناك اتفاق بين المؤرخين على وجود اتفاق الصلح. فكيف يفسر العاقل اشتعال القتال فجأة، إلا أن يفترض أو يجزم بوجود تلك المؤامرة التي دبرها المألبون على الخليفة الراشد عثمان والمشاركون في قتله ظلما حتى ينجوا من العقوبة في الدنيا؟

خروج علي بن أبي طالب إلى صفين:

استخلف الخليفة الراشد الرابع عبد الله بن عباس على البصرة، وسار منها إلى الكوفة، فتهيأ فيها إلى صفين واستشار الناس. فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم؛ وأشار آخرون بالمسير. فأبى إلا المباشرة بنفسه، فجهز الناس. فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال: أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك. قال: إذَا، يا أبا عبد الله، فجهّز الناس. فجاء عمرو فحرّض الناس، وهوّن من جيش علي[٢].

ولما انتهى عليّ إلى الرقة قال لأهلها اجسروا لي جسرا حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام فأبوا. فتركهم وخلّف عليهم الأشتر. فناداهم الأشتر وقال: يا أهل هذا الحصن ألا إني أقسم لكم بالله عز وجل لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتى يعبر لأجردن فيكم السيف ثم لأقتلن الرجال ولأخربن الأرض ولآخذن الأموال. فأقبلوا وجاء علي فنصبوا له الجسر فعبر عليه بالأثقال

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ٧١.

والرجال ثم أمّر الخليفة الرابع الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر، ثم عبر هو، آخر الناس[١].

فلما عبر عليٌ الفرات قدّم زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ ومن تحت قيادتهما أمامه نحو معاوية. ولما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام. فأرسلا إلى علي إنا قد لقيَنَا أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام، وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد، فمرنا بأمرك. فأرسل علي إلى الأشتر فقال يا مالك. انجد أصحابك فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم. وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع. ويبدو أن مالك الأشتر كان رجلا شجاعا مقداما يعتمد عليه الخليفة الرابع في الملمات ولا يستغني عنه، وإن كان أحد رؤوس الفتنة. وكتب الخليفة إلى زياد: أما بعد فإني قد أمّرت عليكما مالكا، فاسمعا له وأطيعا. فإنه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه. وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم. وخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره عليٌ، وكف عن القتال فلم يزالوا متوافقين، حتى إذا كان عند المساء، حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة، ثم إن أهل الشام انصرفوا. ثم خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال وخرج إليه أبو الأعور فاقتتلوا يومهم[٢].

القتال على الماء:

ثم إن عليًا طلب موضعا لعسكره، فلما وجده أمر الناس لينزلوا، وذهب شباب الناس وغلمتهم يستقون فمنعهم أهل الشام، فاقتتل الناس على الماء. وقد كان الأشتر أشار عليه أن يهجم على أهل الشام، حتى يكون الماء تحت سيطرة الخليفة. فكَرِه ذلك عليٌ، لئلا يكلف على جنده.

---

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٧٢.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ٧٣.

ويروي أبو مخنف بأنه لما انتهى جيش الخليفة إلى معاوية وجده قد عسكر في موضع سهل، إلى جانب فرع من فروع الفرات، كان قد اختاره قبل قدوم جيش عليّ. فبحثوا عن فرع للفرات بديلا فلم يجدوا. فأخبروا الخليفة فقال: قاتلوهم عليها، فاقتتلوا على الماء. وأما معاوية فاستشار أصحابه فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ حصروه أربعين صباحا يمنعونه برد الماء. اقتلهم عطشا. وقال له عمرو بن العاص: خل بينهم وبين الماء. فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان. ثم تمت المصالحة على أن يسقي كل فريق دون أن يتعرض له الفريق الآخر[١].

دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة:

مكث الخليفة الرابع يومين لا يرسل إلى معاوية أحدا ولا يرسل إليه معاوية، ثم إن عليًا دعا ثلاثا من أصحابه فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة[٢]. وكان هذا في أول ذي الحجة عام ٣٦. فأتوه وقل أبو عمرة بشير بن عمرو: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك وجازيك بما قدمت يداك. وإني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها. فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟

وعندما انتهى رسل الخليفة كلامهم المبطن بالتهديد وبالتهوين لشأن المطالبة بدم عثمان، غضب معاوية وقال: ليس بيني وبينكم إلا السيف.

ومع قدوم محرم سنة سبع وثلاثين تمت الموادعة بين علي ومعاوية إلى نهاية شهر محرم، وكان الناس يؤملون في انتهائه بالصلح بين الطرفين، حيث تبادل الطرفان الرسل التي تسعى إلى الصلح. فبعث الخليفة عليٌّ ثلاثة، كان منهم، عدي ابن حاتم. وعندما انتهوا إلى معاوية قال له عدي بن حاتم: فإنا أتينا ندعوك إلى أمر

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٧٤ - ٧٦.

(٢) الطبري، ج٣: ٧٦.

يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا ويحقن به الدماء ويؤمن به السبل ويصلح به ذات البين. إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام أثرا. وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله، عز وجل، بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك. فانته، يا معاوية، لا يصبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل. فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهددا؟ وتكلم يزيد بن قيس فقال: إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولنؤدي عنك ما سمعنا منك؛ فاتق الله يا معاوية ولا تخالف عليًا.

فقال معاوية: فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة. فأما الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي. وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها. إن صاحبكم فرّق جماعتنا وآوى من يستحق الثأر ومن قتل خليفتنا. أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. وفي رواية قال: فإن عليًا قطع أرحامنا وآوى قتلة صاحبنا. فقال له شبث أيسرُّك يا معاوية أنك أمكنت من عمار تقتله؟ فقال معاوية: وما يمنعني من ذلك؟ والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان[1]. وهو كلام واضح وصريح، فمعاوية يعلن عن استعداده لمبايعة الخليفة الرابع إذا طبق حد القصاص على قتلة الخليفة الثالث ظلما وعدوانا.

وفي رواية أخرى لأبي مخنف، أن معاوية طلب من رسول له تبليغ الخليفة الرابع: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهديا، يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه. **فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله نقتلهم به.** ثم اعتزل أمر الناس، فيكون أمرهم شورى بينهم، يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم. فكان رد الخليفة الرابع: إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالحق فأنقذ به من الضلالة، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه. ثم استخلف الناس أبا بكر،

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٨٠، من رواية أبي مخنف الشيعي. وهي شهادة باستعداد معاوية للمبايعة، إن تم تطبيق حد القتل العمد.

واستخلف أبو بكر عمر، فأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة، **وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا، ونحن آل رسول الله فغفرنا ذلك لهما**. وولي عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه. ثم أتاني الناس فقبلت بعد الإلحاح. وسأل رسولا معاوية الخليفة: هل تشهد بأن عثمان رضي الله عنه **قُتل مظلوما؟ فقال لهما: "لا أقول إنه قُتل مظلوما**، ولا إنه قُتل ظالما." قالا: فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما، فنحن منه برآء. ثم قاما فانصرفا[1].

ويستبعد القارئ المنصف هذا القول المنسوب إلى أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، لأن أحدا ممن عاصر استشهاد الخليفة الثالث، كان يشكّ في أنه قُتل مظلوما. والخليفة الرابع نفسه ساعد في إيصال الماء إليه، بعد أن ثبتت براءته، عقب المحاكمة العلنية التي وضع الشهيد عثمان نفسه فيها، ولم يجرؤ أحد - حتى من رؤوس الفتنة - أن يطعن فيها. وأما القول "**وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا ونحن آل رسول الله** "يُعبِّر - بصراحة - عن العقيدة الشيعية التي تدعي بأن الخلفاء من بعد النبي ﷺ هم من أهل بيته، وأن أبا بكر، وعمر، وعثمان مغتصبون للولاية.

ومكث الناس، حتى إذا دنا انسلاخ محرم عام ٣٧، أمر عليٌ مناديه أن ينادي: يا أهل الشام، عند غروب الشمس، ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل فدعوتكم إليه فلم تناهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى حق، وإني قد نبذت إليكم على سواء.

والسؤال: أي القرارين أقرب إلى الصواب: أن يطبق الخليفة حد القصاص على مستحقيه، وهو قادر على ذلك إن أراد، فتتم البيعة له ويتحد المسلمون؟ أم إباحة دماء المسلمين، إن لم يبايعوا أولا، ثم ينظر أمير المؤمنين في الأمر الذي قد لا يتم لأن المستحقين للقصاص هم من كبار أعوانه، ويحيط نفسه بهم؟

فأصبح عليٌ من الغد فرتب جيشه وبعث على خيل أهل الكوفة الأشتر، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر...

---

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٨٠ - ٨١ من رواية أبي مخنف الشيعي.

وأما معاوية فبعث على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري وعلى مقدمته يوم أقبل من دمشق أبا الأعور السلمي. وكان على خيل أهل دمشق، وعمرو بن العاص على خيول أهل الشأم كلها... فخرجوا أول يوم من صفين، وكان يوم الأربعاء عام ٣٧ للهجرة، فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ثم تراجعوا.

ويروي ابو مخنف بأن عمار ابن ياسر كان ينادي في اليوم الثالث: يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين وظاهر المشركين[١]. من الواضح أن هذا القول المنسوب إلى عمار، رضي الله عنه، مشكوك فيه لأنه يجعل المطالبين بالقصاص الذي أمر الله به المؤمنين "أعداء لله ولرسوله"، ويجعل الذين يدافعون عن أنفسهم، بالصمود أمام من يهجم عليهم بجيش فيه من يستحقون القصاص "يبغي على المسلمين ويظاهر المشركين"!

ويروي أبو مخنف بأن الخليفة الراشد الرابع حض جيشه فقال: إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، ووعد المجاهدين في سبيله بالمغفرة والمساكن الطيبة في جنة عدن، وأنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[٢]. وهذا قول مشكوك فيه فحاشاه، أمير المؤمنين، أن يُشبِّه اخوته المسلمين بالكافرين الذين يبادرون المسلمين بالعداوة والقتال، وهو في موقف يبادرهم هو بالقتال ليخضعوا لإمرته. فهو الذي جاء بجيشه إلى الشام.

ويقول ابو مخنف بأن بعض قيادات جيش الخليفة عبروا عن حيرتهم. فمثلا قال أحدهم: إن من الخطأ الجليل أنا صُرفنا إلى قومنا وصُرفوا إلينا. والله ما هي إلا أيدينا نقطعها بأيدينا؛ وما هي إلا أجنحتنا نقصها بأسيافنا. فإن نحن لم نؤاس جماعتنا، ولم نناصح صاحبنا كفرنا، وإن نحن فعلنا فعِزَّنا أبحنا[٣].

---

(١) الطبرى، تاريخ ج٣: ٨٢ - ٨٣.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ٨٦.

(٣) الطبري، تاريخ ج٣: ٩٠.

ومن زاوية أخرى، فإن بعض أنصار الخليفة يعتقدون بصورة جازمة أن قتالهم لإخوانهم المسلمين وإباحة دمائهم لأنهم رفضوا البيعة إلا بعد القصاص من قتلة الخليفة الثالث، هو مما يرضى رب العالمين. فأحدهم يقول: قد كنت أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل جيش وغارة، فأبى الله عز وجل إلا أن يبلغني هذا اليوم. ألا وإني متعرض لها من ساعتي هذه قد طمعت ألا حُرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله؟ كلكم ذاهب إلى الموت لا محالة، قد تكون من ضربة بالسيف تستبدلون الدنيا بالنظر في وجه الله عز وجل وموافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار القرار.

وفي المقابل، كان البعض من أنصار معاوية يعبر عن إيمانه بأن ما يطالب به معاوية هو الحق. يقول أحدهم عندما رأى أصحابه منهزمين: يا معشر قيس أطاعة الشيطان آثر عندكم من طاعة الرحمن. الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه، والصبر فيه طاعة الله، عز وجل، ورضوانه، أفتختارون سخط الله على رضوانه ومعصيته على طاعته؟ فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسبا نفسه[١].

ويروي أبو مخنف الشيعي بأن الخليفة الراشد الرابع سأل عن مجموعة صادة أمام جيش المطالبين بالقصاص: لمن هذه الرايات؟ فقيل له: رايات ربيعة. **فقال: بل، هي رايات الله عز وجل**[٢]. وهذا القول مشكوك في نسبته إلى أمير المؤمنين، لأنه يعني أن الجهة المطالبة بالقصاص لا يمثلون رايات الله، ومنها فريق أم المؤمنين وطلحة والزبير! وأما الفريق الذي يبيح دماء المسلمين لتوحيد المسلمين تحت إمرته هم الذين يحملون رايات الله. فهي كذبة ظاهرة، وحاشاه علي بن أبي طالب أن يقول ذلك.

مقتل عمار بن ياسر:

قال أبو مخنف أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس يحضهم فقال: اللهم إنك

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٩٣.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ٩٦.

تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبّة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت. وإني لا أعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين.

يقول أبو مخنف بأن حذيفة نصح من سأله عن الفتنة بأن يكون بالفئة التي فيها ابن سمية، فقد سمع رسول الله يقول بأن الفئة الباغية الناكبة عن الطريق هي التي تقتله. ويقول في قصة أخرى، بأن عمارا يصف معاوية وجيشه بأنهم "**من الذين يبغون دم ابن عفان ويزعمون أنه قتل مظلوما**"[١]. وكأنه يؤكد القصة الأخرى التي تقول بأن عمار يقول أن سبب قتل الخليفة عثمان أن الخليفة عاقبه على القذف، وأنه لم يقتل عثمان، ولكن لم يسؤه قتله[٢].

والسؤال: هل ثبت غير أن الخليفة الثالث قُتل مظلوما كما سبق بيانه عند التعليق على القول المنسوب إلى الخليفة علي؟ ألم يكن عمارٌ حاضرا للمحاكمة العلنية التي وضع الخليفة الثالث نفسه فيها مكان المتهم.

وتقول رواية أبو مخنف عن مقتل عمار بن ياسر أنه وهاشم ابن عتبة خرجا إلى القتال فلم يرجعا وقُتلا، أي أن من قتله مجهول، مع أنه كان مسؤولا عن رجالة أهل الكوفة، وأن من كان أقل منه شأنا وردت تفاصيل قتلهم. وبما أن الفئة التي حرضّت على الخليفة عثمان وقتلته، تآمرت على الصلح، لتنجوا من القصاص، فهي التي ينطبق عليها صفة الفئة الباغية. ومن الواضح أنها سمعت بقول الرسول ﷺ "تقتلك الفئة الباغية" فترصّدته واغتالته لإلصاق التهمة بجيش معاوية. ولم يتوقف الأمر إلى الاغتيال، ولكن قامت بتأليف قصة، يتسلل فيها أحدهم إلى جيش معاوية خلسة ليلتقي **بالصدفة** بالقيادات العليا ليحصل على اعتراف بأن جيش المطالبين بالقصاص هم الذين قتلوه. تقول القصة المخترعة بأن المتسلل يقول" فإذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو، فأدخلت فرسي بينهم "[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ٩٨.

(٢) سيف، الفتنة ص١٣٩؛ الطبري، تاريخ ج٢: ٦٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ ج٣: ٩٩.

أما المرجع الشيعي المتخصص في تأليف مناقب الخليفة الرابع فيقول بأن معاوية وعمروا أرسلا خيلا فاختطفوا عمارا. فكان يسمي أهل الشام قتل عمار فتح الفتوح. ويروي عن حنظلة أنه كان جالسا عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار كل واحد منهما يقول: أنا قتلته. فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول له تقتلك الفئة الباغية[١]. وكذِبُ هذه القصة واضح للعاقل، لأنه في الوقت الذي يعترف فيه الراوي بأن عمرو ابن العاص يعرف حديث الفئة الباغية التي تقتل عمارا، يدعي بأن أهل الشام سموا قتل عمار فتح الفتوح، وأن اثنين من جيش معاوية ادعى كل واحد منهما أنه هو الذي قتل عمارا.

رفع المصاحف والاحتكام إليها:

وهكذا نشبت المعركة بين الطرفين ودامت تسعة أيام، ابتداء من يوم الأربعاء ٧ صفر عام ٣٧ للهجرة[٢] وكان كل فريق من الفريقين يغير قيادته يوميا، وكان الأشتر أكثرهم خروجا من جهة الخليفة الرابع، وأبلى بلاء ملحوظا.

وفي اليوم التاسع من المعارك الدامية، في يوم الخميس ١٥ ذي الحجة عام ٣٦هـ، رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف في ذلك الهلاك قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال نعم. قال نرفع المصاحف ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم. فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم. وإن قالوا بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل. فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من ثغور أهل الشام بعد أهل الشام ومن ثغور أهل العراق بعد أهل العراق. فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت قالوا نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه.

---

(١) العقد الفريد جزء ٤ صفحة ٣١٧.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط جزء ١ صفحة ١٩١.

ويقول أبو مخنف أن عليا قال: عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم. فإن معاوية وعمرو بن العاص... ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن. وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة. فقالوا له: ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله. فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه[1]. ومن الواضح أن هذا الكلام الخطير مكذوب على الخليفة الرابع، لأنه من المستبعد أن يصف أصحاب النبي بأنه ليسوا أصحاب دين ولا قرآن، ولأنه لا يدعي بيعته لتوحيد كلمة المسلمين وردت في الكتاب، فيُجوِّز الاستعانة بالمستحقين للقصاص لقتال المطالبين به.

وبعد جدال شديد بين جيش الخليفة الرابع تم قبول القرآن حكما بين الطرفين. فجاء الأشعث بن قيس إلى علي وقال له ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن. فإن شئت أتيتَ معاوية فسألته ما يريد؟ قال: ائته، إن شئت فاسأله. فأتاه فقال: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه، تبعثون منكم رجلا ترضون به ونبعث منا رجلا. ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يتعدانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق. فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية فقال الناس فإنا قد رضينا وقبلنا. فقال أهل الشأم فإنا: قد اخترنا عمرو بن العاص. فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج فيما بعد، فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري. فاعترض الخليفة على ترشيح أبي موسى، ورشح مالك الأشتر، فعلق أحدهم: "وهل سعّر الأرض غير الأشتر؟" فأصر عدد من أنصار الخليفة على أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه. فموقف أبي موسى، منذ البداية هو الاعتزال عن الفتنة، وإن أطاع الخليفة وضمن له بيعة أهل الكوفة، وذلك عملا بأمر النبي الله ﷺ. فاستقر الأمر على الحكمين المقترحين، وكتبوا بذلك كتابا في ١٣ صفر عام ٣٧هـ يتضمن "إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه، ولا يجمع

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠١.

بيننا غيره، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات ". وحددوا شهر رمضان موعدا، ولهما صلاحية تأخيره، وعلى أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل، ومع كل منهما أربعمائة من أصحابه. ومن الطبيعي أن يرفض الأشتر ما ورد في الصلح فهو أحد رؤوس الفتنة، ومن أفسد الصلح، من قبل.

وخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم فيقرؤونه حتى مر به على طائفة من بني تميم، فيهم عروة بن أدية، فقرأه عليهم فقال عروة: تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال؟ لا حكم إلا لله[١].

خروج الحرورية على الخليفة:

عندما انصرف علي من صفين خالفت الحرورية وخرجت عليه وآذنوه بالحرب، وقالوا لا حكم إلا لله سبحانه. وكان هذا أول ظهورها. قال أبو مخنف خرج أنصار علي معه إلى صفين وهم متوادون أحباء فرجعوا متباغضين أعداء. ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشاتمون. يقول الخوارج يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكّمتم الرجال. ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرقتم جماعتنا. فلما دخل عليٌّ الكوفة لم يدخلوا معه، وذهبوا إلى حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا، ونادى مناديهم إن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

ولما قدم عليٌّ الكوفة وفارقته الخوارج، وثبَت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية. نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان. وبعث الخليفة علي ابن عباس إليهم فناقشهم وبيّن

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠٢ - ١٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠٥ - ١٠٨.

لهم أن الله في كتابه العزيز حكّم الرجال (المحكمين) فرجع بعضهم. ولما علم عليٌ مكانة يزيد بن قيس بينهم خرج في الناس حتى دخل إليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين، وأمّره على إصبهان والري، ثم خرج[١].

اجتماع الحكمين بدومة الجندل:

فلما اجتمع الحكمان بأذرح وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير. ووافى معاوية بأهل الشأم، ولكن أبى الخليفة وأهل العراق أن يوافوا. فاجتمع الحكمان وتكلّما وقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم. قال أبو موسى وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشأم قد وفوا وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى. قال عمرو: اكتبها. فكتبها أبو موسى. قال عمرو يا أبا موسى: أأنت على أن نسمي رجلا يلي أمر هذه الأمة فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني. قال أبو موسى أسمي لك عبد الله بن عمر. وكان ابن عمر فيمن اعتزل. قال عمرو إني أسمي لك معاوية بن أبي سفيان. فلم يبرحا مجلسهما حتى افترقا دون قرار[٢].

ويقول الطبري زعم الواقدي أن اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، حيث بعث علي أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشأم حتى توافوا بدومة الجندل. وشهد اجتماعهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير. والتقى الحكمان فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما؟ قال أشهد. قال الست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى. قال

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠٩ - ١١٠.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠٦.

فإن الله عز وجل قال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى؟ ثم أثنى على معاوية بما هو أهله. فقال أبو موسى: يا عمرو اتق الله عز وجل فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف، إنما يولاه أهله. ولو كنت[2] معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته علي بن أبي طالب. وأما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر، فإني لم أكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين الأولين، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب. وناقش الحكمان البدائل للخلافة، فكان كل منهما يرفض ما يقترحه الآخر.

وفي رواية أخرى، يقول أبو مخنف أن عمرًا وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام يقول: إنك صاحب رسول الله وأنت أسن مني فتكلم وأتكلم. فقال له عمرو خبرني ما رأيك؟ قال رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا. فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت. فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون. فقال: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق. فتكلم أبو موسى فقال: إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبرّ. يا أبا موسى تقدم فتكلم. فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع عليًا ومعاوية. وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم وإني قد خلعت عليا ومعاوية. ثم تنحى. وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب دمه وأحق الناس بمقامه[3].

---

(١) سورة الإسراء: ٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١١١.

(٣) الطبري، تاريخ ج٣: ١١١ - ١١٢.

ومن الواضح أنها قصة مكذوبة، وذلك لأن معاوية لم يكن خليفة، وأبدى استعداده لمبايعة علي إذا نفّذ القصاص على قتلة الخليفة الثالث، أو سلمهم لمعاوية لينفذ فيهم القصاص، بصفته وليا لعثمان. ويظهر أن القصة الحقيقية هي أن الاجتماع انفض دون أن يتفق الحكمان، على رأي واحد. ويشهد النقري الشيعي، بأن معاوية لم يدع الخلافة، حيث يقول "فأصفق أهل الشام على معاوية، وبايعوه على الطلب بدم عثمان أميرا لا يطمع في الخلافة"[١].

وبعد فشل الحكمين في الوصول إلى اتفاق انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي. وكان إذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الأعور السلمي وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والأشتر وحسنا وحسينا[٢].

ومن الواضح أن هذه كذبة اخترعها المتشيعون لعلي بن أبي طالب، وحاشاه أن يفعل ما يخالف أوامر الله عمدا، وذلك لأسباب منها: ١) يستبعد أن يكون عليٌ جاهلا بعتاب الله لنبيه عندما مكث يلعن بعض المشركين الغادرين، في حادثة الرجيع، بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ فكيف ومعاوية مسلم يطالب بتنفيذ القصاص الذي أمر الله به؟[٣] ٢) لم يكن الخليفة عليٌ غبيا فيُسن لعن خصمه ليشنع عليه خصمه.

ويتبين من قراءة الأحداث أن الله أراد حقن دماء المزيد من دماء المسلمين فألهم عمرو بن العاص اقتراح الاحتكام إلى كتاب الله، وقد عجز الفريقان عن تحقيق ذلك، لإصرار كل منهما على رأيه. فالخلق يشاؤون ويفعل الله ما يريد. واختار الله، الحكيم العليم، الوقت المناسب. فقد كثر المتشككون في جدوى إسالة

(١) المنقري ج١: ٨٢؛ وانظر أبو مخنف في الطبري، تاريخ ج٣: ٨٠.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١١٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٨.

المزيد من دماء المسلمين لتوحيد كلمة المسلمين. وكثر المترددون بين طاعة الخليفة المبايع في المدينة والاعتزال في وقت الفتنة، استنادا إلى أمر النبي ﷺ. كما أن اتفاقية التحكيم أدت إلى ردة فعل توهن من جيش الخليفة الرابع، بخروج أكثر من عشرة آلاف من أفراد جيشه عليه. وجميعها أسباب ربانية لإيقاف عملية سفك المزيد من دماء المسلمين لتوحيد كلمة المسلمين تحت إمرة الخليفة علي بن أبي طالب، ولحث القيادات على الموازنة بين المصالح المتضاربة.

ومن عجائب أمر الله أن يأتي السبب الأقوى لحقن المزيد من دماء المسلمين، في صيغة الدعوة إلى الاستمرار في قتال المطالبين بتطبيق القصاص. ووجَّه ظهور الخوارج قوة الخليفة الرابع إلى وجهة شرعية، وهي قتال من يستبيحون دماء الفريقين: الفريق المطالب بوحدة المسلمين، والفريق المطالب بالقصاص. ومن عجائب قدرة الله أن يخرج الخوارج من جيش الخليفة الرابع كما خرج رؤوس الفتنة الذين أفسدوا الصلح بينه وبين أم المؤمنين، من جيشه سابقا، وإن كان سرا في تلك المرة. وأصبح الخوارج خطرا محدقا، بصورة علنية، بجهود الخليفة في توحيد كلمة المسلمين بالسيف. فلم يقتصروا على الانعزال، ولكن هددوا الخليفة نفسه بالقتل، كما قتل بعضهم الخليفة الثالث، من قبل. ومع أن عليًّا كان حليما في التعامل معهم، فلم يزدهم حلمه إلا شراسة. فقد قال لهم إن لكم عندنا ثلاثا لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا. ومع هذا فإن الخوارج جمعوا كلمتهم وعينوا لهم رئيسا، هو عبد الله بن وهب، وكان ذلك في ١٠ شوال عام ٣٨ للهجرة[١].

وعزم الخليفة علي على استئناف القتال مع المطالبين بالقصاص من أهل الشام، فحرّض على الاجتماع، فلم يستجب الخوارج له، واتهموه قائلين "إنك لم تغضب لربك. إنما غضبت لنفسك". فقال علي في خطبته التي يحث فيها على قتال أهل الشام من رواية أبو مخنف الشيعي: أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١١٤ - ١١٥.

أمره كان على شفا هلكه، إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين[1]. ومن الواضح أن هذا القول مكذوب على الخليفة الرابع. فهو أورع من أن يصف أهل الشام الذين يطالبون بتطبيق القصاص بأنهم ممن حاد الله، ويحاولون إطفاء نور الله. فهذا الوصف، إن صدق على أحد الطرفين لا يخرج منه الطرف الآخر.

ورغم حماس الخليفة الرابع لاستئناف جهوده في إخضاع الشام، دون السعي في توفير مطالبهم، لم تكن الاستجابة كما كان يتوقع. وعبّر بعض أنصاره عن اعتراضهم على ترجيح قتال أهل الشام المسلمين على قتال الخوارج الذين يشكلون خطرا على أهليهم وأموالهم. فقال بعضهم لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم ذهبنا إلى ما يريد. ولكن الخليفة رفض هذا الاقتراح علنا، وحث على السير إلى المطالبين بالقصاص قبل البيعة له. وشاء الله أن يقابل بعض الخوارج الصحابي عبد الله بن خباب فسألوه: أأنت عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله؟ قال: نعم. قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدث به عن رسول الله أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك، فلا تكن يا عبد الله القاتل. فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها. وفي رواية أخرى، سألوه أيضا: فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيرا. قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقا في أولها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى. وقتلوه، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، ثم قتلوا رسول الخليفة إليهم. وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشأم، وكان منهم الأشعث بن قيس الكندي. فلما رأى إجماع الناس على البدء بالخوارج خرج إليهم. وعندما جاء

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١١٧.

الخليفة الرابع مقبلا إلى الخوارج بعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم. ثم أنا تاركم وكافذٌ عنكم حتى ألقى أهل الشأم فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خيرٍ مما أنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلَتَهُم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم[١]. ومن العجيب، أن يشاء الله، إن صدقت هذه الرواية، أن يقف الخليفة الرابع موقف أهل الشام، فيقول للخوارج المقطوع بضلالهم مثل ما قاله له أهل الشام المقطوع بإسلامهم.

ولما فرغ الخليفة من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم، أي إلى المطالبين بالقصاص للخليفة الثالث. وقال يحثهم: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله. فاعتذر البعض بأنهم غير جاهزين ويحتاجون إلى الاستعداد، وتسللوا إلى منازلهم، إلا قليل، ولم يلق استجابة من أغلبهم. فغضب لذلك وأخذ يعنفهم. ويقول الطبري بأن معركة النهروان مع الخوارج كانت عام ٣٨ للهجرة، وليس كما ذكر أبو مخنف عام ٣٧[٢].

مقتل بعض رؤوس الفتنة:

كان محمد بن أبي بكر، أحد المتهمين بقتل الخليفة عثمان ومثيري الفتنة، واليا لعلي في مصر. فاشتكى أهل مصر منه، فعيّن الخليفة الرابع مالك الأشتر واليا عليها، وهو من رؤوس الفتنة منذ بدايتها والمتآمرين على إفساد الصلح بين الخليفة الرابع وأم المؤمنين ومن معها. غير أن الأشتر قُتل مسموما، قبل أن يصل إلى مصر[٣].

كما سبق بيانه رفض الخليفة الرابع طلب أهل الشام بتسليم المستحقين للقصاص لمعاوية، فهم جزء أساس من جيشه. ثم كان التحكيم الذي انتهى إلى غير

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١٠٩، ١٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ ج٣: ١٢٦ - ١٢٧.

اتفاق. فالروايات عن نتيجة التحكيم مشوشة، قد يكون فيها شيء من الحقيقة، وشيء من التأليف. وفي جميع الحالات جاءت النتيجة موهنة لجيش الخليفة، ومساندة لجيش معاوية ولموقفه. فبعد أن كان معاوية مجرد معارض للبيعة حتى يتم القصاص من قتلة الخليفة الثالث، تحوّل مكانه إلى خليفة منافس، إذ بايعه أهل الشأم بالخلافة، فلم يزدد إلا قوة، واختلف الناس بالعراق على علي بن أبي طالب.

ولتثبيت قدمه نظر إلى مصر. فعدد سكانها كبير، وخراجها كثير، فجمع مستشاريه فاستشارهم في الاستيلاء عليها. فقالوا له اعزم وأقدم، ونعم الرأي رأيت. واقترح عليه عمرو ابن العاص أن يبعث جيشا كثيفا، وقال له: ابعث عليهم رجلا حازما صارما، تأمنه وتثق به. فيأتي مصر حتى يدخلها فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاهره على من بها من عدونا. فإذا اجتمع بها جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت أن يعين الله بنصرك، وأن تتم مكاتبة أنصار معاوية بمصر، وغيرهم لإقناعهم. فكتب معاوية إلى من كان قد خالف عليًّا، فوجد تجاوبا منهم فأرسل عمرو ابن العاص واليا على مصر. وقال له عند وداعه: أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق، وبأن تقبل ممن أقبل وأن تعفو عمن أدبر. فإن قبل فبها ونعمت، وإن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة. وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك[1].

وعندما وصل عمرو ابن العاص حدود مصر أرسل إلى محمد ابن أبي بكر رسالة ينصحه بالتنحي عن ولاية مصر، وبعث له برسالة معاوية الذي يحذره مما صنعه بالخليفة الراشد عثمان بن عفان. فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد فقد أتاني كتابك **تذكرني من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه.** وجهّز جيشا لمواجهة عمرو ابن العاص، ولكن انتهت محاولاته بهزيمته وتفرق جماعته عنه. فأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر، ولما رأى ذلك محمد

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٢٨ - ١٣٠.

خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها. وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط. وخرج معاوية بن حديج مع نفر في طلب محمد حتى وجدوه في خربة فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا، وقتلوه. وفي رواية الواقدي أن محمدا كان مختبئا عند جبلة بن مسروق، ولما أحيط به قاتل حتى قُتل. وكان ذلك في صفر عام ٣٨ للهجرة. وفي هذه السنة قُتل محمد ابن حذيفة الذي رباه الخليفة عثمان يتيما فانقلب عليه وألب عليه. وفي رواية للواقدي أنه قُتل، قبيل ذلك، عام ٣٦ للهجرة، حيث اندس في غار في أرض حوران فاستخرجوه منها وقتلوه[١].

ويروي أبو مخنف الشيعي بأن الخبر وصل عليًّا فوصف عمرو بن العاص بأنه **عدو الله وولي من عادى الله**[٢]. وهذا القول مشكوك فيه، فحاشاه علي أن يصف مسلما بهذا الوصف، وكأنه وكيل الله يصنف عباده كما يشاء.

وحاول علي بن أبي طالب حث أنصاره لنجدة واليه في مصر، فلم يجد استجابة فأخذ يلومهم لوما شديدا. ثم بلغه خبر قتل واليه على مصر، واستيلاء معاوية عليها، فتألم ألما شديدا. ولما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر خرج ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة واستخلف زيادا. وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية فنزل في بني تميم. فاستنجد زياد بعلي ابن أبي طالب فأرسل إليه جارية ابن قدام مع خمسمائة شخص، فتمكنوا من قتل ابن الحضرمي ومن معه. وعندما فرغ عليٌّ من أهل النهروان أعلن البعض الانعزال، وخالفه قوم كثير في رأيه استئناف الجهد لإخضاع أهل الشام لبيعته، وانتقضت عليه أطرافه وخالفه بنو ناجية، وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس وكان عامل عليٍّ عليها. فأرسل الخليفة الرابع إليها زيادا فاستردها بجمع كثير، وطيء بهم أهل فارس فأدوا الخراج[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٣١ - ١٣٣.

(٢) الطبري عن أبو مخنف ج٣: ١٣٤.

(٣) الطبري، تاريخ ج٣: ١٣٧ - ١٤٢.

تفريق معاوية جيوشه حول منطقة علي:

قام معاوية في عام ٣٩ للهجرة بتوجيه جيوشه للإحاطة بالمناطق التي تقع تحت سيطرة علي ابن أبي طالب. فوجه النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمر وبها مالك بن كعب مسلحة (قاعدة) لعلي في ألف رجل. وعندما جاء النعمان لم يبق معه إلا مائة رجل، وفي رواية إلا ثلاثمائة. فأخبر مالك عليًا، فحض عليٌّ الناس وأمرهم بالخروج فتثاقلوا. فخطب وقال: يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أظلّكم انجحر كل إمريء منكم في بيته انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها. المغرور من غررتموه؛ ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب. لا أحرار عند النداء ولا إخوان ثقة عند النجاء. إنا لله وإنا إليه راجعون. ماذا مُنيت به منكم؟ عُميٌ لا تبصرون، وبكمٌ لا تنطقون؛ وصم لا تستمعون". ويستبعد القارئ المنصف أن يقول أمير المؤمنين هذا الكلام على من ناصروه في معارك كبيرة ضد مخالفيه. فهو ليس بجحود، رضي الله عنه. وهكذا حصلت بعض المعارك الصغيرة بين المناصرين لعلي والمناصرين لمعاوية[١].

محاولة معاوية السيطرة على المدينة:

في عام ٤٠ للهجرة بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فساروا من الشام حتى قدموا المدينة. وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، فترك أبو أيوب المدينة إلى الكوفة. ودخل بسر المدينة وصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد، وبايعه أهل المدينة، اقتناعا أو خوفا. وكأن ظروف مبايعة الخليفة الرابع يتكرر بصورة أخرى.

ثم مضى بسر إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلي، فلما بلغه مسيره تركها إلى الكوفة حتى أتى عليًا. واستخلف أحدا على اليمن، فكان مصيره القتل. ثم رجع بسر إلى الشام. وبلغ عليًا خبر بسر فوجّه قائدين من قواده بأربعة

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٤٩ - ١٥٠.

آلاف، كان أحدهم جارية الذي سار حتى أتى نجران، فحرّق بها، وأخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم. وفي هذه السنة، أي عام ٤٠ للهجرة جرت بين علي وبين معاوية مكاتبات انتهت بالمهادنة بينهما على وضع الحرب بينهما. ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو. وتضاربت القصص حول تاريخ مغادرة ابن عباس البصرة، وسببها، إذ قيل بأنه غادرها في حياة الخليفة الرابع بناء على طلب منه، وقيل أنه لم يبرح البصرة حتى قُتل علي. فشخص إلى الحسن وشهد الصلح بينه وبين معاوية[١].

استشهاد الخليفة الراشد الرابع:

استشهد علي بن أبي طالب، على يد ابن ملجم المرادي، وكان ذلك في ١٧رمضان عام ٤٠، وقيل في ١١ رمضان. وتقول رواية بأن ابن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس. وعابوا على ولاتهم ثم ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم. واتفقوا على قتل علي ابن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو ابن العاص. فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ؛ وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان؛ وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه. فحاول ابن ملجم قتل علي وضربه ولم يتمكن منه، ولكن عليًا مات متأثرا بالسم الموجود في السيف. ويقال أنه استشهد وعمره ابن ثمان وخمسين سنة، وفي رواية كان ابن خمس وستين سنة، وفي رواية ثالثة، كان ثلاثا وستين. وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر[٢].

وأما البرك بن عبد الله فإنه قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه فوقع السيف في مؤخرة معاوية؛ فأُخذ البرك وقُتل. وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج وكان اشتكى بطنه. فأمر خارجة بن حذافة

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ ج٣: ١٥٥ - ١٦٠.

وكان صاحب شرطته، فخرج ليصلي. فشد عليه وهو يظن أنه عمرو ابن العاص فضربه فقتله، فأخذه الناس فانطلقوا به إلى عمرو، يسلمون عليه بالإمرة فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة. فقال: عمرو بن العاص: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو وقتله[1].

الخلاصة العامة:

عندما نتتبع المعلومات المتوفرة لدينا عن الفتنة الكبرى نجد أن أقرب المصادر المسجلة كتابة، عن استشهاد الخليفة الراشد الثالث وموقعة الجمل، هو كتاب سيف ابن عمر الأسدي. أما بالنسبة لموقعة صفين، فنجد أن أقربها إلى الحادثة تتسم بالتحيُّز في صياغاتها وفي تفاصيلها. وهو المتوفر، فالطبري اعتمد فيها على روايات أبو مخنف، ولا يقابلها، من حيث القرب، سوى روايات المنقري. وكلاهما من شيعة علي، رضي الله عنه، بدرجات متفاوتة من التطرف. ولهذا كان من الطبيعي أن يتم إغفال بعض الحقائق، وإضافة بعض القصص، وتحريف بعضها لصالح الخليفة الرابع، ولكن أحيانا تهدف إلى التبرئة فتتهم، وتهدف إلى الثناء فتذم. وفي ظل هذه الحقيقة، يجد القارئ نفسه أمام نوعين من التعامل بين الطرفين حسب المصادر المتوفرة:

أولا- يلاحظ أن فريق أم المؤمنين كان موقفه موقف الاحترام لشخصية علي ابن أبي طالب، مع الاعتراض على تأخيره، أو تردده في تطبيق حد القصاص. أما موقف الخليفة الرابع فهو موقف المهاجم لشخصيات معارضيه، يستحقون التهم بالعداوة لله ولرسوله، والافتراء عليهم. ومثاله، القصة التي أوردها المنقري التي تقول بأن أحدا من مناصريه سأله: يا أمير المؤمنين، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة، بم قتلوا؟ قال عليٌّ: قتلوا شيعتي وعمالي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي، رحمة الله عليه، في عصابة من المسلمين، لأنهم قالوا لهم: لا ننكث كما نكثتم، ولا نغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم. فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم

(١) الطبري، تاريخ ج٣: ١٥٩.

بهم، ثم كتاب الله حكمٌ بيني وبينهم، فأبوا عليّ. فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي، ودماء قريبٍ من ألف رجل من شيعتي، فقتلتهم بهم، أفي شك أنت من ذلك؟"[١].

ثانيا - يلاحظ أن فريق معاوية لم يتجاوز توجيه تهمة عابرة لعليّ بالمساهمة في قتل الخليفة عثمان. ويمثله قول معاوية لعلي رضي الله عنهما: "وقد ذُكِر لي أنك تتنصّل من دمه، فإن كنت صادقا فأمكِنّا من قتَلَتِه، نقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك، وإلا فإنه ليس لك ولا لأصحابك إلا السيف"[٢].

وأمام هذه الأحداث المروعة للفتنة الكبرى، لا يملك المسلم عند سماع أخبارها إلا أن يطرح بعض الأسئلة على القرارات البشرية الاجتهادية للصحابة، مع إيمانه الكامل بشرعية منطلقاتها، واعتقاده بصدق نوايا أصحابها، وذلك لكي يعتبر بها وبما نتج عنها، ومنها:

أولا- أغارت الفئة الباغية فجأة على عاصمة الخلافة الإسلامية، وسيطرت على الأمور العامة فيها، فانقسمت قرارات أهل المدينة إلى:

١- قرار الأقلية التي ساندت رأي الغزاة ورؤوس الفتنة.

٢- قرار الأقلية التي رأت وجوب الدفاع عن الخليفة والنظام.

٣- قرار الأغلبية التي اتخذت موقفا محايدا أو سلبيا.

والسؤال: أي قرارات أهل المدينة كان أقرب إلى الصواب؟

ثانيا- وجد خليفة المسلمين نفسه في موقف لم يصل إليه المساندون له من الأمصار المختلفة بعد، ووقفت فيه أغلبية أهل المدينة موقفا سلبيا، وخيّرته الفئة الباغية بين أن يخلع نفسه من الخلافة أو القتل، فكان عليه أن يختار بين قرارين:

١- رفض التنازل بالجبر حتى لا يسن سنة سيئة وهي خلع الخليفة، لأسباب ترفضها المحاكمة العلنية، ولا سيما إذا أثبت جدارته خلال اثني عشر عاما، حافظ فيها على وحدة المسلمين، مع احتمال إباحة دماء قلة من المسلمين، وقفوا بإخلاص لحماية الخليفة والنظام.

---

(١) المنقري ج١: ٥.

(٢) المنقري ج١: ٨٧.

٢- رفض التنازل عن الخلافة بالجبر حتى لا يسن سنة سيئة وهي خلع الخليفة، بدون أسباب موجبة، والحرص على تجنب سفك دم أحد من المسلمين القلة الذين يرون أن الدفاع عن الخليفة واجب، وإن كان على حساب مصيره الشخصي، أي يأمر هذه القلة بعدم الدفاع عنه.

والسؤال: أي القرارين المتوفرين للخليفة الراشد الثالث كان أقرب إلى الصواب؟

ثالثا- اقترح المغيرة وابن عباس على الخليفة الرابع إبقاء ولاة الخليفة الثالث في مواقعهم حتى تستقر الأمور له، فيفعل ما يراه مناسبا. وقرر الخليفة الرابع البدء في تغيير الولاة، قبل استقرار الأمور، وهذا مع أن بعض الولاة وأنصارهم يتهمون عليًا بالتقصير في الدفاع عن الخليفة الثالث المقتول ظلما وعدوانا.

والسؤال: أي القرارين كان أقرب إلى الصواب؟

رابعا- اقترح طلحة والزبير الاستنجاد بأهل البصرة والكوفة لتخليص المدينة والخليفة الرابع من تسلط الفئة الغازية على القرارات السياسية في العاصمة الإسلامية. فقرر الخليفة الرابع عدم الاستنجاد.

والسؤال: أي القرارين كان أقرب إلى الصواب؟

خامسا- كانت هناك فرصة لبذل الجهد في تطبيق القصاص على المستحقين له، وإن كان بصورة متأنية ومتدرجة. ولكن الخليفة الرابع قرر تأجيل القصاص على مستحقيه، والاستنصار بهم وحمايتهم تحت رايته، لإباحة دم المسلمين الذين يرفضون الإقرار بخلافته، إلا بشرط تنفيذ حد القصاص.

والسؤال: أي القرارين كان أقرب إلى الصواب؟

سادسا- كانت هناك فرصة للموازنة بين هدف توحيد المسلمين والواقع، أي الموازنة بين المصالح المتعارضة، كما فعلت أم المؤمنين وطلحة والزبير، بالنسبة لأولوية القصاص عندهم. وفي المقابل كان هناك قرار الاندفاع في توحيد المسلمين تحت امرته، رضي الله عنه، وإن كان بالسيف، وإباحة دماء المسلمين المطالبين بالقصاص، مع وجود فرصة لتنفيذ القصاص في المستحقين له.

والسؤال: أي القرارين كان أقرب إلى الصواب؟

سابعا- كان معاوية في موقع صعب. فالفئة الباغية لا تزال عنصرا مهما في جيش الخليفة عليٍّ، أي لديهم فرصة سانحة لإفساد أي صلح ينتهي باتفاق المسلمين على تطبيق القصاص عليهم. وموقعة الجمل التي ذهب ضحيتها عشرة آلاف مسلم ليست بعيدة. فلم يكن أمام معاوية إلا أحد اثنين:

١- الصمود على شرطه للمبايعة، أي أن يقتص الخليفة من المستحقين للقصاص أو يسلمهم له، ثم يبايع.

٢- التنازل عن شرط تطبيق القصاص على مستحقيه والموافقة على البيعة، وما لحق بجهود الصلح وبجيش أم المؤمنين بسبب مكانة المستحقين للقصاص في جيش الخليفة عليٍّ لا يزال عالقا في الأذهان. كما أن احتمال انقسام المطالبين بالقصاص أمر متوقع، قياسا على ما حصل لأنصار علي بن أبي طالب، فيؤدي، حتما، إلى المزيد من التفرق بين المسلمين، بدلا من جمع كلمتهم، ويؤدي إلى سن سنة فرض السلطة بالسيف، وإن كان المعارضون معهم حق شرعي، ولا يقلون عن نصف الأمة.

والسؤال: أي القرارين كان أقرب إلى الصواب بالنسبة لمعاوية، للحفاظ على هيبة الإسلام ومصلحة الأمة الإسلامية؟

واسأل الله أن يوفق المخلصين للحق إلى الإجابات الصائبة، وأن يحفظ المسلمين في كل زمان ومكان من التورط في الأخطاء الاجتهادية التي وقعت، فنتج عنها سفك دماء آلاف المسلمين على أيدي مسلمين.

تمارين موقعة صفين:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية رد الخبر إلى الله ورسوله والمختصين في كل مجال. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٢- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية إقرار المعني بالأمر. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٣- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية السمة البارزة. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٤- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الإحاطة بظروف الحادثة وتطوراتها. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٥- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٦- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الحذر من رواية المحب والمبغض. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٧ - من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية تناقض الراوي أو تلونه. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٨- أكتب عن مثالين استخدم المؤلف فيهما النقد الخارجي للتحقق من الأخبار في أحداث الفتنة الكبرى. وكيف استخدمها بالتفصيل.

٩- أكتب عن مثالين استخدم المؤلف فيهما نقد المتن أو العقلي للتحقق من الأخبار في أحداث الفتنة الكبرى. وكيف استخدمها بالتفصيل.

١٠- أكتب عن مثالين جمع فيهما المؤلف النقد الخارجي ونقد المتن أو العقلي في التحقق من الأخبار في أحداث الفتنة الكبرى. وكيف استخدمها بالتفصيل.

الفصل الثامن

لماذا قتل هارون الرشيد جعفرا؟

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

مقدمة:

هناك قصص عديدة حول هارون الرشيد، بصفته خليفة عباسي كان له دور كبير في عزة الدولة الإسلامية والمسلمين. ومن يحصر القصص التفصيلية التي تدور حول هذا الخليفة، في كتب التاريخ "الإسلامي" ويقارن بين ما هي إيجابية أو سلبية سيصل مؤكدا إلى السمة البارزة لهذه الشخصية التاريخية الهامة. فدعنا نستعرض هذه القصص لنصل إلى ما يمكن اعتباره الحَكَم الأول في مصداقية القصص الصغيرة، بعد استبعاد بهارات القصاصين والحكواتية التي تظهر في شكل تفاصيل تُشوِّه الواقع، أو مبالغات في التصوير أو تضخيم في الأرقام.

نتيجة الدراسة:

سيتم استعراض نتيجة الدراسة تحت الموضوعات التالية: ما ورد عن هارون الرشيد، علاقته بالبرامكة، سبب قتل جعفر، ومصداقية قصة العباسة.

السمة الغالبة لهارون الرشيد:

ولد هارون الرشيد، في أحد الأقوال عام ١٤٦هـ، وفي قول آخر عام ١٥٠هـ، وتولى الخلافة عام ١٧٠هـ وعمره ٢٢ عاما، وبقي خليفة ٢٣ عاما إلى وفاته عام

١٩٢هـ، وفي قول ١٩٣هـ. ومات وعمره، في أحد الأقوال ٤٣، وفي قول آخر ٤٥، وفي قول ثالث ٤٧ سنة[١].

لقد قاد هارون الرشيد الحج وهو خليفة ثمان مرات، وقيل تسع. وقد لا نتصور مشقة الحج في تلك الأيام، ولا سيما من يأتي من بغداد إلى الحرمين راكبا، ليس في سيارة مكيفة أو طائرة. فالسفر كان قطعة من العذاب حقا، كما وصفه النبي ﷺ[٢].

وكان هارون الرشيد يغزو أعداء الإسلام، مثل الروم، أو يرسل من يغزوهم لعداوتهم للمسلمين أو لمواقفهم المتقلبة[٣]. وأرسله أبوه الهادي ليغزو الروم عام ١٦٥وهو دون العشرين من العمر، فنزل على الخليج، ثم خرج إلى قرم المصيصة ومسجدها، فقوى أهلها وبنى القصر الذي عند جسر أذنة على نهر سيحان[٤].

وفي عام ١٨١هـ غزا هارون الرشيد الروم، وفيها أمر أن يكتب في صدر الرسائل التي يرسلها "الصلاة على رسول الله ﷺ، بعد الثناء على الله عز وجل. وفيها حج بالناس[٥].

ومن غزواته، بعد تولي الخلافة، غزوته للروم عام ١٩٠ للهجرة[٦]. وخرج هارون، مرة، يريد الشأم فلما بلغه قتلُ أحد عماله على منطقة ملاصقة لبلاد الروم، فمضى إلى الثغر، وأغزى هرثمة بن أعين بلاد الروم. وكان أمر ببناء طرطوس في سنة ١٧١هـ، فأحكم بناءها وجعل لها خمسة أبواب، وبنى حولها سبعة وثمانين برجا، ولها نهر عظيم يشق في وسطها، عليه القناطر المعقودة[٧].

---

(١) بن جابر، أنساب ج٤: ٣٧٣؛ بن خياط ج١: ٤٦٠ ؛ وفي رواية مات ١٩٢؛ المعارف جزء ١: ٣٨١ - ٣٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٢٣٧.

(٢) ابن خياط، ج١: ٤٤٧ - ٤٥٨، وأضاف المسعودي عام ١٧٦ للهجرة ج٢: ٢١٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي جزء ٢ صفحة ٤٢٦؛

(٤) البلاذري، فتوح البلدان جزء ١ صفحة ١٧٢.

(٥) ابن كثير، البداية ج١٠: ١٧٧.

(٦) المعارف جزء ١: ٣٨٢.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي جزء ٢ صفحة ٤١٠ .

ويقول إبراهيم بن الجنيد سمعت على بن عبد الله يقول: قال أبو معاوية الضرير حدثنا هارون الرشيد بهذا الحديث يعنى قول النبي ﷺ وددت أني اقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم اقتل، فبكى هارون حتى انتحب ثم قال: يا أبا معاوية، ترى لي أن أغزو؟ قلت يا أمير المؤمنين: مكانك في الإسلام أكبر ومقامك أعظم، ولكن ترسل الجيوش. قال أبو معاوية وما ذكرت النبي ﷺ بين يديه قط إلا قال صلى الله على سيدي[١].

وورد عند السيوطي أنه كان يصلي كل يوم مائة صلاة ويحب العلم والعلماء وكان يبكي عند وعظه[٢].

وروى ابن عساكر عن إبراهيم المهدي قال كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال: أعندك في الطعام لحم جزور؟ قال: نعم ألوان منه. فقال: أحضره مع الطعام. فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها في فيه، ثم علم أنها تكلفه مبلغا كبيرا من ميزانية الدولة، لأنه طلب لحم الجزور، قبل مدة طويلة، فلم يجدوا. فقرر وزيره جعفر أن يوفرها يوميا حتى يجده الخليفة إن طلبها، وبهذا كانت تكلفة تلك اللقمة هي أثمان الجزور المذبوحة يوميا لمدة طويلة، والتي لم يطلب منها شيئا إلا ذلك اليوم. فلما أعلمه بذلك جعفر، بكى هارون الرشيد بكاء شديدا وأمر برفع السماط من بين يديه، وأقبل على نفسه يوبخها؛ ويقول هلكت والله يا هارون، وأمر بصدقات لفقراء الحرمين وبغداد تكفيرا عن ذلك[٣].

وكان هارون الرشيد ذا ثقافة عالية. يقول أبو عبد الله محمد بن العباس المصري سمعت هارون الرشيد يقول: طلبت أربعة فوجدتها في أربعة. طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث[٤].

---

(١) تاريخ بغداد جزء ١٤ صفحة ٧، الغزالي، إحياء ج٢: ٨.

(٢) السيوطي ص٢٢٧ - ٢٣٨.

(٣) ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٦.

(٤) شرف أصحاب الحديث ج١: ٥٥.

وقال المفضل بن محمد الضبي: وجّه إليّ الرشيد، فخرجت حتى صرت إليه، فسلمت. فأومأ إليّ. فجلست فقال لي: يا مفضل. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال كم اسما في "فسيكفيكهم"؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قلت: الكاف لرسول الله ﷺ، والهاء والميم وهي للكفار، والياء وهي لله عز وجل قال صدقت. هكذا أفادنا هذا الشيخ، يعني الكسائي. ثم التفت إلى ابنه محمد فقال له أفهمت يا محمد؟ قال: نعم. ثم التفت إليّ فقال: يا مفضل عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قلت: قول الفرزدق:

أخـــذنا بآفـــاق الـــسماء علـــيكم لنـــا قمراهـــا والنجـــوم الطوالـــع

قال هيهات أفادناها متقدما قبلك هذا الشيخ. "لنا قمراها يعني الشمس والقمر؛ كما قالوا سنة العمرين سنة أبي بكر وعمر. قلت فأزيد في السؤال. قال: زد قلت فلم استحسنوا هذا؟ قال: لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد؛ وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه وسموا به الآخر فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر وفتوحه أكثر واسمه أخف غلبوه وسموا أبا بكر باسمه. وقال الله عز وجل ﴿بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ وهو المشرق والمغرب. قلت: قد بقيت زيادة في المسألة. فالتفت إلى الكسائي فقال: يقال في هذا غير ما قلنا. قال: هذا أوفى ما قالوا، وتمام المعنى عند العرب. ثم التفت إليّ فقال: ما الذي بقي؟ قلت بقيت الغاية التي إليها أجرى الشاعر المفتخر في شعره. قال: وما هي؟ قلت: أراد بالشمس إبراهيم وبالقمر محمدا ﷺ وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين. قال: فاشرأب أمير المؤمنين، وقال: يا فضل بن الربيع احمل إليه مائة ألف درهم لقضاء دينه[1].

وكان هارون الرشيد على علم بأهل العلم والصلاح. قال مصعب بن عبد الله، سمعت أبي يقول: قال لي أمير المؤمنين هارون الرشيد: دلني على رجل من أهل المدينة من قريش له فضل منقطع. قال قلت له: عمارة بن حمزة بن عبيد الله بن

(١) الطبري، تاريخ ج٥: ٢٤.

عبد الله ابن عمر بن الخطاب. قال: فأين أنت عن ابن عمك الزبير بن خبيب؟ قال قلت له: إنما سألتني عن الناس، ولو سألتني عن أسطوان من أساطين المسجد قلت لك: الزبير بن خبيب. وكان الرشيد يمنح العلماء المنح السخية، وكان يكرم أهل المدينة بالعطايا الكثيرة، وقد يلح على بعض المؤهلين قبول مهمة القضاء فيرفض العالم المهمة، فلا يعنفه أو يحقد عليه، بل، كان يمنحه الهدية التي يستحقها بعلمه[١].

وسأل هارون الرشيد مالك بن أنس: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر، رحمة الله عليهما، من رسول الله؟ فقال مالك: كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته: فقال: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك[٢].

ويقول مالك بن أنس شاورني هارون الرشيد في ثلاث: ١) في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، ٢) وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، ٣) وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إماما يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. فقلت: يا أمير المؤمنين. أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب. وأما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ. وأما تقدمتك نافعا إماما يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ فإن نافعا إمام في القراءة لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه. قال وفقك الله يا أبا عبد الله[٣].

ويقول الأصمعي: دخلت على الرشيد وهو يقلم أظفاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك. فقال أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر فقلت يا أمير المؤمنين أو تخشى الفقر؟ فقال: يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني؟[٤].

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها ج١: ١٠٧، ١٣٢؛ وتاريخ بغداد ج٨: ٤٦٦؛ البلدان ج١: ٨٣.

(٢) الشريعة جزء ٥ صفحة ٢٣٧٠.

(٣) حلية الأولياء جزء ٦ صفحة ٣٣٢.

(٤) ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٦.

ويذكر حمزة الكسائي أن الرشيد كان يحرص على تربية أولاده، وإن كان معلمهم يشدد عليهم[١]. فمثلا، يأمر إسماعيل بن أبي ابن عياش أن يُحفِّظ المأمون أحاديث نبوية. فحفَّظه أكثر من أربعين حديثا في جلسة واحدة[٢].

وكان يكرم العلماء وأهل الصلاح ويستمع إلى نصحهم، بل ويطلبها منهم. كما كان يكرم القراء الجيدين، مثل سعيد العلاف[٣].

أنبأنا أبو عبد الرحمن الأشهلي قال سمعت محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: كان عندنا رجل يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه؛ لا يتكلم حتى يكلم. وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله ﷺ، وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جوابا حسنا مغربا[٤]. ويقول محمد إسماعيل بن أبي فديك قدم علينا هارون الرشيد فأُخلي له المسجد فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفي موقف جبريل عليه السلام واعتنق إسطوانة النبوة، ثم قال قفوا بي على أهل الصفة. فلما أتاهم قال أبو نصر، عندما علم أنه هارون، أمير المؤمنين: "أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ورعيتك وبين الله خلق غيرك. وإن الله سائلك عنهم فأعدّ للمسألة جوابا؛ وقد قال عمر بن الخطاب لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها. فبكى هارون وقال يا أبا نصر: إن رعيتي غير رعية عمر ودهري غير دهر عمر. فقال له هذا والله غير مغن عنك فانظر لنفسك فإنك وعمر تسألان عما خولكما الله. فدعى هارون بصرة فيها ثلاثمائة دينار فقال ادفعوها إلى أبي نصر. فقال أبو نصر ما أنا إلا رجل من أهل الصفة فادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم[٥].

وكان حريصا على عدل عماله. ففي سنة ١٧٥ سار الرشيد إلى الري. وسبب

(١) الأخبار الطوال جزء ١ صفحة ٥٦ - ٥٦٣.

(٢) الجهشياري ص١٦٦.

(٣) المعارف جزء ١ صفحة ٥٣٣.

(٤) المنتظم جزء ١٠ صفحة ٩.

(٥) المنتظم ج١٠: ٩ - ١٠.

ذلك أن الرشيد عندما استعمل علي بن عيسى بن ماهان على خراسان ظلم أهلها وأساء السيرة فيهم. فكتب كبراء أهلها وأشرافها إلى الرشيد يشكون سوء سيرته وظلمه واستخفافه بهم وأخذ أموالهم. وقيل للرشيد إن علي بن عيسى قد أجمع على الخلاف فسار إلى الري في طريقه إلى خراسان في جمادى الأولى ومعه ابناه عبد الله المأمون والقاسم ليتحقق من الأمر، وينصف أهلها[١].

وذُكر أن يهوديا كانت له حاجة إلى هارون الرشيد فاختلف إلى بابه مرات فلم يتمكن من مقابلته. فوقف يوما على الباب فلما خرج هارون سعى ووقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين. فنزل هارون عن دابته وخر ساجدا لله. فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت له. فلما رجع قيل يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك بقول يهودي؟ قال: "لا، ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ وقال قتادة ذُكر لنا أن النبي ﷺ إذا دعيتم إلى الله فأجيبوا وإذا سئلتم بالله فأعطوا فإن المؤمنين كانوا كذلك"[٢].

ويقول مسيب بن سعيد دخلت على هارون الرشيد فقال عظني. فقلت يا أمير المؤمنين. إن الله عز وجل لم يرض لك أن يجعل أحدا فوقك، فلا ينبغي لأحد أن يكون أطوع له منك. قال لقد بالغت في الموعظة، وإن قصرت في الكلام[٣].

ويقول أبو معاوية أكلت مع هارون الرشيد، أمير المؤمنين، طعاما يوما من الأيام فصب على يدي رجل لا اعرفه. فقال هارون الرشيد: يا أبا معاوية تدرى من يصب على يديك؟ قلت: لا. قال: أنا. قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم إجلالا للعلم. وقيل لما لقى هارون الرشيد فضيل بن عياض قال له الفضيل: يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة، حدثنا ليث عن مجاهد: وتقطعت بهم الأسباب، أي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا. قال فجعل هارون يبكى ويشهق[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ جزء ٥ صفحة ٣٣٨.

(٢) تفسير السمرقندي جزء ١ صفحة ١٦٣.

(٣) شعب الإيمان جزء ٦ صفحة ٣٩.

(٤) تاريخ بغداد جزء ١٤ صفحة ٨.

يقول الفضل بن الربيع حججت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين فمررنا بالكوفة في طاق المحامل فإذا ببهلول المجنون قاعد يهذي، فقلت له اسكن فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكت فلما جاء الهودج قال يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نابل أن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل. فقلت يا أمير المؤمنين: إنه بهلول المجنون. قال: قد عرفته، وبلغني كلامه، قل يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين، هب أنك ملكت العباد طرا ودان لك العباد فكان ماذا أليس مصيرك إلى قبر يحثو ترابك هذا وهذا. فقال: أجدت يا بهلول أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله جمالا ومالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار. فظن هارون أنه يريد شيئا قال فإنا قد أمرنا أن نقضي دينك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ لا تقض دينا بدين اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك فإن نفسك هذه نفس واحدة، وإن هلكت والله ما انجبرت عليها: قال فإنا قد أمرنا أن نجري عليك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يعطيك وينساني. أجري علي الذي أجرى عليك. لا حاجة لي في إجرائك ومضى[1].

وهناك قصة حول شخصيتها خلاف، وهي قصة الشاب التي رواها أبو الفرج الأصبهاني. وتقول القصة الطريفة التي لا تخلو من المبالغة والصناعة أنه التقى بصبي اسمه أحمد السبتي، يعمل بالأجرة. ويقول أبو الفرج الأصفهاني، عندما ذهب في المرة الثانية ليستأجره، لم يجده فسأل عنه حتى توصل إليه، فوجده مريضا. ويستطرد فيقول: "فحملته إلى منزلي عند الظهر فلما أصبحت من الغد ناداني يا عبد الله. فقلت ما شأنك؟ قال: إذا احتضرت افتح صرة على كم جبتي. قال ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر. فقال: إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم ثم أدفعه إلى هارون أمير المؤمنين ... ومعها نصيحة شفوية لهارون الرشيد. ويقول الأصبهاني ذهبت إلى الرشيد، بعد وفاته، وسلمته الخاتم، وقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم أن أقرئك سلام صاحب هذا الخاتم ويقول لك: ويحك لا تموتن على حالتك التي أنت فيها من النعيم. فإنك إن مت عليها ندمت.

(١) الشافعي، تاريخ مدينة دمشق ج٥: ٤٠٨.

وسألني الرشيد أين دفنته؟ فجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح ويدير رأسه ولحيته على قبره يقول يا بني لقد نصحت أباك قال فجعلت أبكي لبكائه. وقيل أنه كان ابنا لزبيدة، ولكنه تزهد... وقيل أنه كان وزيرا لهارون، وليس ابنا[١].

ورُوى أن شقيق البلخى دخل على هارون الرشيد فقال له أنت شقيق الزاهد؟ فقال له أما شقيق فنعم وأما الزاهد فيقال. فقال: له عظني. فقال له: إن الله تعالى أنزلك منزلة الصديق، وهو يطلب منك الصدق كما تطلبه منه ؛ وأنزلك منزلة الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل كما تطلبه منه؛ وأنزلك منزلة ذي النورين وهو يطلب منك الحياء والكرامة كما تطلبه منه؛ وانزلك منزلة علي بن أبي طالب وهو يطلب منك العلم كما تطلبه منه. ثم سكت. فقال له: زدني. قال: نعم إن لله دارا سماها جهنم وجعلك بوابا لها وأعطاك بيت مال المسلمين وسيفا قاطعا وسوطا موجعا...[٢].

وقال الخراساني حججت مع أبي سنة حج الرشيد فإذا نحن بالرشيد وهو واقف حاسر حاف على الحصباء وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول: يا رب أنت أنت وأنا أنا العواد إلى الذنب وأنت العواد إلى المغفرة اغفر لي فقال لي يا بني انظر إلى جبار الأرض كيف يتضرع إلى جبار السماء[٣].

وقال له ابن السماك يوما: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالظم، وتزل القدم، ويقع الندم. فلا توبة تقبل ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال. فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته. فقال يحيى بن خالد له يا ابن السماك لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة. فقام فخرج من عنده وهو يبكي[٤].

---

(١) صفة الصفوة جزء ٢ صفحة ٣١٠ - ٣١٨.

(٢) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٢١٣.

(٣) فضائح الباطنية جزء ١ صفحة ٢١٨.

(٤) البداية والنهاية جزء ١٠ صفحة ٢١٧ - ٢١٨.

وقال له الفضيل بن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة يا صبيح الوجه إنك مسؤول عن هؤلاء كلهم وقد قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ قال حدثنا ليث عن مجاهد الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا، فبكى حتى جعل يشهق.

وقال الفضيل استدعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ثم استدعى أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال:

عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور

تسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح إلى البكور

فاذا النفوس تقعقعت ... عن ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

قال فبكى الرشيد بكاء كثيرا شديدا. فقال له الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين تسر فأحزنته. فقال له الرشيد: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا عمى. ومن وجه آخر، أن الرشيد قال لأبي العتاهية عظني بأبيات من الشعر، وأوجز. فقال:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمتعت بالحُجّاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت صائبة ... لكل مدرّع منها ومترِّس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

قال فخرّ الرشيد مغشيا عليه وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه بما يقول فكتب مرة على جدار الحبس:

أما والله إن الظلم شوم ... وما زال المسئ هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال فاستدعاه واستعجله في حل ووهبه ألف دينار وأطلقه.

وقال سفيان بن عيينة: دخلت على الرشيد فقال ما خبرك؟ فقلت:

بعين الله ما تخفي البيوت فقد طال التحمل والسكوت

فقال: يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتغنى عقبه، ولا تضر الرشيد شيئا[١].

وقال الأصمعي كنت مع الرشيد في الحج فمررنا بواد فإذا على شفيره امرأة حسناء بيديها قصعة وهي تسأل بها وتقول:

طحطحتنا طحاطح الأعوام **ورمتنا حوادث الأيام**

فأتيناكم نمد أكفا نائلات لزادكم والطعام

فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا أيها الزائرون بيت الحرام

من رآني فقد رآني ورحلي فارحموا غربتي وذل مقامي

قال الأصمعي فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها، فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحمها وبكى وأمر مسرورا الخادم أن يملأ قصعتها ذهبا، فملأها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالا[٢].

وهنا يظهر الرشيد بمنتهى اللطف مع رفيق له زاهد، قبل توليه الخلافة. عن أبي عمران الجوني قال لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤوه بما صار إليه من أمر الخلافة، ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية. وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري، قديما. فهجره سفيان، بعد تولي الرشيد الخلافة، ولم يزره فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه. فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد، أمير المؤمنين، إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر، أما بعد: يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وآخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله. واعلم أني قد وآخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو

(١) ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٧.

(٢) ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٨.

لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة. واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني. وإني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت لك كتابا شوقا مني إليك شديدا؛ وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل...[١]

وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول إنا من قوم عظمت رزيتهم وحسنت بعثتهم. ورثنا رسول الله ﷺ وبقيت فينا خلافة الله. وبينما الرشيد يطوف يوما بالبيت إذ عرض له رجل فقال يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بكلام فيه غلظة. فقال: لا؛ ولا نعمت عين، قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني. فأمره أن يقول له قولا لينا. وعن شعيب بن حرب قال: رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فخوفتني زوجتي. فقالت: إنه الآن يضرب عنقك. فقلت: لا بد من ذلك؛ فناديته فقلت: يا هارون قد أتعبت الأمة والبهائم. فقال: خذوه فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي فقال: ممن الرجل؟ فقلت: رجل من المسلمين. فقال: ثكلتك أمك؛ ممن أنت؟ فقلت: من الأنبار. فقال: ما حملك على أن دعوتني باسمي؟ فخطر ببالي شيء لم يخطر قبل ذلك فقلت: أنا أدعو الله باسمه "يا الله" أفلا أدعوك باسمك؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم: يا آدم، يا نوح، يا هود، يا صالح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا محمد. وكنّى أبغض خلقه إليه، فقال ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾. فقال الرشيد أخرجوه أخرجوه[٢]. ومن المعلوم أن هذه الطريقة تخالف أمر الله بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن الإنصاف كان من صفات هارون الرشيد.

ويقول وكيع قال الرشيد لأبي بكر: يا أبا بكر ادن، فلم يزل يدنيه فلما قرب منه،

(١) احياء علوم الدين جزء ٢ صفحة ٣٥٣.

(٢) تاريخ بغداد جزء ٩ صفحة ٢٣٩ - ٢٤٠، ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٧.

قال وكيع تركته ووقفت حيث أسمع كلامه. فقال له الرشيد: يا أبا بكر. قد أدركت أيام بني أمية وأدركت أيامنا، فأينا كان أخيَر؟ قال وكيع فقلت: اللهم ثبت الشيخ. فقال: يا أمير المؤمنين أولئك كانوا أنفع الناس، وأنتم أقوم بالصلاة. فصرفه الرشيد، وأجازه بستة آلاف، وأجاز وكيع بثلاثة آلاف[١].

وطلب الرشيد إحضار بعض القرشيين، حيث بلغه أنهم يحرضون على إزالة خلافته، وكان منهم الشافعي. يقول الشافعي: كنت من بين المجموعة أصغر سنا فجيء بنا إلى هارون الرشيد. قال ثم أُمر بنا فأدخلنا على هارون. فقال: يا معشر قريش ما حملكم على ما بلغنى عنكم؟ ولا تكثروا علىّ. قدموا منكم من يكلمنى عنه وعنكم. فقالوا قد قدمنا هذا، وأشاروا إلىّ، وتقدمت ويديّ مغلولة إلى عنقى. فلما نظر إلىّ صعد فى البصر، وصوبه ثم قال: يا معشر قريش ألم أجبر فقيركم وأكبر كبيركم، وأتفقد صغيركم، وألُمّ شعثكم، وأحسن اليكم، وأقسم العطاء فى كل موسم فيكم؟ وأنتم الآن تدعون الخوارج من آل علي لتحملوا علىّ أمة محمد بالسيف. فقلت: أصلح الله أمير المؤمنين، ووفقه لما يرضى به عنه. إن بنى على لا يرون قريشا إلا كعبيدهم، وأنتم تعرفون لقريش حق القرابة. فهل يصح دعوى مدع عند من يعقل أنه يرضى أن يتآمر عليه من يعده عبدا، ويترك أن يتآمر عليه من يراه ابن عمه ومثله فى نسبه؟ قال فسكت ساعة ثم قال: من أنت؟ قلت: أنا من ولد المطلب ابن عبد مناف. أنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى. فقال الرشيد. أطلقوا عنه وعن الذين معه من قريش. قال الشافعى فحل وثاقى ووثاقهم وأمر لنا بخمسمائة دينار وأمر لى بخمسين دينارا، وأمر لى يحيى بن خالد بخمسين دينارا أخرى[٢].

وقال ثمامة بن أشرس رفع محمد بن الليث رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويقول: إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف

(١) تاريخ بغداد جزء ١٤ صفحة ٣٧٥.

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء جزء ١ صفحة ٩٥ - ٩٧.

أنت إذا وقفت بين يدي الله فسألك عما عملت في عباده وبلاده فقلت استكفيت يحيى أمور عبادك أتراك تحتج بحجة يرضاها؟ ومع هذا الكلام توبيخ وتقريع. فدعى الرشيد يحيى، وقد تقدم إليه خبر الرسالة، فقال: تعرف محمد بن الليث؟ قال: نعم قال فأي الرجال هو؟ قال: متهم على الإسلام. فأمر به فوضع في الحبس دهرا. فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر. فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد أتحبني؟ قال: لا. والله يا أمير المؤمنين. قال: تقول هذا؟ قال: نعم، وضعت رجلي في الأكبال، وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت ولا حدث أحدثت، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله ويحب الإلحاد وأهله. فكيف أحبك؟ قال: صدقت؛ وأمر بإطلاقه، ثم قال يا محمد أتحبني؟ قال: لا، والله يا أمير المؤمنين، ولكن قد ذهب بما في قلبي. فأمر أن يعطى مائة ألف درهم فأحضرت، فقال: يا محمد أتحبني؟ قال: أما الآن فنعم، قد أنعمت عليّ وأحسنت إليّ. قال [هارون] انتقم الله ممن ظلمك، وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك[1].

وكان الخليفة هارون يكرم العلماء بعد وفاتهم. قدم عبد الملك بن محمد بن أبي بكر أبو طاهر الأنصاري المدني بغداد. فحدّث بها، وروى عنه سريج بن النعمان. وكان ثقة جليلا من أهل العلم والسنة والحديث، وولاه الرشيد القضاء بالجانب الشرقي من بغداد. فمكث أياما ثم مات فصلى عليه هارون، ودفنه في مقبرة العباسة بنت المهدي وقيل توفي في سنة ست وسبعين ومائة[2].

قصص سلبية حول هارون الرشيد:

قال أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال أرسل إليّ هارون الرشيد، فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتل دارا، فقال: يا يحيى غنني متى تلتقي الآلاف والعيس كلما تصعدن من واد هبطن إلى واد. فلم أزل أغنيه إياه، ويتناول قدحا إلى أن أمسى. فعددت عشر مرات استعاد فيها الصوت، وشرب عشرة أقداح، ثم أمر لي

(١) المنتظم جزء ٩ صفحة ١٢٧.

(٢) المنتظم جزء ٩ صفحة ٣٦ - ٣٧.

بعشرة آلاف درهم وأمرني بالانصراف[١].

ومن القصص قصة الجارية المسماة بذات الخال لأنها كانت ذات خال على شفتها العليا. ولإبراهيم الموصلي وغيره فيها أشعار كثيرة. وكانت جارية لقرين المكي، مولى العباسة بنت المهدي. وكانت من أجمل النساء وأكملهن بلغ خبرها الرشيد فاشتراها بسبعين ألف درهم. فقال: فنهض إليها مسترضيا وأمر للعباس بألفي دينار، وغناه إبراهيم الموصلي وقال لها الرشيد يوما: أسألك عن شيء فإن صدقتني وإلا صدقني غيرك. قالت: أنا أصدقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط وأنا أحلفه فيصدقني؟ فتلكأت ساعة ثم قالت: نعم مرة واحدة. فأبغضها. وقال يوما في مجلسه أيكم لا يبالي أن يكون كشخان حتى أهب له ذات الخال فبادر حمويه الوصيف فقال: أنا. فوهبها له ثم إنه اشتاق يوما بعد ذاك، فقال: يا حمويه ويحك أوهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك. فقال: يا أمير المؤمنين مر فيها بأمرك. قال: نحن غدا عندك. فمضى واستعد لذلك واستعار لها من الجوهريين بدنة وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار، وأخرجها للرشيد وهو عليها. فأنكره وقال: ويلك يا حمويه من أين لك هذا وما وليتك عملا تكسب فيه مثله ولا وصل إليك منى هذا القدر؟ فصدقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها. ثم حلف أن لا تسأله في يومه حاجة إلا قضاها فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين. ففعل ذلك وكتب له عهده، وشرط على ولي العهد بعده أن يتممها له إن لم تتم في حياته[٢].

قتل هارون الرشيد جعفرا عام ١٨٧ وحبس يحيى وابنه الفضل إلى أن ماتا بالرقة. وقتل أنس بن أبي شيخ المتهم بالزندقة ويوالي البرامكة[٣].

وينقل ابن كثير عن من سبقه من المؤرخين فيقول: قد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظاياه. وهذه وجاهة

(١) الأغاني جزء ٦ صفحة ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) الوافي بالوفيات جزء ١٣ صفحة ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٣) المعارف جزء ١: ٣٨٢.

ومنزلة علية. وكان عنده من أحظى العشراء على الشراب المسكر. وكان أحب أهله إليه العباسة بنت المهدي وكان يحضرها معه وجعفر البرمكي حاضرا أيضا معه. فزوجه بها ليحل النظر إليها، واشترط عليه أن لا يطأها. وكان الرشيد ربما قام وتركهما وهما ثملان من الشراب فربما واقعها جعفر فحبلت منه فولدت ولدا وبعثته مع بعض جواريها إلى مكة وكان يربى بها.

ويقول الطبري، وقد كان الرشيد في اليوم الذى قتل جعفرا في آخره هو وإياه راكبين في الصيد في أوله وقد خلا به دون ولاة العهود. فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضمه إليه؛ وقال لولا أن الليلة ليلة خلوتي بالنساء ما فارقتك. فاذهب إلى منزلك واشرب واطرب وطب عيشا حتى تكون على مثل حالى، فأكون أنا وأنت في اللذة سواء. فقال والله يا أمير المؤمنين لا أشتهي ذلك إلا معك. فقال: لا. انصرف إلى منزلك. فانصرف عنه جعفر فما هو إلا أن ذهب من الليل بعضه حتى أوقع به من البأس والنكال ما تقدم ذكره. وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من المحرم وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة كان عمر جعفر إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة[1].

ويضاف إلى ذلك قصة تزويج أخته العباسة صوريا لجعفر البرمكي، ليأنس بوجودهما معه في جلسات أنسه. وسيتم مناقشة هذه القصة بصفة مستقلة لخطورتها، ولبيان مصداقية ما يرد في كتب التاريخ.

وعند التأمل في القصص السابقة الإيجابية والسلبية، مع استبعاد المبالغات نجد ٣٦ قصة غير مكررة في أكثر من عشرين مرجع، من بين ٢٥ مرجعا، يغطي أخبار الرشيد إلى عام ٩١١ للهجرة. وكلها تورد قصصا تؤكد أن من السمات الشخصية البارزة للخليفة العباسي هارون الرشيد ما يلي:

١- الخشية من الله والحرص على تقواه.

٢- الحرص على التقرب إلى الله، بالحج وبالغزو وبالجود في أوجه الخير وبالتواصل مع العلماء والصالحين والحرص على الاستماع إلى نصائحهم، والتفقه في الدين، والحرص على حسن تربية أولاده.

(١) الطبري ج٢: ١٨٢٣؛ ابن كثير، البداية ج١٠: ١٨٩ - ١٩١.

٣- الحكمة في التعامل مع الوشايات أو الشكاوى بين المقربين إليه.

ويقابل هذه السمة ست قصص تشير إلى أنه ممن يحيي مجالس الغناء ويعاقر الخمرة، ويفتقد الغيرة الفطرية والعقلية والشرعية بالنسبة لأخته العباسة. ولم يخل مرجعان منها من الإشارات التي تثبت خشية هارون الرشيد العظيمة من الله.

والسؤال من نصدق؟

القصص المتضافرة العديدة التي تؤكد خشية هارون الرشيد من الله خشية تفوق الخشية العادية التي نعرفها عند عامة الصالحين، وتصوره وفيا لمن يحسن إليه، وحريصا على كسب رضاء الله؟ أم المراجع المحدودة التي تقول بأنه يستبيح الخمر والغناء المختلط، ويفتقد الغيرة الفطرية والدينية على عرضه؟

وفي ظل السمة العامة لهارون الرشيد، وهي الخوف من الله والحرص على رضاه ومخالطة العلماء والصالحين، واعتزازه بنسبه الشريف وعروبته، وثقافته الدينية والدنيوية تبرز الأسئلة المنطقية والمبنية على الفطرة والعقل، ومن أبرزها:

١- ما هي درجة احتمال انغماس هارون الرشيد في مجالس الغناء المختلط؟

٢- ما هي درجة احتمال تعاطي هارون الرشيد الخمر والإدمان عليها؟

٣- ما هي درجة احتمال افتقاد الخليفة العباسي إلى الغيرة الفطرية والعقلية والدينية على أخته العباسة؟

هارون الرشيد والبرامكة:

من مراجعة علاقة الخليفة العباسي بالبرامكة يجد الإنسان أن هارون الرشيد كان مكبلا من طفولته بالبرامكة. فيحيى أبوه من الرضاعة، والفضل وجعفر اخوته من الرضاعة. ولهذا كان سلوك يحيى يعكس نوعا من التسلط، ليس على الخليفة من الناحية الأدبية، ولكن تسلطا واقعيا على أسرته وبإصرار. ويؤكد ابن خلكان هذا النوع من السلطة، حيث يقول: بأن الرشيد فوض إلى يحيى أمور الخلافة وأزمّتِها،

ولم يزل كذلك حتى كانت نكبة البرامكة[١]. ويثني المسعودي على البرامكة فيقول: للبرامكة أخبار حسان، وما كان منهم من الإفضال بالمعروف واصطناع المكارم، وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به، ومراثيهم[٢].

الشخصيات الرئيسة من البرامكة:

وتتمثل الشخصيات الرئيسة التي ظهر سلطانها واضحا في حياة هارون الرشيد في يحيى، وولديه الفضل وجعفر.

ويحيى بن خالد هو والد جعفر البرمكي، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى. فلما ولى الرشيد عرف له حقه وكان يقول "قال أبي" قال أبي، وفوض إليه أمور الخلافة وأزمتها ولم يزل كذلك حتى نكبة البرامكة. وقيل أنه سأل الرشيد أن يعفيه من الولاية فأعفاه وأقام يحيى بمكة وفيها توفي. وقيل أنه مات في الحبس بعد مقتل ابنه جعفر، في الرقة، في العراق[٣].

يقول المسعودي أن هارون الرشيد قتل جعفرا وخلّد أباه يحيى في الحبس حتى مات عام ١٨٩هـ. والمشهور أن يحيى بن خالد توفى قبل ابنه الفضل. وكان كريما فصيحا ذا رأى سديد، ويظهر من أموره خير وصلاح. قال يوما لولده خذوا من كل شيء طرفا. فإن من جهل شيئا عاداه. وقال لأولاده اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون. وكان يقول لهم: إذا أقبلت الدنيا فأنفقوا منها، فإنها لا تبقى، وإذا أدبرت فأنفقوا منها، فإنها لا تبقى. وكان إذا سأله أحد، في الطريق وهو راكب، أقل ما يأمر له بمائتي درهم[٤].

وعندما حج الرشيد بالناس عام ١٨١، سأله يحيى بن خالد أن يعفيه من الولاية

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١: ص٣٣٣ - ٣٣٤، وانظر الأباصيري، في الألوكة.

(٢) مروج الذهب ج٢: ٢٢.

(٣) ابن كثير، البداية ج١٠: ١٧٧، ابن قتيبة، المعارف ج١: ٣٨٢.

(٤) المسعودي، مروج ج٢: ٢١؛ ابن كثير، البداية ج١٠: ٢٠٤.

فأعفاه وأقام يحيى بمكة وفيها توفي[١]. ويعود ابن كثير فيقول في عام ١٨٢هـ رجع يحيى بن خالد البرمكي من مجاورته بمكة إلى بغداد[٢].

ويحيى هو الذي عيّن ابنه جعفرا وزيرا لابنه من الرضاعة هارون الرشيد[٣].

والفضل ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته كان هو والرشيد يتراضعان: أرضعت الخيزران فضلا، وأرضعت أمه هارون الرشيد[٤].

قال ابن الجوزي بأن الفضل توفي في سنة ١٩٢هـ . أما ابن جرير فيقول في المحرم من عام ١٩٣هـ، أي أن وفاته كانت في نفس العام الذي توفي فيه هارون الرشيد[٥].

ويقول ابن خلكان كان جعفر متمكنا عند الرشيد، غالبا على أمره، واصلا منه. وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه. ولم يكن للرشيد صبر عنه. ثم تغيّر الرشيد عليه وعلى البرامكة كلهم، آخر الأمر ونكبهم وقتل. وكانت ولادة جعفر عام ١٥٠؛ وقتله عام ١٨٧، وعمره إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة، أي تولى الوزارة وعمره حول العشرين عاما. وفي رواية المسعودي "قتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس وأربعين سنة، وقيل أقل من ذلك"[٦].

ويبدو، واضحا، مما ورد عن البرامكة في هارون الرشيد ووالده المهدي. وأتيحت لهم الفرصة للسيطرة الأدبية والفعلية على الخليفة هارون الرشيد منذ طفولته. كما أتيحت لهم الفرصة لكسب جاه عظيم وثروات عظيمة، أحسنوا استعمالها في كسب محبة الشعراء والأدباء لأنفسهم، وإن كانت على حساب ميزانية الدولة، وسمعة الخليفة.

---

(١) ابن كثير، البداية ج١٠: ١٧٧.

(٢) ابن كثير، البداية ج١٠: ١٧٩.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري ج٣: ٥٣٧.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ج١٠: ٢١٠.

(٥) ابن كثير، البداية ج١٠: ٢١٢.

(٦) المسعودي، مروج ج٢: ٢١.

وأما مسألة وصف جعفر بأنه كان يعاقر الخمرة فالمسالة تحتمل الصدق وقد لا تحتمله. فمعظم القصص مرتبطة بتهمة الخليفة الورع بالشرب. وهناك قصص حول تعاطي جعفر الخمر مستقلة، مثل حالته التي كان عليها عند قتله عبد الله بن الحسن، وعندما جاءه مسرور السياف لقتله بأمر الخليفة[١].

وعن نهاية البرامكة فيقول الطبري، ومن نقل عنه أن مسرورا الخادم هو الّذي نفذ حكم الرشيد فيه [٢] وأما المسعودي فيقول أن ياسرا الخادم هو الذي نفذ فيه أمر الرشيد[٣]. ثم تم سجن يحيى ابن خالد البرمكي، وابنه الفضل[٤]. وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ومن كان منهم بسبيل. فأخذوا كلهم عن آخرهم. فلم يفلت منهم أحد وحبس يحيى بن خالد في منزله وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا. وبعث الرشيد برأس جعفر وجثته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى، ونودي في بغداد بأن لا أمان للبرامكة ولا لمن آواهم، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منهم لنصحه للخليفة[٥].

سبب نكبة البرامكة:

لقد كانت عملية قضاء الرشيد على سلطة البرامكة حركة خاطفة، ومفاجأة غير متوقعة. فما هي الأسباب؟ هناك إشارات واقعية، وأخرى تكهنات، أو قصص مخترعة في الأصل، ومن الأخيرة قصة جعفر والعباسة التي سيتم مناقشتها فيما يلحق. وعند استعراض الأسباب التي سجلها المؤرخون والمعلقون يمكن حصرها في الأسباب المباشرة وغير المباشرة التالية[٦]:

(١) البيهقي، لباب الأنساب ج١: ٢٩؛ ابن كثير، البداية ج١٠: ١٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ، الكرمي ج٢: ١٨٢٢.

(٣) المسعودي مروج الذهب ج٢: ١٨.

(٤) الطبري، تاريخ، الكرمي ج٢: ١٨٢٢.

(٥) الطبري، تاريخ، الكرمي ج٢: ١٨٢٢؛ ابن كثير، البداية ج١٠: ١٩٠.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ج٢: ١٥ – ١٨؛ نقلا عن الأباصيري، الجهشياري، طبعة دار الكتب العلمية ص٢١١.

أولا- تسلط يحيى على حرم الرشيد، إذ يقول المسعودي كانت زبيدةُ أم جعفر زوجُ الرشيد من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها. وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم لهن، فشكت زبيدة إلى الرشيد، ولكن الرشيد أيده فازداد يحيى لها منعًا، وعليها في ذلك غلْظَة.

ثانيا- يقول الدكتور الجومرد في كتابه "هارون الرشيد" ج٢ ص٤٦٩ في بيان السبب الرئيسي للنكبة ما ملخصه: "أن الرشيد لم يكن غافلاً عن أعمال البرامكة التي توجب محاسبتهم، ولكنه أغمض عينيه فترة غير قصيرة عنهم؛ وفاء لخدماتهم، وحرصًا على صفاء الجو بينه وبينهم، وأملاً في أن يعودوا إلى رشدهم، ولكن أمر البرامكة تفاقم، وسلطانهم ظهر على سلطانه، والنعرة الفارسية والشعوبية تكالبت على قوميته، واستبد "يحيى بن خالد" بكل أمور الدولة، وتدخل "جعفر بن يحيى" في خاصة شؤونه، حتى أوقع بين وَلِيَّيْ عهده الأمين والمأمون، وغرس الحقد بينهما بما يهدد مستقبل الخلافة إذا تنازعا عليها، ومنع المال عن الرشيد بحجة المحافظة على أموال المسلمين، التي راح هو وجماعته يرتعون فيها بغير حساب. وبلغ الأمر إلى أن بات جعفر يحاسب الرشيد على تصرفاته، ولا يأبه إلى اعتراضاته، وقد كان الرشيد يعاني ضيقًا شديدًا من هذه التصرفات، ولكنه كان قوي الاحتمال، عظيم الصبر، واسع الحيلة، ومن أمهر الناس في التظاهر بالرضا وهو في أشد سورة غضبه، إذا اقتضى الأمر ذلك. ولهذا يؤكد الجومرد بأن السبب الحقيقي لنكبة البرامكة، هو سبب سياسي، يرجع إلى أنهم استغلوا نفوذهم واستأثروا بالسلطة في أيديهم، ويشير الجومرد أن الجهشياري ذكر أربع عشرة قضية عدَّدَها الرشيد ليحيى ابن خالد في حينه، وكل واحدة منها تكفي عذرًا له في التخلص منهم، وإزاحتهم من طريقه. ويستشهد بقول ابن خلدون: وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة، واحتجابهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه".

ثالثا- عيّن الرشيد الفضل بن يحيى سنة ١٧٨هـ واليًا على الجانب الشرقي للدولة باتخاذ "خراسان" مقرًّا لولايته، فكوَّن بها جيشًا عظيمًا من العجم، قوامه خمسمائة ألف جندي، دون أخذ رأي الرشيد وسماه "العباسية"، وجعل ولاء هذا الجيش للبرامكة وحدهم. ولما علم الرشيد بذلك الحدث الخطير، استقدم الفضل إلى بغداد من غير أن يعزله، فحضر إليها ومعه فرقة من هذا الجيش عددها عشرون ألف جندي مسلح من الأعاجم. وينقل الجومرد عن الجهشياري قولا لجعفر لأحد الأتباع، لأن الرشيد عاتبه في أمر "ووالله لئن كلفنا الرشيد بما لا نحب، ليكونَنَّ وبالاً عليه سريعًا".

رابعا- اتهم البعض البرامكة بالزندقة والمجوسية.

خامسا- تجاوز جعفر للسلطة المفوضة إليه. فكان يتجرأ أحيانا باتخاذ قرارات تخالف رغبة الخليفة. ففي مرة دفع الرشيد إلى جعفر يحيى بن عبد الله بن حسن (كان من الثوار العلويين) فحبسه، ثم دعى جعفر به، ليلة من الليالي، فسأله عن شيء من أمره. فأجابه إلى أن قال له اتق الله في أمري ولا تتعرض أن يكون خصمك غدا محمد ﷺ. فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا. فرقّ له جعفر، وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله. قال: وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل فأرد إليك أو على غيرك. فوجّه إليه من أداه إلى مأمنه. وبلغ الخبر الفضل بن الربيع، من عين كانت له عليه من خاص خدمه، فدخل على الرشيد فأخبره. فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال: ما أنت وهذا؛ فلعل ذلك عن أمري[1]. وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا وجعل يلقمه ويحادثه إلى أن كان آخر ما كان بينهما أن قال: ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قال: بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال الثقيلة. فقال: أتصدقني القول؟ فأحجم جعفر، وكان من أرق الخلق ذهنا وأصحهم فكرا، فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره، فقال: لا. يا سيدي، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به ولا مكروه عنده. قال: نِعم ما فعلت، ما عدوت ما كان في نفسي. فلما خرج أتبعه

(١) من حكمة الرشيد أو دهائه أنه، في الغالب، كان يدافع عن المتهم من خواصه حتى تثبت التهمة، وذلك منعا لنمو الوشاية الكاذبة.

بصره حتى كاد يتوارى عن وجهه[١].

من الواضح أن الأسباب السابقة قوية لاستحقاق البرامكة تأديبا وكبحا لجماحهم، ولكن بالتأمل في السمة البارزة التي تم إثباتها، سابقا، لهارون الرشيد، وهو الخوف الشديد من الله، يتردد العاقل في أن يجعلها سببا لقتل جعفر ابن يحيى البرمكي. فالسؤال: ما هو السبب المنطقي الذي يتسق والسمة الغالبة على هارون الرشيد؟

السبب المرجح لقتل جعفر:

يؤخذ على جعفر البرمكي قتله عبد الله بن الحسن، وقيل، الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم. وكان عمر عبد الله ٢٨، وقُتل دون أن يحصل منه خروج ولا أثر، وإنما كان القتل في الصحراء، قتله جعفر يوم النيروز في حال السكر. وصلى عليه هارون الرشيد، ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد. وتقول الرواية المفصلة[٢]: "أن هارون الرشيد دعا الحسن بن الحسن الأفطس إلى بغداد، قال: بلغني أنك تجمع الزيدية وتدعوهم إلى نفسك، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا من هذه الطبقة، أنا شاب نشأت بالمدينة أتصيد بالبزاة والبواشيق في الصحاري، ما هممت بغير ذلك قط.

قال هارون الرشيد: صدقت لكني أنزلك دارًا وأوكل بك رجلاً، ولا يحجب من يدخل عليك، وإن أردت أن تلعب بالطيور فافعل.

فقال هذا السيد: يا أمير المؤمنين نشدتك بالله في دمي، فوالله إن فعلت ذلك لذهب عقلي، فلم يقبل الرشيد ذلك وحبسه.

فأرسل المذكور إلى هارون الرشيد رقعة فيها كل كلام قبيح وكل شتم شنيع، فلما قرأها هارون طرحها، وقال: ضاق صدر هذا الفتى، فهو يتعرض لقتله، وما

(١) الحلف "بحياتي" تبدو سوقية، ولا تليق بمثل هارون الرشيد، ومن الشاهد على قول الرشيد "قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة، إن لم أقتلك". فهو مستبعد.

(٢) البيهقي، لباب الأنساب ج١: ٢٩، ٤٤.

يحملني فعله وقوله على قتله.

ثم دعى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وأمره أن يحوله إلى داره ويوسع عليه، ففعل جعفر ذلك، فلما كان يوم النيروز قدمه جعفر وضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع الهدايا.

فلما نظر الرشيد إلى الرأس اقشعر جلده وقال: ويحك لم فعلت هذا؟ فقال: لما كتب إلى أمير المؤمنين من الكلام القبيح، فقال: ويحك قتلك إياه بغير إذني أعظم من فعله، ثم أمره بغسله وتكفينه، وصلى عليه ودفنه في مقابر قريش.

بعد ذلك بأيام قلائل تغيّر عنده أحوال آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى، وقال لمسرور الخادم أن يقول له: يقول الرشيد أقتلك قصاصًا...

ويقول مسرور خادم الرشيد وسيافه: سمعت الرشيد يقول في الطواف اللهم إنك تعلم أن جعفر بن يحيى قد وجب عليه القتل، وأنا أستخيرك في قتله فخر لي. وعندما عاد هارون الرشيد إلى الأنبار بعث إلى جعفر بمسرور ليقتله[١].

ولا عجب أن يتردد الخليفة هارون بين تطبيق القصاص على جعفر وبين تجنب النتيجة المحتملة لتطبيق الحد بسبب نفوذ البرامكة، فيستخير الله، ثم يعزم على تنفيذ القصاص. ومن دهائه وحكمته يحتاط للنتائج التي قد يخلفها القصاص، بسبب النفوذ الأدبي والفعلي للبرامكة، في دولته، وفي الناس، فيحبس يحيى والفضل...، وينتهز الفرصة لاسترداد أموال الدولة منهم. ولم يكن الرشيد ليعبأ بالدعايات المضادة، إن لم يعلن عن السبب، فهو إنما يقوم بذلك خشية من رب العباد.

قصة جعفر والعباسة ومناقشتها:

تزوج العباسة محمد بن سليمان ابن علي فمات عنها، ثم تزوجها إبراهيم بن صالح بن المنصور فمات عنها، ثم تزوجها محمد بن على بن داود فمات عنها، ثم أراد أن يخطبها عيسى بن جعفر فتحاماها لأن أبا نواس قال فيها[٢]:

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم جزء ٩ صفحة ١٣٣.

(٢) الأصفهاني، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس) ج١: ١٩٩؛ ابن العمراني، الإنباء، تحقيق السامرائي ج١: ٢٦٩.

ألا قـــــــل لأمـــــــين الله وابـــــن القـــــادة الـــــساسه
إذا مـــــا ناكـــــث ســـــرك أن تفقـــــــــده رأســـــــــه
فـــــلا تقتلـــــه بالـــــسيف وزوجـــــــــه بعباســـــــــه

فالعباسة كانت ذات حظ سيئ للغاية، أو أن من تزوجتهم كان حظهم سيئا. ولكن القصة التي سجلها الطبري في تاريخه تدعي أن هارون الرشيد اكتشف قصة العباسة في العام الذي سبق قتل جعفر البرمكي عام ١٨٧هـ. وبهذا يتضح أن الطبري سجل هذه القصة بعد ما يقارب السبعين عاما. فلا عجب أن يعتمد الطبري على الحكايات الشعبية، سواء في إيراد القصة أو إيراد تفاصيلها، مثل قطع جثة جعفر إلى جزئين، مما لا يتسق وورع الخليفة هارون الرشيد.

ومما يلفت الانتباه أن السامرائي المحقق لكتاب الوزراء والكُتّاب ينقل رواية عن الجهشياريّ (توفي في ٣٣١هـ) بأن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سأل مسرورا الكبير في أيام المتوكل، وكان قد عمر إليها ومات فيها، عن سبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة. فقال: كأنك تريد ما تقوله العامة فيما ادعوه من أمر المرأة؟ فقلت: ما أردت غيره. فقال: "لا والله ما لشيء من هذا أصل ولكنه ملل موالينا وحسدهم"[(١)]. فالجهشياري المعاصر للطبري (توفي عام ٣١٠هـ) بدلا من إيراد القصة، يورد دليلا على تكذيبها. وهذا مع أنه كان يميل إلى مدح أعوان الخلفاء، ومنهم البرامكة، وذلك لطبيعة موضوع كتابه. فعنوان كتابه هو "تاريخ الوزراء والكُتّاب".

رواية الطبري لقصة العباسة:

يقول الطبري [(٢)] "حدثني أحمد بن زهير - أحسبه عن عمه زاهر بن حرب - أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء ج١: ٢٦٨؛ وانظر الجهشياري ص١٦٤.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، جمع الكرمي ج٢: ١٨٢١ - ١٨٢٢.

بنت المهدي. وكان يحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفرا قلة صبره عنه وعنها. وقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي. وتقدم إليه أن لا يمسها، ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل إلى وزوجته. فزوجها منه على ذلك. فكان يحضرهما مجلسه إذا **جلس للشرب**، ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما، **فيثملان من الشراب**، وهما شابان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحملت منه وولدت غلاما. فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك، فوجهت بالمولود مع حواضن له من مماليكها إلى مكة. فلم يزل الأمر مستور عن هارون، **حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر، فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد**، وأخبرته بمكانه، ومع من هو من جواريها، وما معه من الحلي الذي كانت زينته به أمه. فلما حج هارون هذه الحجة أرسل إلى الموضع الذي كانت الجارية أخبرته أن الصبي به من يأتيه بالصبي وبمن معه من حواضنه. فلما أحضروا سأل اللواتي معهن الصبي، فأخبرنه بمثل القصة التي أخبرته بها الرافعة على عباسة، فأراد - فيما زعم- قتل الصبي، تهوّب من ذلك.

ويضيف الطبري، كان جعفر يتخذ للرشيد طعاما كلما حج بعسفان، فيقربه إذا انصرف شاخصا من مكة إلى العراق، فلما كان في هذا العام (سنة ١٨٦هـ)، اتخذ الطعام جعفر كما كان يتخذه هنالك، ثم استزاره فاعتل عليه الرشيد، ولم يحضر طعامه، ولم يزل جعفر معه حتى نزل منزله من الأنبار، فكان من أمره وأمر أبيه.

رواية المسعودي لقصة العباسة:

وأما المسعودي فبنزعته الشيعية، والحقد على الدولة العباسية، يستغل القصة لمدح جعفر والرفع من شأنه، في مقابل الحط من قدر الرشيد والعباسة، فيقول: "ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر بن يحيى بن خالد بن برْمَك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك، وتناهوا إليه من الرياسة، واستقامت لهم، الأمور، حتى قيل: أن أيامهم عرُوسٌ وسرور دائم لا يزول،

"قال الرشيد لجعفر بن يحيى: ويْحك يا جعفر إنه ليس في الأرض طلعة أنا بها آنس، ولا إليها أميل، وأنا بها أشد استمتاعًا وأنسًا مني برؤيتك وأن للعباسة أختي مني موقعًا ليس بدون ذلك، وقد نظرت في أمري معكما، فوجدتني لا أصبر عنك ولا عنها، ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها، وكذاك حكمي منك في يوم كوني معك دونها، وقد رأيت شيئًا يجتمع لي به السرور، وتتكاثف لي به اللذة والأنس، فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد في أمورك كلها قال الرشيد: قد زوجتكما تزويجًا تملك به مجالستها والنظرَ إليها والاجتماع بها في مجلس أنا معكما فيه لا سوى ذلك. فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر إليه في ذلك، وأشهد له منْ حضره من خدمه وخاصة مواليه. وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ أيمانه أنه لا يخلو بها، ولا يجلس معها، ولا يظله وأياها سَقفُ بيتٍ إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما. فحلف له جعفر على ذلك، ورضي به، وألزمه نفسه. وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها وجعفر في ذلك صارف بصره عنها، مزورٌّ بوجهه هيبة لأمير المؤمنين، ووفاء بعهده وأيمانه ومواثيقه على ما وافقه الرشيد عليه وعَلقَتْه العباسة، وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت إليه رقعة، فردَ رسولها وشتمه وتهدده، وعادت فعاد لمثل ذلك، فلما استحكم اليأس عليها قصدت لأمه، ولم تكن بالحازمة، فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطاف، وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطاف الملوك، حتى إذا ظنّت أنها لها في الطاعة كالأمةِ، وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة، ألقت إليها طرَفاً من الأمر الذي تريده، وأعلمتها ما لها في ذلك من حميد العاقبة، وما لابنها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين. وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته، فاستجابت لها أم جعفر، ووعدتها بأعمال الحيلة في ذلك، وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما. فأقبلت على جعفر يومًا فقالت له: يا بني، قد وصفت لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت من الأدب والمعرفة والظرفِ والحلاوة مع الجمال الرائع والقدِّ البارع والخصال المحمودة ما لم يرَ مثله، وقد عزمت على اشترائها لك، وقد قرب الأمر بيني وبين مالكها،

فاستقبل جعفر كلامها بالقبول، وعلقت بذلك قلبه، وتطلعت إليها نفسه، وجعلت تمطله، حتى اشتد شوقه، وقويت شهوته. وهو في ذلك يلح عليها بالتحريك والاقتضاء، فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له: أنا مُهدِيتها إليك ليلة كذا وكذا.

وبعثتْ إلى العباسة فأعلمتها بذلك، فتأهبَتْ بمثل ما تتأهب به مثلها وسارت إليها في تلك الليلة، وانصرف جعفر في تلك الليلة من عند الرشيد، وقد بقيَ في نفسه من الشراب فضلة لما قد عزم عليه، فدخل منزله، وسأل عن الجارية، فأُخبر بمكانها، فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالمًا، ولا على خلْقها واقفًا، فقام إليها فواقعها. فلما قضى حاجته منها قالت له: كيف رأيت حيل بنات الملوك؟ قال: وأي بنات الملوك تعنين؟ وهو يرى أنها منِ بعض بنات الروم. فقالت له: أنا مولاتك العباسة بنت المهدي. فوثب فزعًا قد زال عنه سكره ورجع إليه عقله، فأقبل على أمه وقال: لقد بغْتِنِي بالثمن الرخيص، وحملتني على المركب الوَعرِ، فانظري ما يؤول إليه حالي. وانصرفت العباسة مشتملة منه على حَملٍ، ثم ولدت غلامًا، فوكلت به خادمًا من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة، فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجّهت الصبيَّ والخادم والحاضنة إلى مكة، وأمرتهما بتربيته. وطالت مدة جعفر، وغلب هو وأبوه وأخوته على أمر المملكة، وكانت زبيدةُ أم جعفر زوجُ الرشيد من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها، وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم، فشكت زبيدة إلى الرشيد. فقال ليحيى بن خالد: يا أبت، ما بال أم جعفر تشكوك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمتّهم أنا في حرمك وتدبير قصرك عندك، فقال: لا والله، لا تقبل قولها، قال الرشيد: فلست أعاودك، فازداد يحيى لها منعًا، وعليها في ذلك غلْظَة، وكان يأمر بقَفل أبواب الحرم بالليل، ويمضي بالمفاتيح إلى منزله. فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ، فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت: يا أمير المؤمنين، ما يحمل يحيى على ما لا يزال يفعله من منعه إياي من خدمي ووضعه إياي في غير موضعي، فقال لها الرشيد: يحيى عندي غير متهم في حرمي، فقالت: إن كان كذلك لحفظ

ابنه مما ارتكبه، فقال: وما ذاك؟ فخبرَته بالخبر وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر، فسقط في يده، وقال لها: هل لك على ذلك من دليل أو شاهد؟ قالت: وأي دليل أدل من الولد؟ قال: وأين الولد؟ قالت: قد كان ههنا، فلما خافت ظهور أمره وجَّهته إلى مكة، فقال لها: أفيعلم هذا أحد غيرك؟ قالت: ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به، فأمسكَ عن ذلك، وطوَى عليه كشْحًا، **وأظهر** أنه يريد الحج. فخرج هو وجعفر بن يحيى، وكتبت العباسة إلى الخادم والحاضنة أن يخرجا بالصبي إلى اليمن[١].

ومن ظريف التأليف والتلفيق خروج قوم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي من ذرية الولد الذي جاء من العباسة اخت الرشيد[٢].

وهناك ملاحظات وتساؤلات على القصة، تؤكد في مجموعها أنها قصة اختلقها حكواتي يقوم بوظيفة التسلية في المقاهي[٣]، سجلها الطبري في تاريخه. ثم استغلها بعض الحاقدين على الدولة العباسية، مثل المسعودي، وشحنها بالتحيز الشيعي المتطرف وبالعنصرية الفارسية، ورددها، عن غفلة، كثير من المؤرخين المسلمين. ومن التساؤلات التي تثيرها القصة:

أولا- هل كانت زبيدة التي ترفض تسلط يحيى البرمكي عليها غافلة عن القصة التي لا تخبر بها الخليفة إلا بعد سنوات، ولا سيما أن رواية المسعودي تقول بأنها قالت "ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به؟"؛ وهل هي مغفلة لهذه الدرجة، حيث لم تثر الموضوع من قبلُ والصراع المبطن بينها وبين البرامكة الثلاث موجودة، منذ أن أصبح زوجها الخليفة، وذلك إضافة إلى تسلط يحيى عليها بإصرار؟

ثانيا- هل كان الرشيد مغفلا وجاهلا ليبرر بعقد نكاح صوري الاجتماع المحرم بين أخته التي يغير عليها ويحترمها بأجنبي؟ ولا سيما أن جلسة اللذة والأنس في القصة هي جلسة معاقرة لأم الخبائث؟

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ج٢: ١٥ - ١٨.

(٢) ابن كثير، البداية ج١٤: ١٧٢.

(٣) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق السامرائي ج١ ٢٨٥.

ثالثا- هل يمكن أن يخفى على الخليفة **حمل** أخته وهو - حسب القصة - لا يصبر من مسامرتها؟

رابعا- ما هي درجة احتمال افتقاد هارون الرشيد للغيرة الفطرية، والعقلية والدينية، حتى يجمع أخته الشريفة العربية العباسة بجعفر، في مجلس شراب، وقد يتركهما فاقدي الوعي ثملان، حسب رواية الطبري؟

خامسا- هل يرضى أي إنسان طبيعي، أن يوصم بهذه الصفة؟ وهل يجيز كبار العلماء تسخير عقد النكاح الصوري لإباحة الجلسات المشحونة بالمحرمات؟

سادسا- ينقل الأباصيري عن الجومرد تساؤله: كيف يصح القول بأن الرشيد كان لا يصبر عن مجالسة أخته العباسة بحضور رجل غريب عنها، وإن أصبح زوجها؟! هذا مع الرشيد كان من أشد الناس غيرة على نساء أسرته. وكان يغضب إذا سمع جارية من جواري أخته "عَلِيَّة" تُغني بشيء من شعرها أمام أحد من الناس. وكان الأصمعي يضع - كمه على رأس "مواسة" "بنت الرشيد وهي طفلة صغيرة، ويُقَبِّل كمه؛ خوفًا من غَيْرة أبيها وبطشه.

وأخيرا- ولعله السؤال الذي يحسم الأمر في القصة هو: إذا علمنا بأن العباسة توفيت عام ١٨٢هـ؛ بل، هناك ما يشير إلى أنها ماتت قبل هذا التاريخ، وذلك لأن هارون الرشيد، تكريما لأحد قضاته من أهل العلم، صلى عليه، ودفنه في مقبرة العباسة بنت المهدي عام ١٧٨هـ[(١)]. وإذا تأكد لنا بأن الوشاية وقعت عام ١٨٦هـ، حسب رواية الطبري والمسعودي، **فإن سؤالين كبيرين يبرزان**[(٢)]:

الأول- ما هو احتمال حصول خصومة بين ميتة منذ أربع سنوات أو أكثر وبعض الأحياء؟ فرواية الطبري تقول: بأن القصة بقيت مخفية عن الخليفة "حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر، فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد"؟

(١) بن سعد، الطبقات ج١: ٤٦٤ - ٤٦٥؛ البغدادي، تاريخ ج١٠: ٤٠٨؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٩: ٣٧.

(٢) ابن خلكان، الوافي بالوفيات ج١٦: ٣٨٣، السامرائي المعلق على الإنباء لابن العمراني.

الثاني- ما هو احتمال أن تأمر العباسة، الميتة قبل أربع سنوات أو أكثر، أحد الأحياء ليأخذ الصبي المزعوم من مكة إلى اليمن، عندما علم هارون الرشيد بالقصة وأراد الذهاب إلى مكة للحج ليتأكد- حسب رواية المسعودي؟

تمارين هارون الرشيد والبرامكة:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية رد الخبر إلى الله ورسوله والمختصين في كل مجال. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٢- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية إقرار المعني بالأمر. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٣- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية السمة البارزة. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٤- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الإحاطة بظروف الحادثة وتطوراتها. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٥- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٦- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الحذر من رواية المحب والمبغض. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٧- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية تناقض الراوي أو تلونه. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

الفصل التاسع

١١ سبتمبر والإمبراطوريات المالية

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأصحابه البررة الميامين... لقد كتب الكثير عن حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ولا يزالون يكتبون، وذلك لأن التقارير الرسمية للحكومة الأمريكية يكتنفها الغموض وتفوح منها رائحة الأساطير وخرافات القرنين العشرين والواحد والعشرين. ولهذا لا يستبعد البعض الذين تأملوا فيما جرى في الواقع وخلفياته الاقتصادية والسياسية، أن الحادثة تعكس جشع الأباطرة الماليين ومؤامراتهم القذرة التي ترجح فيها كفة مصالحهم الخاصة على مصالح الأوطان والمواطنين.

لمشكلة الدراسة، والجهود السابقة، وللمنهج يرجع إلى الفصل الرابع.

نتيجة الدراسة:

لو تأملنا أحداث ١١ سبتمبر من حيث مصداقية أحداثها والقصص التي شاعت حولها، ونشرتها وسائل الإعلام، سنجد أنها تتكون من أجزاء واقعية قابلة للإدراك بالحس، وبالصور التي تعكس الواقع (المتفق عليه)، وأجزاء تخضع للتأليف وللتلفيق وللتحوير.

المتفق عليه:

هناك أجزاء يمكن للمشاهد الخارجي أو للإنسان العادي التأكد منها، مثل:

اشتعال النار في الأدوار العلوية من البرج الشمالي، واصطدام طائرة بالبرج الجنوبي، واندلاع النار في البرجين كما هو واضح في الشكل (١).

سقوط البرجين التوأمين في المركز التجاري، إلى الأرض بعد اشتعال النار في الشمالي مدة أقل من ساعتين، والبرج الجنوبي أقل من ساعة. ومساحة كل واحد حوالي ٧٥ متر في ٧٥ متر، وارتفاع كل واحد ٤١٥، ٤١٧متر ارتفاع، ويتألف كل منهما من ١١٠ دور. الشكل (٢).

الشكل (١)

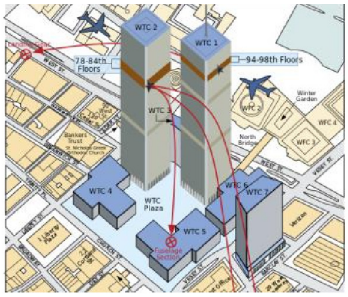

الشكل (٢)

سقوط البرج رقم ٧ في المركز التجاري وارتفاعه ٤٧ دور، دون أن تصطدم به طائرة، أو تسقط عليه كتلة ظاهرة من حطام البرج القريب منها، وانظر الجدول (١).

هدف التدمير	الرحلة المزعومة	وقت الاصطدام	عدد الأدوار	وقت الانهيار	ملاحظات
البرج ١	AA ١١	٨:٤٦	١١٠	١٠:٢٨am	لا صورة لأي طائرة
البرج ٢	UA١٧٥	٩:٠٣	١١٠	٩:٥٩ am	صورة طائرة تصطدم
البرج ٧	بدون	بدون	٤٧	٥:٢١ pm	فجأة بدون سبب ظاهر

الجدول (١)

التفسيرات والقصص المساندة:

تدرجت تفسيرات حكومة بوش والقصص المساندة لها بين القصة الكبيرة،

والقصة الصغيرة. وكان من القصص الكبيرة دعوى اختطاف ١٩ إرهابيا من أفراد "القاعدة" التي يرأسها أسامة بن لادن، أربع طائرات مدنية. هاجمت اثنتان منها البرجين ١، ٢؛ وثالثة هاجمت الدور الأرضي والعلوي في الجناح الخلفي من مبنى وزارة الدفاع الأمريكية، والتي كانت تحت الترميم. ومن القصص الكبيرة طائرة البوينق لخطوط اليونايتد رحلة ٩٣ التي قالت التصريحات الرسمية بأنها فشلت في التوجه إلى البيت الأبيض، فسقطت في منطقة خالية في ولاية بنسيلفانيا.

الهجوم على البنتاغون[1]:

أعلنت وزارة الدفاع بأن مبنى البنتاقون تعرض للهجوم بواسطة طائرة بوينق تابعة للخطوط الأمريكية رحلة ٧٧. وقد تم استبعاد الصحفيين عن الموقع فلم يمكن التقاط إلا صورة دخان يرتفع من الواجهة الخلفية للمبنى أو الحديقة الخلفية للمبنى.

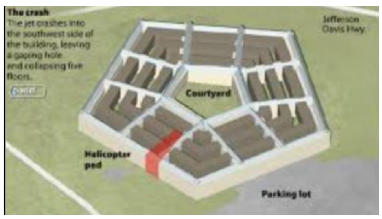

الشكل (٣)

الشكل (٤)

وكشفت حكومة بوش، بعد أكثر من ثلاث سنوات من الحادثة ٢٠٠٤، تفاصيل مصورة للحادثة، بناء على طلب لجنة التحقيق. ومن هذه التفاصيل أن الهجوم على مبنى البنتاقون (مبنى وزارة الدفاع الأمريكية) أدى إلى إحداث فتحة في الجدار الجنوبي لمبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاقون)، الذي هو تحت الترميم في الدور الأرضي والأول. ويقترب حجم الفتحة من حجم مقدمة الطائرة، دون الأجنحة. ثم

(1) 9/11 Pentagon Footage Conspiracy Documentary; 911 Case Study: Pentagon Flight 77 Mike Wilson; 11 Facts About 9/11 | DoSomething.org | Volunteer for …

صورة ظهرت فيها الأدوار الثلاث أعلاها منهارة، حسب قصة المسؤولين في الدفاع. انظر الشكل (٥، ٦).

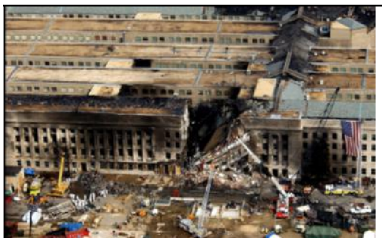

الشكل (٦)

الشكل (٥)

وحسب الوصف الحكومي للهجوم على مبنى وزارة الدفاع الأمريكي كانت الطائرة قادمة من جهة البيت الأبيض، واستطاع الطيار أن يتجه بها إلى مبنى البنتاجون.

وتضاربت الأخبار الرسمية، إذ قالت، في الأول، أن مروحية اصطدمت بالمبنى، ثم تغيرت إلى طائرة بوينق. وهي روايات لم يسمح للصحفيين التأكد منها، ثم جاء الإعلان بأن طائرة ركاب مدنية اختطفها أعضاء من القاعدة، وهي الرحلة ٧٧ للخطوط الأمريكية، تربط بين دلاس ولوس أنجلس.

أفاد المحللون، عقب الأحداث فورا، بأن التحليل يفند دعوى وزارة الدفاع الأمريكية بأن طائرة شنت هجوما بالرحلة ٧٧ على مبنى وزارة الدفاع، لأسباب:

١- ليست هناك صور فورية غير الحريق المندلع فقد منعت وزارة الدفاع وسائل الإعلام من الاقتراب من الموقع. ولم تظهر وزارة الدفاع الصور المقربة إلا عام ٢٠٠٤، بناء على طلب لجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر.

٢- تقول حكومة بوش بأن الطائرة تجاوزت مبنى البنتاجون، ثم دارت راجعة بزاوية ٢٧٢ درجة ونزل رأسيًا وبسرعة تقترب من خمسمائة كيلومتر في الساعة، من ارتفاع شاهق حتى قارب مستوى الأرض، وهاجم الجناح الخالي من المكاتب والذي كان تحت الصيانة، وهكذا لم يخسر البنتاجون سوى عسكري واحد. ويؤكد خبراء الطيران استحالة هذه العملية.

٣- تفترض الصور التي قدمتها وزارة الدفاع للجنة التحقيق في حادثة ١١ سبتمبر أن الطائرة قد تزحلقت فوق المنطقة المزروعة، والمنطقة المرصوفة بالإسمنت، على بطنها بمحركاتها الضخمة التي من المفروض أن تترك آثارا واضحة قبل اصطدام الطائرة بالدور الأرضي والثاني لتحدث الفتحة في الصورة التي قدمتها الوزارة بعد ثلاث سنوات. وبالتحقق من الصور الفورية بعد التقريب، لم يثبت وجود آثار لهذا الانزلاق. ولا آثار لتحطم أعمدة الإضاءة أو المباني الموجودة أمام المنطقة التي يصعد منها الدخان. انظر الشكل (رقم ٤).

٤- الفتحة المصورة في الجدار لا تكفي سوى لدخول الجزء الأمامي للطائرة، فأين الأجنحة المهشمة أو قطعها؟ وأين بقية جسم الطائرة ومحركاتها الضخمة؟ لم يظهر شيء من ذلك، سواء في الصور الفورية عام ٢٠٠١ من بعيد، أو صور وزارة الدفاع التي ظهرت عام ٢٠٠٤.

٥- الصور المقربة لجدار مبنى وزارة الدفاع لم تظهر إلا بعد أربع سنوات كافية لصناعة الصور التي قدمتها.

٦- لم يرد في تقرير لجنة التحقيق في حادثة ١١ سبتمبر ما يثبت حدوث اصطدام طائرة بمبنى وزارة الدفاع. بل بالعكس أثبت التحقيق عدم حصوله بالسكوت عن غموضها.

٧- تصريح بعض المسؤولين تعارضه شهادات كثيرين يعيشون ويعملون في المنطقة المجاورة، بل، ثبت سماع صوت انفجار اندلعت نار على إثره. فمثلا أكدت قالوب، موظفة في وزارة الدفاع، وآخرون بأن متفجرات تمت زراعتها في مبنى وزارة الدفاع، وليست هناك أدلة يوثق بها تؤيد القول بأن طائرة هاجمت المبنى[1].

٨- ليست هناك قطع لجسم الطائرة ومحركاتها الضخمة، أو آثار لأعمدة المنطقة المدعى انهيارها أو للكتلات الإسمنتية. فهل تبخرت الأعمدة الصلب

(1) www.nctimes.com/news/opinion/letters/article_ce278287-5ad6-5ee5-820b-a7a69402bce5.html; http://www.ae911truth.org

وأصبحت الأجسام الإسمنتية مسحوقا؟ وأكد مدير هندسة الفضاء، في NASA بخبرة ٣٧ عاما بأن الآثار الموجودة تؤكد استخدام متفجرات[1].

قصة الطائرة الرابعة:

حسب تصريحات حكومة بوش سقطت هذه الطائرة في حقول زراعية في ولاية بنسيلفانيا. وكان هدف الخاطفين إسقاطها على مبنى البيت الأبيض في واشنطن، ولكن مقاومة الركاب حالت دون بلوغ هدفهم واجبر الخاطفون على إسقاطها، في منطقة زراعية في ولاية بنسلفانيا.

ويتساءل أحد الصحفيين حول الطائرة الرابعة المعلن عن اختطافها: لماذا تم إسكات جميع المسؤولين الذين لهم علاقة بالرحلة ٩٣ لخطوط يونايتد UA التي قيل أنها تحطمت في بنسلفانيا؟ ولماذا انتشرت بعض الخردوات التي لا تدل على أنها حطام الطائرة على مسافة أميال، في الوقت الذي كان يفترض أن تسقط قطعة واحدة في حقل؟

ويحق له أن يتساءل، فقد ذهب بعض الصحفيين والمصورين إلى المنطقة عقيب الإعلان عن الخبر، فلم يجدوا شيئا، وكانت المنطقة هادئة - حسب وصف الصحفي.

قصة انهيار الأبراج الثلاثة:

كما رأينا سابقا قامت الكاميرات بتسجيل بعض أجزاء الحادثة التي شاهدها البعض عن بعد، أو عن قرب، مثل حطام الأبراج الثلاثة. وهناك أجزاء هي من رواية الأجهزة الرسمية، يصعب التحقق من مصداقيتها بالنسبة لمعظم الناس وحتى بالنسبة لكثير من المختصين ورجال الإعلام. وهي الأجزاء التي اختلفت فيها حتى الروايات الرسمية، ونتائج تحليل الجهات المعارضة أو المكذبة لها.

فالرواية الرسمية التي نشرتها الحكومة الأمريكية وحاولت جاهدة في إثبات

(1) http://www.ae911truth.org

صحتها بشتى الطرق، تقول بأن بعض المسلمين تحت إشراف أسامة بن لادن هم الذين خططوا لحادثة ١١ سبتمبر، وقاموا بتنفيذها، وأنهم اختطفوا أربع طائرات ركاب من نوع البوينق ٧٦٧. ودعموا هذه الدعوى بقصص ثانوية بعضها عند التأمل تثير السخرية. ومع هذا، فقد كانت الرواية الأكثر شعبية حتى بين المسلمين المتهمين بالحادثة؛ فهي التي تناقلتها وسائل الإعلام المحلية والعالمية باعتبارها حقائق مؤكدة.

وهذا الجزء المؤلف من القصص المساندة والافتراضات أو التبريرات تحتمل الخلق والابتكار والتشويه في تفسير الأجزاء الثابتة لصالح أصحاب المصالح الشخصية. وهي من جهة أخرى، يجب أن تخضع للاختبار والفحص للتأكد من مصداقيتها أو لاكتشاف الحقائق التي تحاول الأطراف الأولى إخفاءها والتمويه عليها. فقد تكون مؤامرات قذرة، لتحقيق مصالح شخصية على حساب المصلحة العامة في الدولة نفسها أو لابتزاز الدول والشعوب الأخرى.

فهناك - على الأقل - روايتان متعارضتان حول حقيقة ما وقع وحول مدبري أحداث ١١ سبتمبر ومنفذيها والمستفيدين منها. وكل رواية تحاول استقطاب وسائل الإعلام للترويج لها ونشرها لكسب الأنصار.

وهنا تظهر خطورة وسائل الإعلام ولا سيما ما تبثه من "أخبار" عن أحداث واقعية أو وهمية مُختلَقة. فهي لا تقف عند حد إفساد العلاقة بين المنتمين إلى الحضارات المختلفة، ولكن تتجاوزها إلى جعل أصحاب الحضارة المُتّهمة أنفسهم ينقسمون إلى فرق متعارضة. فقد انقسم المسلمون، مثلا بالنسبة للمخططين والمنفذين إلى ثلاث فرق:

أ- فرقة ترفض الرواية الأمريكية الرسمية والتهمة وهم قلة نادرة.

ب- فرقة هي الأغلبية فيما يبدو، وينقسمون إلى قسمين:

١- قسم يعترف وباعتزاز؛ ويحاول تفسير بعض الأحداث بطريقة تؤكد التهمة، وقد يختلق قصصا لدعم وجهة نظره والرواية الأمريكية الرسمية.

٢- قسم يعترف بتخاذل. وقد يقترح على المسلمين تقديم اعتذار إلى الحكومة الأمريكية أو إلى الشعب الأمريكي عن تلك الحادثة التي يرون أنها حادثة فظيعة، متناسين فظاعة ما يجري في فلسطين وما جرى في أفغانستان وما يجري اليوم في العراق.

قصة المختطفين لأربع طائرات:

عقب اصطدام طائرتين بالبرج الأول والثاني أعلنت السلطات الأمريكية، عن اختطاف أربع طائرات.

ويفيد الحصين أنه لم تمض ثلاثون ساعة على الحادث إلا وكانت الصور الكاملة للأخوين أمير وعدنان بخاري، الطياران السعوديان، تملأ شاشات التلفزيونات في الولايات المتحدة وفي العالم. ويتكرر عرضها بإلحاح يوم الأربعاء التالي ليوم الحادث، وعرف العالم كله أن الإدارة الأمريكية تمكنت من التعرف على هوية اثنين من الطيارين الانتحاريين.

وبعد فترة قصيرة من الحادث نشرت **الإدارة الأمريكية** صورا لتسعة عشر شخصا مسلمًا، قيل أنهم هم المتهمون باختطاف الطائرات الأربع. ونشرت حكومة بوش هوياتهم، في الصحف وعلى حوائط المباني العامة وعلى جدران المطارات العالمية. وقالت بأن من بينهم أحد عشر سعوديا، وأن أربعة منهم طيارون. وكان من ضمن الروايات المتعددة للسلطات الحكومية والتي توقفت عن ترديدها فيما بعد أن المختطفين التسعة عشر توزعوا الطائرات الأربع المختطفة، وقادها أربعة منهم. ولكن ورد تصريح من مدير معهد للتدريب على أن تدريبهم لم يكن كافيا للإقلاع بطائرة التدريب الصغيرة، وذلك لأن مستوى معرفتهم باللغة الإنجليزية كان ضعيفا. وكانوا يعبرون عن عدم حاجتهم للتدريب على الإقلاع والهبوط، وإنما التدريب على قيادة الطائرة وتوجيهها في الجو، وظلت هذه المعلومة تتكرر مدة طويلة حتى

نفاها المسؤولون عن معهد التدريب في النهاية[١].

وورد في تقرير اللجنة التي حققت في حادثة ١١ سبتمبر أن تسعة من الخاطفين عرفهم الحاسوب أثناء التفتيش على أنهم مشتبهون، قبل صعودهم للطائرات وخضعت حقائب بعضهم للكشف عن المتفجرات لكن لم يظهر شيء، فيما كان حمل السكاكين والأمواس متاحا حينذاك. وهي كذبة مكشوفة فقد تم تطبيقها في مقص صغير حوالي عام ١٩٩٤، كلفت صاحبها، حينها، خمس دولارات؛ فهي حادثة لم يستطع نسيانها. فالرواية الأمريكية الرسمية تقول بأن المختطفين استخدموا السكاكين، ماركة محددة مصنوعة في أفغانستان، بدلا من الأسلحة والمتفجرات! ومن القصص التي روجتها التصريحات الرسمية، العثور على جوازات سفر ورخص سواقة للمختطفين بين حطام البرجين. ومن القصص المساندة قصة العثور على جثة مضيفة مقيدة، وأن بعض الركاب استطاعوا الاتصال بمن في الأرض ليخبروا عن استخدام المختطفين للسكاكين للاستيلاء على الطيارة، وللتخلص ممن يقاوم. بل سمع المراقبون في الأرض أحدا يهدد الطيار بلكنة عربية. وتقول المصادر الرسمية بأن مصدر هذه المعلومات هي مكالمتان أجرتهما مضيفتان، ومكالمة أحد الركاب الذي أفادا بأن الاستيلاء على الطائرة تم بالسكاكين[٢].

وبصرف النظر عن المعلومات التفصيلية التي قدمتها حكومة بوش عن المختطفين، فإن بعض الحقائق الثابتة عن المتهمين تنسف الكذبة كلها، ومنها[٣]:

أولا- لم تمض ثلاثون ساعة على الحادث إلا وكانت الصور الكاملة للأخوين أمير وعدنان بخاري، الطيارين السعوديين، تملأ شاشات التلفزيونات في الولايات المتحدة وفي العالم، باعتبارهما من الطيارين الذي انتحروا في حادثة الاصطدام

(١) الحصين؛ خاطفو الطائرات في ١١ سبتمبر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة - **https://ar.wikipedia.org/wiki/**

(٢) الفلم الوثائق الشامل حول المؤامرة الحكومية ؛ **ميسان ص١٣؛ فيسك وسبتمبر.**

(٣) الحصين؛ Los Angles Time.

بالبرجين. ويبدو أن التهمة كانت مبنية على معلومات خاطئة، فأحد الأخوين لا يزال على قيد الحياة، والآخر مات قبل أكثر من عام في وطنه مسالما، ولكنه حسب تصريح الحكومة الأمريكية، مات مرة أخرى إرهابيا في نيويورك.

ثانيا- عندما اكتشفت الاستخبارات الأمريكية أن الطيار عدنان بخاري حيّا ترصّدته في مطار مانيلا، قائدا لرحلة الخطوط السعودية ٧٨٠ القادمة من جدة. وألقت عليه القبض وحجزته لأيام حتى ينسى الناس الخبر الكاذب الذي نشرته الحكومة الأمريكية.

ثالثا- نشرت صحيفة "لوس أنجلس تايمز" خبرا يفيد بإلقاء القبض على ما يزيد عن المائة جاسوس إسرائيلي، كان بعضهم في مواقع قريبة من مواقع بعض المسلمين المتهمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة خلال فترة الحادثة. ويظهر أن مهمتهم كانت تتمثل في جمع المعلومات اللازمة لتلبيسهم التهمة. ويبدو أن المعلومات التي جمعوها عن المتهمين كانت ناقصة أو مغلوطة. فقد صرح وزير الداخلية في المملكة العربية السعودية أنه حتى وقت التصريح ظهر أن سبعة من المتهمين "الانتحاريين"، منهم الطيارين الأربعة، لا يزالون على قيد الحياة. وبعد صدور هذا التصريح بيومين نشرت الصحف السعودية إعلانا عن شخص ثامن من المشمولين في القائمة. وهذا يعني أن سبعة أو ثمانية من التسعة عشر كانوا أحياء بعد الحادثة، كما في الجدول (٢) **فهل بُعثوا من جديد؟ أم أن وقاحة الحكومة الحريصة على تصدير الديموقراطية، المتمثلة في حكومة بوش، قد تجاوزت حدودها؟**

١. سالم الحازمي	حيّ وعمره ٢٦ سنة، ولم يسبق له الذهاب إلى أمريكا، يعمل في مصنع حكومي للمواد الكيماوية في مدينة ينبع في السعودية.
٢. عبد العزيز العمري	حيّ يُرزق، مهندس كهربائي يعمل في السعودية. قال بأنّه كان يدرس في دِنفِر بولاية كلورادو في منتصف التسعينات.

٣. ماجد موقد	حيّ يُرزق
٤. نواف الحازمي	حيّ يُرزق
٥. هاني حنجور	حيّ يُرزق، وحاول التدرب على الطيران، ولكنه فشل.
٦. وليد الشهري	حيّ يُرزق، يعيش في المغرب
٧. خالد المحضار	حيّ يُرزق، حاول التدرب على الطيران، ولكن فشل لضعف إنقليزيته.
٨. محمد عطا	يقول والده بأنه اتصل به بعد أحداث ١١ سبتمبر

رابعا- قصة جواز السفر ورخص السواقة والبطاقات الشخصية التي بقيت سليمة ومقروءة، مع احتراق الطائرة كلها ومن فيها وانهيار الأبراج ذات المائة وعشرة طابقا قصة تستحق القهقهة عاليا. فمن صنعها يستحق جائزة نوبل في صناعة النكت. وكذلك الأمر بالنسبة لقصة جثة المضيفة التي عثروا عليها مقيدة بين ركام البرجين.

خامسا- قصة التدريب على الطيران. لقد قيل أن أربعة من المتهمين قد التحقوا بمعهد تدريب للطيران، ولكن مستوى معرفتهم باللغة الإنجليزية وتدربيهم لم يرتق بهم إلى إمكانية الإقلاع بطائرة التدريب الصغيرة، كما صرح بذلك مدير معهد الطيران. وتكررت المعلومة بأن هؤلاء المتدربين كانوا يعبرون عن عدم حاجتهم للتدريب على الإقلاع والهبوط، وإنما التدريب على قيادة الطائرة وتوجيهها في الجو، ثم تم نفيها فيما بعد.

تصريحات أسامة الموثقة:

في الوقت الذي تتهم حكومة بوش أسامة بالتسبب في انهيار الأبراج الثلاثة، يجزم أسامة بن لادن بأنه لم يسهم إلا بالتحريض على الجهاد ضد أمريكا، كما ورد في مقابلة له مع صحيفة الأمة. وعندما طالبت أمريكا حكومة أفغانستان بتسليمه لها،

طلبت الحكومة الأفغانية دليلا يدينه، فعجزت الحكومة الأمريكية عن تقديم الدليل[١].

فعندما سأله مراسل صحيفة الأمة الباكستانية: لقد اتهمت بتورطك في هجمات نيويورك وواشنطن. ماذا تريد أن تقول حول هذا؟ وإذا لم تكن أنت فمن عساه يكون؟ فكانت إجابة بن لادن: "لقد قلت سابقا إني لست متورطا في هجمات ١١ ايلول في الولايات المتحدة . بصفتي مسلما أحاول جهدي أن أتجنب الكذب. لا علم لي بتلك الهجمات ولا أعتبر قتل النساء والأطفال والبشر الأبرياء الآخرين عملا مقبولا. إن الإسلام يحرم بشدة إيذاء النساء والأطفال والبشر الآخرين الأبرياء مثل هذا الفعل محرم حتى أثناء الحرب".

ومن يستعرض الأشرطة التي تسجل لقاءاته الأخرى بالعربية أو مقتطفات مترجمة إلى الإنقليزية، مثلا، أو تصريحاته الموثقة، لا يجد ما يشير إلى أي اعتراف بأنه المسؤول عن الحادثة. وفي الوقت نفسه، كان لا يكف عن التأكيد بأنه مستمر في التحريض على جهاد أمريكا، لمساندتها إسرائيل التي تقتل الأبرياء في فلسطين: شيوخهم ونساءهم وأطفالهم، ولما تمارسه قواتها من غزو لبلاد المسلمين. بيد أن تصريحاته المتأخرة، تعكس وقوعه شخصيا في مصيدة تهمة حكومة بوش المفصلة على تسعة عشر شخصا. فكان يشيد بالمتهمين ويثني عليهم، ويرجو أن يكونوا من الشهداء عند الله. ويبدو أن الأخبار لم تبلغه بأن بعض المتهمين أحياء يرزقون، وأن ما يشيد به ليس إلا كذبة من أكاذيب حكومة بوش[٢]. وللحقيقة، حتى هذه الإشادات والإيمان بأنها إنجاز عظيم لجند الله، لم تتضمن أي نوع من الاعتراف بمسؤوليته عنها.

وأما الشريط الذي وصل إلى تلفزيون الجزيرة، باعتباره من بن لادن، ويتضمن نوعا من الاعتراف فيكذب كل تصريحاته السابقة، وإن بذل بلير وبوش جهودا

(١) دغيدي، محمد، لقاء صحيفة الأمة الصحيفة الباكستانية، في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١؛ ويكيبديا، نظريات مؤامرة.

(٢) وانظر: ABC John Miller interview.

متفرقة لإثبات التهمة، بالإشارة إلى شريط موهوم موجود في حوزتهم. وقد شكك الكثيرفي مصداقيته، عقب الصحوة من المفاجأة الأولى، ويلاحظ العاقل أن الصناعة واضحة في الشريط، لأسباب:

١- تفتقد الصورة في الشريط إلى الدقة المتوقعة - حتى في الكاميرات الرديئة.

٢- وقوف صاحب الصورة خلف منصة الخطابات الرسمية في الحضارة الغربية يتعارض مع ما هو معروف عن أسامة بن لادن، حيث يظهر دائما، حتى في لقاءاته المصورة، مفترشا الأرض.

٣- ما ورد في هذا الشريط يصور بن لادن وكأنه لا يتوانى عن الكذب، وهو احتمال بعيد على من ضحى براحته وبثروته، و... لكسب رضاء الله. وذلك بصرف النظر عن خطأ فهمه لأصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وخطئه في تقدير الواقع. وعند مقارنة احتمال كذبه باحتمال كذب حكومة بوش، لا يشك عاقل بأن كذب الأخير أكثر احتمالا. فهي واحدة من سلسلة الأكاذيب التي تواكبت مع أحداث ١١ سبتمبر[1].

رسالة عطا أو وصيته:

من يتفحص ما يسمى بوصية محمد عطا، يشك هل الرسالة هي درس وعظ مطول، يستغرق أكثر من نصف ساعة؟ أم توصية لمن سيعيشون عمرا طويلا (المحافظة على الصلوات وعلى الصيام)؟ أو وصية محددة الأهداف للأحياء عقب موت الموصي، لمجموعة من الانتحاريين؟ إن قراءة "الوثيقة" والمقتطفات المترجمة منها تكشف عن عملية قص ولزق لنصوص مألوفة بين المسلمين، ولكنها متناثرة. فمن الواضح أن من ألّفها لا يعرف عن الإسلام وعن المسلمين شيئا كافيا، ولكنه يعرف شيئا عن حضارة بعض الجماعات البدائية التي تعتمد على السكاكين

(1) Osama bin laden's message to the American people 1/3.

٢٠١١/٠٧/٠٤ - تم التحديث بواسطة realtruth.

والخناجر سلاحا للقتال. ومن الواضح أن هدف المؤلف هو إلصاق التهمة بالمسلمين.

فمثلا يقول بوب وودويرد، بصحيفة واشنطن بوست: إن محمد عطا، أحد منفذي الاختطاف في ١١ سبتمبر ترك رسالة من خمس صفحات مكتوبة بخط اليد بالعربية، تشمل الصلاة الإسلامية، وتعليمات لليلة الأخيرة من الحياة، وتذكير بأن لا ينسى المختطفون إحضار سكاكينهم، وبطاقاتهم الشخصية، وجوازات سفرهم. "وأخيرا، التأكد من أحدا لا يتبعك." ويعلق أحد المحققين من رجال الأمن من FBI (إدارة المباحث الفدرالية) الذين وجدوا الرسالة في أمتعة عطا، بأنهم غير متأكدين من شخصية كاتبها.

كما يقال بأن رجال FBI وجدوا رسالة أخرى، في حطام الرحلة ٩٣ المزعومة لخطوط المتحدة UA التي تحطمت، دون ترك آثار طائرة غير قطع متناثرة من الخردوات، ودون آثار نار قوية أذابت كل شيء والتهمته. وأفادت التصريحات الرسمية بأن تعدد الرسائل تشير إلى أنها كانت مشتركة بين - على الأقل - بعض المختطفين. ومما ورد فيها: "تأكد من أمتعتكم كلها: حقائبكم، ملابسكم، سكاكينكم، ووصياتكم، وبطاقاتكم الشخصية، وجوازات سفركم، وجميع أوراقكم. تأكد من سلامتكم قبل المغادرة... تأكدوا أن لا أحد يتبعكم. وعلق خبيران بحضارة الشرق الأوسط بأن مضمون الرسالة فيه شذوذ. فمثلا تقول الافتتاحية: "باسم الله، وباسمي، وباسم أسرتي" والمسلمون لا يبتهلون إلى الله باسمهم وبأسماء أسرتهم. ويعلق آخر لماذا الحرص على اصطحاب الوصية، في رحلة انتحارية، وذلك بدلا من إرسالها إلى أقاربهم[1]. وهل كان عند عطا وقت لكتابة خمس صفحات بخط اليد، بدلا من اتصال جماعي...؟

ضحايا الحادث ومصداقية حكومة بوش:

حسب إعلان الحكومة الأمريكية كان عدد الضحايا الإجمالي للحادثة

(1) Bob Woodward, The Washington Post, September 28, 2001.

بالضبط ٢٩٩٦، أي لا يزيد عن ثلاثة آلاف. ويعلق أحد الخبراء: يقدر الذي يداومون في البرجين يوميا بحوالي ٥٠ إلف شخص، ويزورها حوالي ٤٠ ألف شخص آخر، والحادثة وقعت في يوم الثلاثاء، وهو يوم عمل، ولا يصادف عيدا وطنيا. إن الرقم الرسمي يثير الشكوك. وصحيح أن هناك ١٠٦ مصعد يستوعب ٥٠ شخصا في كل برج، ولكن عدد مخارج الدرج لا يزيد عن ثلاثة في كل من البرجين، والإخلاء يتم نظاما عن طريق الدرج. فلنتصور كيف يمكن إخلاء العدد المذكور أعلاه وهم في حالة هلع. وهذه الحقائق تجعلنا أمام ثلاثة احتمالات[١]:

١- عدد الضحايا المصرح به مشكوك فيه.

٢- تم إخلاء حوالي المائة ألف من الموجودين في البرجين خلال أقل من ساعة بالنسبة بالبرج الأول وأقل من ساعتين بالنسبة بالبرج الثاني[٢].

٣- تغيب أكثر من ٩٠٪ من الموظفين يوم الحادثة عن العمل لاستقبالهم رسالة تحذرهم من الحضور إلى العمل يومها. ولم يثبت التحذير إلا لحوالي ٤٠٠٠ من اليهود، وكان بعضهم مستعدا لتصوير الحادثة.

ولك أيها القارئ أن تختار أي الاحتمالات أقرب للحقيقة؟

الجدار الذي تستند إليه التهمة:

باستعراض الحكايات التي روتها حكومة بوش والتفسيرات التي فسرت بها انهيار الأبراج الثلاثة، وذلك لإلقاء التهمة على أسامة بن لادن ومجموعة "إرهابية"، لأغراض خاصة، نجد أنها برِمتِّها ترتكز على انهيار البرجين التوأمين والبرج رقم ٧ فقط. فهي الجدار الذي ترتكز عليه جميع أدلة المتهمين للمسلمين بالحادثة. فدعنا نفحص هذا الجدار بوسائل الإدراك الطبيعية عند البشر، وبالعقل الذي لم يُحرم منه إلا النائم والطفل والمجنون.

(1) Staircases in Twin Towres are Faulted.

(٢) ينصح القراء بمشاهدة اليوتيوب في الموقع.

قصة انهيار ٣ أبراج بسبب اصطدام طائرتين:

تصر التصريحات الرسمية لحكومة بوش أن انهيار ٣ أبراج في المركز التجاري الدولي، في ١١ سبتمبر، كان بسبب ارتطام طائرتين ببرجين منها. اصطدمت واحدة منها بالبرج الشمالي عند رأسها، والأخرى اصطدمت بالبرج الجنوبي عند صدرها، مع ملاحظة أن مساحة كل برج هو ٧٥×٧٥م٢، ويتألف من ١١٠ دور. وانظر الجدول (١).

المبنى	ارتفاع	دور الاصطدام	وقت الاصطدام	وقت الانهيار	
برج ١	٤١٥	٩٤ – ٩٨/ ٩٣ – ٩٩	٨:٤٦ صباحا	١٠:٢٨ صباحا	انهار بعد ١:٤٢
برج ٢	٤١٧	٧٨ – ٨٤/ ٧٧ – ٨٥	٩:٠٣ صباحا	٩:٥٩ صباحا	انهار بعد ٠:٥٦
برج ٧		بدون		٥:٢١ مساءا	انهار فجأة بدون أن يصيبه شيء

الجدول (٢)

وبالتأمل في الجدول نجد التالي:

١- حصل انهيار برجين إلى الأرض في أوقات متقاربة بالنسبة للبرج الشمالي والجنوبي، أما البرج رقم ٧ فانهار فجأة بعد الخامسة مساء، دون ارتطام طائرة به، أو حطام قابل للرؤية أو للتصوير.

٢- الملاحظ أن الارتطام بالنسبة للبرجين كان أحدهما قريبا من القمة، والآخر في الثلث الأعلى؛ ولو قمنا بتجربة في الهواء الطلق، وأتينا ببرج من أعمدة أطوالها مترين مثلا، (ليس ٤١٥ مترا) وثبتناه في الأرض بإحكام، ثم سلطنا على أعمدته مسدس اللحام أو أي نوع من النار شديد اللهب. وسألنا أنفسنا أي الاحتمالات أقرب عقلا وخبرة، إذا سلطنا الحرارة مدة ساعة أو ساعتين: ١) ينهار البرج

برمته إلى الأرض فجأة، خلال ثواني؟ ٢) يتلوى الجزء العلوي؟ ٣) ينفصل الجزء العلوي بحرارة النار المسلط عليه؟

٣- عند سؤال شركة الطيران الأمريكية وشركة الطيران اليونايتد، أصحاب الطائرات المدعى اختطافها، كان هناك تكتم وتناقض في المعلومات، ولم تظهر آثار أي طائرة من طائرات البوينق الأربع المدعى اختطافها، كما اختفت الصناديق السوداء للطائرات الأربعة المزعومة. وبعد فترة خرج البوليس الفدرالي FBI بكذبة بديلة، حيث أعلنوا أنهم وجدوا ٣ صناديق عديمة الفائدة، بسبب النار. وهذا مع أن التصريحات الرسمية للحكومة الأمريكية ذكرت أنها وجدت بعض البطاقات الشخصية ورخص سواقة وجواز سفر في حالة سليمة، يمكن التعرف على أصحابها المختطفين للطائرات! بل ووجدوا جثة، أمكن التعرف على أنها لمضيفة مقيدة أياديها!

٤- هناك لقطات مقربة ومعروضة ببطئ شديد توضح أن هناك شيئا اصطدم بالبرج قبل اصطدام الطائرة بالبرج الجنوبي. وهذا يعني أن الطائرة أطلقت صاروخا حطمت به الجزء المحدد من المبنى، قبل ارتطامها بالبرج بثوان معدودة. وبما أن الصاروخ ينطلق من أسفل الطائرة، فكان موقع اصطدام الطائرة، إلى اليسار، يرتفع قليلا انظر الشكل (٧، ٨) وواضح أن حجم الفتحة التي أحدثها الصاروخ ضعف الفتحة التي أحدثها اصطدام الطائرة بالبرج بعد ثوان، وهي صورة أخذتها شبكة تلفاز سي إن إن، وبعض الشركات في المنطقة[1].

٥- وهناك من يؤكد بأن تلك الطائرات هي من الطائرات التي تعمل وزارة الدفاع على تطويرها، لتقود نفسها بنفسها، من لحظة الصعود من الأرض إلى لحظة الهبوط[2]. ولها جناحان في حجم البوينق ٧٣٧. فالمرشح المستقل للرئاسة،

(1) Here's a good 3 min 9/11 Clip worth seeing!

(2) "Robot plane flies Pacific unmanned", which appeared in the April 24, 2001 edition of Britain's International Television News;
http://http://www.public-action.com/911/robotplane.html

كارل شوارتز يورد على لسان أحد المسؤولين:" جلبت القوة الجوية فرقا منفصلة للقيام بمهمة سرّية للغاية غير مرتبطة بالطيران التجاري في مطارنا، ونحن أُخبِرنا من قبل رؤسائنا أن لا نناقش ما رأينا مع أي شخص". وكان شوارتز، قد التقى ببعض الشهود، مدة ساعة تقريبا، في فبراير ٢٠٠١ لمناقشة القضية. ويؤكد مهندسو الملاحة الجوّية من واشنطن، قطاع دي سي الذين قالوا إن الطائرة القادمة أصلاً كانت طائرة عسكرية طبقا للتقارير؛ لكن هيئة المحلفين الكبرى لم تدعهم للشهادة وأُسكِتوا بغرابة عن الكلام[١].

وتلقى مهندس ملاحة جوية من القطاع الشمالي الشرقي تهديدات من مكتب التحقيقات الفيدرالي تحذره: "لا يجب أبدا أن تتكلّم حول ما رأيت على شاشتك أثناء الهجمات؛ وإذا تكلمت، فإن أشياء غير سارة تحصل لك ولعائلتك."

الشكل (٧)

والشكل (٨)

٦- أكد بعض خبراء التفجير بأن الدخان الأبيض ناتج عن وجود متفجرات في هذه الأبراج ... مما جعل ١١٠ دورا تنهار خطوة خطوة بشكل رأسي مرتب في مدة زمنية تقدر بـ ١٠ أو ١٣ ثانية بواقع (١١ طابق في الثانية الواحدة !) والبرج. وقد ذكر شهود العيان أنهم سمعوا أصوات انفجارات قبل سقوط الأبراج .. ثم اهتز المبنى بشدة وانهار بعد ثواني[٢].

---

(١) ١١ سبتمبر نفتها الصهيونية العالمية.

(٢) نظرات مؤامرة ١١ سبتمبر، ويكيبيديا.

البرج رقم ٧:

وتفسير حكومة بوش لانهيار البرج رقم ٧ في المركز التجاري الدولي هو سقوط بعض حطام البرجين عليه، ولكن يلاحظ في الصورة المتحركة بدءا من نقطة الانهيار الصفر إلى النهاية لا أثر لحطام يجعل البرج السابع ينهار خلال سبع ثواني إلى الأرض، بصورة رأسية، لا تميل إلى اليمين أو إلى اليسار. وانظر الشكلين: ١٠، ١١[١].

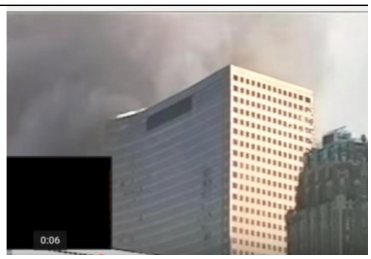

الشكل (١٠)

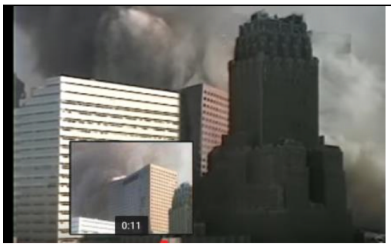

والشكل (١١)

وليس لهذه الحقائق تفسيرات سوى أن قواعد الأبراج الثلاث كانت محزمة بنوع من المتفجرات تذيب الصلب، فهوت الأبراج كما تهوي المباني الشاهقة باستخدام تقنية الهدم بأحزمة المتفجرات. فيقتصر ضرر إزالة تلك المباني على مساحة صغيرة، لا تقاس بأطوالها. وأكدت إحدى الدراسات المتأخرة لبعض أجزاء الركام أن هناك آثارا لمواد ذات قدرة عالية على صهر القضبان الحديدية.

فقد سبق أن شب الحريق في أحد الأبراج ولم ينهار، واستمر الحريق مدة ١٨ ساعة في برج ارتفاعه ٨٣ طابق عام ١٩٩١، ولم ينهار البرج. وفي كاراكاس عاصمة فنزويلا عام ٢٠٠٤ استمر الحريق ١٧ ساعة، في برج ارتفاعه ٥٦ طابقا فلم يسقط إلى الأرض.

ولقد شوهدت كميات ضخمة من المعادن المصهورة فوق الأرض بين أنقاض الهياكل المعدنية للأبراج الثلاثة المنهارة. ونشر دكتور كيث أيتون في مجلة الهندسة

(١) **ينصح بمشاهدة الانهيار** – 30 seconds Reel of Building 7 Collapse YouTube.

الإنشائية The Structural Engineer بعد عام من الكارثة بأن المصهورات، في وقتها، كونت بحيرة معدنية منصهرة، وكانت الأرض تحتها ملتهبة، وشوهدت ألواح من الصلب سمكها أربع بوصات. وظلت حرارة الأرض بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ فهرنهيت إلى ما بعد ستة أشهر من يوم ١١ سبتمبر. وخلال الأسابيع الأولى كان العمال ينتزعون عوارض الصلب وأطرافها فتقطر صلبا منصهرا، وما زال لونها برتقاليا محمرا. وكانت هناك جداول من الصلب المنصهر يختلط بالماء. فهي أشبه بالحمم البركانية في قلب بركان والتي تظل ساخنة ومنصهرة لزمن طويل طالما أنها معزولة تحت الأرض، والصلب ينصهر فوق ٢٠٠٠ درجة مئوية. ولم تجب التقارير الرسمية على هذا الغموض، مما جعل انهيار الأبراج العملاقة لغزا. ومن المعلوم أن الحرارة، بطبيعتها، ترتفع إلى الأعلى وتتبدد مع الهواء المتحرك في الارتفاع الشاهق للبرجين، ولا سيما أن النار قريبة من قمة البرج الأول وعند الثلث الأخير للبرج الثاني. وهذا يؤدي إلى تبريد مستمر للسخونة التي قد تزحف مع الأعمدة الحديدية إلى الأسفل. ومن المعلوم أن الحرارة تجعل الحديد ينثني أولاً، ولكن لا يتكسر قطعا قطعا، أو تجعل البرج ينهار بطريقة رأسية. فليس هناك تفسير لما حدث إلا وجود متفجرات مزروعة في بعض طوابق المبنى وعند قاعدته، بحيث يجعل البرج يهوي إلى الأرض بطريقة رأسية.

ولهذا، عند استخدام تفسيرات أفلام الكرتون التي استخدمتها التصريحات الرسمية للحكومة الأمريكية، لانهيار البرج الأول والثاني، خلال أقل من ساعتين أو ساعة، **لا نملك إلا أن نفترض بأن البرجين رجلان عملاقان، وطول كل منهما حوالي ٤١٥ متر، وأن أحدهما صدمت رأسه طائرة، والآخر صدمته طائرة في صدره. فسقطا على الأرض هامدين، بدون أن يميلا يمنة أو يسرة.**

وأما البرج رقم ٧ الذي انهار على نفسه، فجأة بعد انهيارهما بست ساعات، بدون أن يصطدم به شيء، دون الأبراج المجاورة لهما الملاصقة أو الأقرب إلى البرجين، فكان جارا وفيا، ولم يتحمل منظر انهيار جارتيه فألقى بنفسه إلى الأرض جثة هامدة.

ولهذا كان من الطبيعي تبرئة المتهمين السعوديين، ومنهم الشيخ عقيل العقيل والمهندس سليمان البطحي، وإسقاط جميع الأسماء السعودية المتهمة في قضايا ١١ سبتمبر.

ولهذا طالب عدد من رجال القانون الأمريكي بإعادة التحقيق في الحادثة بناء على تقارير جديدة. فقد طالب ١٢٠٠ خبير في الهندسة المعمارية وفي الطيران بإعادة التحقيق في الحادث، وكان من الموقعين على المطالبة خبير متقاعد في مؤسسة الفضاء الأمريكية له خبرة ٣٧ عاما في مجال الطيران والفضاء Dwain Deets. وقد عرض رأيه في محاضرة مدعمة بصور الانهيار ومدته، فأكد أن سبب الانهيار هي المتفجرات. وكان من أدلته أن المبنى الثالث رقم ٧ لم تصطدم به أي طائرة، ولكنه انهار كله وأصبح ركاما من الحطام في الأرض خلال ٧ ثواني فقط، وأن الحديد الصلب في الأبراج تبخّر، والخرسانة الاسمنتية تحللت إلى قطع صغيرة متناثرة[١].

مؤامرة الجمرة الخبيثة والإمبراطورية المالية:

لم يكن الهجوم على برجي التجارة ومبنى البنتاجون كافيا لإدخال الخوف من الإرهاب الإسلامي على قلب الرجل العادي في أمريكا، فلم يمض شهر بعد حادث ١١ سبتمبر حتى شغل العالم كله برسائل توجه داخل الولايات المتحدة إلى رجال الكونجرس وكبار الصحفيين. وتحمل هذه الرسائل عبارة "الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، الله أكبر" وفي داخل المظروف مسحوق وباء الجمرة الخبيثة Anthrax. وانتشرت الإشاعة بأن ذلك تسبب في إصابة وموت عدد من المواطنين الأمريكيين، فدخل الرعب كل بيت في أمريكا الشمالية، وأقبل الناس على التطعيم ضد (الجمرة الخبيثة). وشحّت الطعوم في مخازن الأدوية، وتعاقدت الحكومة الكندية مع إحدى الشركات لإنتاج تطعيمات ضد الجمرة الخبيثة بمبلغ مليون دولار.

---

(١) خاص- بانوراما عربية في ٩/ ٢٠١٠/١٤ .

وبعد أكثر من شهر كشفت خبيرة السلاح البيولوجي الدكتورة باربرا روزمبرج Dr. Barbara Hatch Rosenberg أن المسحوق الذي استعمل في الرسائل هي من إنتاج معامل الجيش الأمريكي ومخزونها، وأن التقنية التي وصلت إلى إنتاج هذا النوع من المسحوق بدرجة من النقاء تبلغ ترليون جرثومة في الجرام الواحد، هذه التقنية لا توجد عند أي دولة غير الولايات المتحدة.

من وراء المؤامرة القذرة؟

لقد ثبت لنا أن العملية كلها هي مؤامرة مدبرة ذات أهداف متعددة، يجمعها أنها جميعا تخدم المصالح الشخصية على حساب المصالح العامة للدولة أو لأغلبية المواطنين. وهناك ثلاث نظريات: ١) قامت بالمؤامرة بعض العناصر في الحكومة الأمريكية؛ ٢) قامت بها إسرائيل، وعلى وجه التحديد جهاز الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد). ٣) خططت للمؤامرة بعض الإمبراطوريات المالية في العالم؛ وسخرت بعض المرتزقة لتنيفذها.

المؤامرة فساد إداري[1]:

قامت بالمؤامرة حكومة بوش، أي الجهاز الحكومي الذي يملك السلطة التنفيذية، لبسط نفوذها وتعزيزه، فقد قامت بالتخطيط للمؤامرة وتنفيذها لتحقيق بعض المكاسب السياسية، ولعل أقوى ما يعبر عن هذه النظرية الفيلم الوثائقي Loose Change. ومن المكاسب المباشرة ركوب موجة المؤامرة للحصول على الدعم الشعبي المتمثل في مجلسي الشيوخ والنواب للمشاريع التي تستنزف ضرائب المواطنين بتأمين أسلحة من بائعي الأسلحة، ولتحقيق أحلام بعض أصحاب النفوذ في البنتاغون. وكانت الفرصة مواتية بظهور ردة الفعل الانتحارية على النظام الرأس مالي الذي تقوده الولايات المتحدة، وببروز أطماع بعض الحكومات العربية في ثروات جاراتها. فالنظام الرأس مالي المستبد الذي يتحكم في الاقتصاد العالمي هو

(١) انظر ويكيبديا، نظريات المؤامرة.

الذي صنع إسرائيل، وما نتج عنه من مذابح للأبرياء والنساء والأطفال في فلسطين. فاستغلت حكومة بوش هذه الفرصة، وأوجدت عدوا لتحقيق المصالح السياسية للدول العظمى، ولتوجيه الأمريكيين إلى عدو خارجي، ينشغلون به عن الفساد الإداري في الداخل. فقد أثبتت التقارير بأن من المتورطين في صناعة المؤامرة حكومة بوش، ووزارة الدفاع الأمريكية بشكل رئيس.

والحقيقة عند التأمل في تصاريح بعض كبار المسؤولين في الحكومة الأمريكية يجد أدلة تثبت هذه الحقيقة، ولكن يلاحظ أيضا أن بعض التصريحات صدرت عن مسؤولين لا يعلمون شيئا عن المؤامرة، ولكنهم وضعوا في مواضع حرجة، بصفتهم مسؤولين، فكانوا يعتمدون في إجاباتهم على مهاراتهم الخاصة في تبرئة النفس أو الجهاز المسؤولين عنه، أو يعتمدون على مساعديهم، ومنهم المدفوع لهم لقاء المساهمة الجزئية.

ويقول خبير روسي بأن ١١ سبتمبر من تخطيط بوش. ومما يؤيد هذا القول وقوف جورج بوش أمام عدسات التلفزة، قبل عامين، معلنا كشف خطة لتنظيم "القاعدة" لتفجير عدد كبير من الطائرات الأمريكية. فاعتقلت الحكومة البريطانية، التي كان يرأسها توني بلير، حليف بوش وشريكه في الحرب على الإرهاب، ما يقرب من الثلاثين بريطانيا من أصول إسلامية. ولكن المحاكمة كشفت أن المتهمين لم يشتروا أي تذاكر سفر، على الطائرات الأمريكية. بل، ولم يقتربوا من أي مطار بريطاني، وتم توجيه اتهامات عامة إلى ثلاثة منهم، بالانتماء إلى تنظيم متطرف، والتخطيط لأعمال قتل، بعد ضبط أشرطة وبعض المواد الخطرة في حوزتهم[١].

وتؤكد التقارير الصحافية أن الرئيس الأمريكي بوش، ونائبه ديك تشيني أرادا "نصرا ما" يستخدمانه لتعزيز حظوظ النواب الجمهوريين في الكونغرس في الانتخابات النصفية، ووجدا في هذه المؤامرة المزعومة فرصة ثمينة في هذا الصدد.

(١) عطوان، عبد البارئ، في الذكرى السابعة لهجمات سبتمبر، في ١١ / ٩/ ٢٠٠٨.

ومن المعلوم أن تزوير الأدلة والبراهين، أمرا ليس غريبا على حكومتي بلير وبوش. فهما اللذان زورا أدلة العلاقة بين نظام الرئيس العراقي صدام حسين وتنظيم "القاعدة"، واستيراد العراق يورانيوم من النيجر، لتبرير العدوان عليه. فأحداث الحادي عشر من سبتمبر ليست إلا ذريعة لانطلاق الحرب على الإرهاب واحتلال بلدين مسلمين هما أفغانستان والعراق، وقتل مليون ونصف المليون عربي ومسلم حتى الآن، علاوة على أربعة آلاف أمريكي، وخسارة سبع مائة مليار دولار، يمكن أن ترتفع إلى خمسة تريليونات دولار، حسب تقديرات الخبراء وأحدهم من الفائزين بجائزة نوبل في الاقتصاد[١].

مؤامرة إسرائيلية، نفّذها الموساد:

هناك احتمال بأنها مؤامرة دبرتها أجهزة سياسية خارجية، تعاونت معها أجهزة حكومية أمريكية أو مسؤولون من ذوي النفوذ. وعلى وجه التحديد هناك من يقول بأن وكالة الاستخبارات اليهودية هي وراء المؤامرة، ولعل الدراسة المنسوبة إلى "مركز دراسات استخباري أمريكي" تلخص هذا التفسير.

ومن المعلوم أن كلمة الموساد هي اختصار لوكالة الاستخبارات الإسرائيلية، التي لا تتخصص في خدمة حكومة إسرائيل، ولكن أيضا مصالح اليهود، ولا سيما أصحاب الإمبراطوريات المالية.

يقول الصواف، مستندا إلى مجلة المشاهد السياسي[٢]، بأن السؤال: من نفّذ أحداث ١١ سبتمبر أهمّ بكثير من معرفة كيف نُفّذت هذه الهجمات؟ فحسب نظرية مركز برس باكألرت، أحداث ١١ سبتمبر هي من صناعة الموساد.

---

(١) عطوان، في الذكرى السابعة لهجمات سبتمبر.

(٢) الموساد مُنفذ هجمات سبتمبر، مجلة "المشاهد السياسي"، وهي مجلة معنية بالملفّات الساخنة التي يعيشها العالم، والقضايا الكبرى على المستويات الأمنيّة والسياسية وتصدر عن هيئة الإذاعة البريطانية باللغة العربية، أعادت مؤخرا نشر دراسة أعدها مركز دراسات أميركي Press Pakalert.

ففي ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩، قام إيفانز بزيارة هاريل في منزله في إسرائيل، وكان الدكتور روفن هشت، كبير مستشاري رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك مناحيم بيغن، حاضرا. تساءل إيفانز المعروف بعدائه الشديد للعرب، عن احتمال وصول الإرهاب العربي إلى أميركا. فقال هاريل لإيفانز إنّ إرهابيين عربًا سوف يستهدفون أعلى بناء في مدينة نيويورك، وورد هذا القول في كتاب أصدره مايكل إيفانز. وهذا التساؤل يشير إلى أن هجمات ١١ سبتمبر كانت من تخطيط الموساد[1]. ومن الواضح أن هذه النية تحتاج إلى خطوات تمهيدية لتنفيذها. فكانت الخطوات هي:

أولا- القيام بتجميع المعلومات اللازمة للتخطيط . فقُبيل ١١سبتمبر٢٠٠١ تمّ إيقاف حوالي ١٤٠ إسرائيليًا بتهمة التجسّس، لأنهم ضبطوا بتهمة التسلّل إلى قواعد عسكرية ومراكز للأمن السرّي، ومراكز الجمارك، ووزارة الداخلية، ومراكز الشرطة، ومكاتب النيابات العامة، والمكاتب الحكومية، وحتى المنازل الخاصة ببعض أعضاء الكونغرس. وكان من هؤلاء من عمل في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، ووحدات التنصّت والمراقبة الإلكترونية، ووحدات المتفجّرات.

ثانيا- تأمين السيطرة والإشراف على مركز التجارة العالمي. فقد قامت ببنائه هيئة موانئ نيويورك ونيوجيرسي، ومديره يهودي اسمه لويس إيزنبرغ، يسّر عملية تأجير معظم أجزاء المجمع ل لاري سيلفرشتاين لمدة ٩٩ عاما، اعتبارا من ٢٤ يوليو ٢٠٠١. وهو رجل أعمال يهودي، كان من كبار المساهمين في حملة التبرّعات لحملة بوش- تشيني للانتخابات الرئاسية. وكان لسيلفرشتاين دور كبير في شركة روبرت موردوك (موردوخ) الإعلامية ذات التوجّهات اليهودية، وصديقًا شخصيًا لرئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أرييل شارون، ورئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو. وكان اليهودي فرانك لوي، الذي له أنشطة ملحوظة في مساندة إسرائيل، قد استأجر، من قبل، السوق المركزي (Mall) داخل المركز التجاري. وأسهمت شخصية يهودية رابعة في تأمين سيطرة المجموعة المتآمرة على

(١) نشرت صحيفة "جيروزاليم بوست" في افتتاحية بعنوان "أمريكا هي الهدف" في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١.

المركز التجاري، وهو رونالد، صاحب شركة إيستي لودر العملاقة لمواد التجميل، وكان رئيسًا لمكتب حاكم ولاية نيويورك جورج باتاكي لشؤون الخصخصة.

ثالثا- تأمين السيطرة على أجهزة الأمن في المنطقة، حتى تسهل عملية زراعة المتفجرات اللازمة لصناعة أحداث ١١ سبتمبر. فبين عامي ١٩٩٣ و ٢٠٠٠ كان مارفين بوش "شقيق الرئيس بوش" رئيسًا للشركة التي كانت مشرفة على أمن مركز التجارة العالمي وشركات الطيران، في تلك الفترة. ثم تسلم ويرت ووكر "ابن عمهم" هذه المهمة من يناير ٢٠٠٢.

وكانت شركة كرول وشركاه قد حصلت على عقد الأمن والحماية لمجمّع التجارة العالمية، بعد عملية التفجير في المركز التجاري العالمي عام ١٩٩٣. وهذه الشركة يملكها يهوديان اسمهما قول وجيريمي كرول، أما المدير التنفيذي لهذه الشركة آنذاك فكان جيروم هاور، خبير معروف في شؤون الارهاب البيولوجي. وقع الاختيار على جون أونيل العميل الخاص السابق لدى مكتب التحقيق الفيديرالي "إف بي آي" FBI كي يكون رئيسًا لجهاز أمن مركز التجارة العالمي. تم استخدامه تغطية للعمل، وتم التخلص منه في أول يوم عمل له، في ١١ سبتمبر. فكان أونيل قد استقال من عمله لدى إف بي آي، بعد مواجهة عرقلة السفيرة الأمريكية اليهودية للتحقيق الذي أجراه في حادث تفجير المدمّرة الأميركية كول قرب شواطئ اليمن. فقد أثبت في التحقيق أن التفجير لم تكن للقاعدة علاقة به، وأن المدمّرة الأميركية أصيبت بصاروخ كروز إسرائيلي.

رابعا- السيطرة اليهودية على أنظمة البرامج الحاسوبية الوطنية التي كان يجب عليها ملاحظة ما يجري من أحداث، مثل عمليات اختطاف الطائرات. فأنظمة برامج بيتش الحاسوبية كان اليهودي مايكلغوف مديرًا للتسويق في شركة بيتش، وقد عمل سابقًا لدى شركة غارديوم الإسرائيلية للمعلومات. هذه الشركة كانت مموّلة من قبل شركة سيدار وشركة فيريتا وغيرهما من المؤسّسات المموّلة من قبل الموساد. وهذا يعني أن مايكل قوف الذي كان يتلقّى معلومات من عملاء الموساد، كان في الوقت نفسه يعمل مع شركاء لبنانيين مسلمين في شركة بيتش.

خامسا- تلقى كثير من المواطنين اليهود تحذيرات مسبقة قبل اصطدام الطائرات بالبرجين فنجى حوالي الأربعمائة منهم. وتم استجواب خمسة منهم عرفوا باسم الإسرائيليون الراقصون.. كانوا ضبطوا وهم يلتقطون صورًا في أماكن مختلفة، ويحتفلون فور وقوع الهجمات. وأفاد شهود عيان أن هؤلاء شكّلوا فريق عمل للتصوير والتوثيق قبل اصطدام الطائرة الأولى بأحد البرجين.

سادسا- سارع المخططون والمنفذون للمؤامرة فور حدوث هجمات ١١سبتمبر الى العمل بنشاط، من وراء الكواليس، لعرقلة أي تحقيق قانوني وسليم لمعرفة حقيقة ما حصل في ذلك اليوم المشؤوم، والحؤول دونه، ومنعه. وكان همّهم هو الإحاطة التامة بما يجري في التحقيق كي يكونوا قادرين، في كل لحظة، على تغطية جميع الأدلّة التي يمكن أن تكشف عن علاقة اليهود بالجريمة. كما نجحوا في إقناع الإدارة الأميركية في تكليف قضاة ومحقّقين يهود فقط، في إجراء التحقيقات، وهم: ألڤن هيلرستين، مايكل موكاسي، مايكل تشيرتوف، كينيث فينبرغ، شايلا بيرنباوم، بنجامين تشيرتوف ابن عم مايكل"تشرتوف"، وستيفان كوفمان، وجميعهم من اليهود المتشدّدين. وكذلك تمّ وضع مسؤولين إداريين وسياسيين في مواقع حسّاسة، كانت لهم اليد الطولى في توجيه التحقيقات بعد الهجمات ومنهم؛ الحاخام دوفزاخايم، ريتشارد بيرل، بول وولفوتز، دوغلاس فيث، إليوت أبرامز، مارك غروسمان وآري فليشر.

سابعا- هناك معلومات بأن جيك أبراموف اليهودي المتطرّف، وهو مسؤول سابق في إدارة بوش، متورّط في العديد من فضائح الفساد والاحتيال والتهرّب من دفع الضرائب. وفي وقت لاحق، تبيّن أن آدم يحيى غادان، المعروف باسم عزام الأميركي، والناطق باسم تنظيم القاعدة، والذي أطلق عددًا من شرائط الفيديو هدّد فيها العالم والأميركيين، والوارد اسمه على لائحة إف بي آي للمطلوبين، هو يهودي، واسمه الحقيقي آدم بيرلمان من كاليفورنيا. كذلك، اكتشفت أجهزة الأمن اللبنانية مؤخّرًا، أن علي الجرّاح ابن المتهم بالخطف إياد الجراح عميل للموساد الإسرائيلي منذ ٢٥ سنة.

ثامنا - أعلن الرئيس الإيطالي الأسبق، فرانشيسكو كوسيغا، في حوار مع صحيفة كوريري دي لا سييرا أن هجمات سبتمبر الإرهابية تمّت بإدارة من الموساد بالتعاون مع أصدقاء إسرائيل في أميركا، لحثّ القوى الغربية على المشاركة في الحرب في العراق وفي أفغانستان.

وبتأمل أكثر سنجد اللعبة لم يخطط لها وينفذها الفساد الإداري في حكومة الولايات المتحدة "الديموقراطية" فحسب، أو جهاز الموساد لصالح إسرائيل، ولكنها مؤامرة دبّرتها مؤسسات مالية كبرى، ذات طبيعة دولية، ويسيطر عليها رجال أعمال في غاية الذكاء، والخبث، والدناءة. **فهم كما ورد في الحديث عبدة الدرهم والدينار، لا يعرفون غيره ربًّا. ويبيعون في سبيله انتماءاتهم العصبية، والدينية، والوطنية.**

وهذا لا يعني أن جميع أصحاب البلايين، تنطبق عليهم هذه الصفات ومدى الحياة. فهناك العقلاء، وهناك من هو قادر على التحرر من هذه العبودية، ولو مؤقتا، أو في نهاية عمره، بدافع الإنسانية أو الدين.

خصائص الإمبراطوريات المالية؟:

لقد ظهرت الإمبراطوريات أول ما ظهرت بقوة كجبهة للمعارضة على تسلط الأباطرة السياسيين، سجّلها المؤرخون الأوربيون وعنوا بها؛ وهذا لا يعني أنها لم تكن موجودة في أجزاء العالم الأخرى. وأصلها أن الحاكم السياسي يملك الأرض ومن عليها من ثروات، ومنها البني آدميين، بصورة أو أخرى. فالمواطن هو إما مزارع يأكل ويشرب هو وأسرته، والجزء الأعظم من إنتاجه للإمبراطور السياسي أو للحاكم الذي يُعيّنه، أو لمن يهبه الأرض التي يعمل عليها الفلاح. وقد يكون المواطن راعي لأنواع من الحيوانات، تمنحه طبيعة عمله قسطا من الحرية أكبر. ويحظى التاجر الذي يعتمد عيشه على نقل المنتجات من موقع إلى آخر بحرية أكبر. فتجارة الحرير وسوقها كان يمتد، مع رداءة سبل المواصلات، من أقصى الشرق في آسيا إلى أقصى الغرب في أوربا. وكانت للموانئ البحرية قيمتها السياسية الدولية البارزة.

ومع إقبال أجهزة الصناعة الضخمة القادرة على إنتاج ما يفيض كثيرا عن السوق المحلية والدول المحددة أو المتجاورة، وتقدم سبل المواصلات والنقل برزت ظاهرة التجارة العالمية. وهنا انعتق أصحاب رؤوس الأموال الضخمة من سيطرة الحكومات السياسية، وظهرت بوادر الحكومات المالية. ثم تطورت إلى إمبراطوريات مالية ذات شأن، وإن كان الكثير منا، لا يحس بوجودها. فهي تبسط نفوذها باستغلال شهوات الناس، وشهوات المؤثرين في سياسات الدول، وبتزيين أكبالها وقيودها لهم. ولو تأملنا الواقع في الدول النامية لوجدنا أمثلة كثيرة منها، حيث يندفع المسؤول المخلص بحماس وراء مثل هذه المشاريع، بحسن نية، لا يدفعه إلى التحمس لها إلا الإخلاص الصادق لوطنه. وإذا لزم الأمر تستخدم تلك الإمبراطوريات أسلحتها المدمرة، مثل توريط الدول في الحقوق المالية المنهكة للاقتصاد المحلي، التي تأخذ صورة القروض بفائدة أو صورة تشجيع السندات للحكومات المحلية. وبهذا تصبح الكلمة الأخيرة لها، في العلاقات الدولية للدول التي تسيطر عليها أو تُرهبها، وفي العلاقات الداخلية أيضا، إذا لزم الأمر. فالنظام المالي القادر على جني أعظم دخل قادر، إذا توفرت لديه المهارة اللازمة، على إخضاع أعظم قوة سياسية.

ومن الملاحظ أن النظم السياسية الانتخابية أيسر اختراقا، من النظم السياسية الوراثية، لأسباب، منها أن الأولى تسمح بمجال أكبر لانتعاش الأهواء الشخصية وبفرصة أكبر لتحقيق الشهوات البشرية، ومسؤولية أصحاب القرار عن المصلحة العامة مؤقتة. ففي مثل هذه البيئات تضعف، عند غالبية الناس، نزعة حب الخير لأنفسهم في الحياة الأبدية، بل وتغيب عنهم أحيانا تماما. فتسيطر نزعة المصلحة الذاتية الفورية، في غياب رقابة مركزية تحرص على المصلحة العامة للإنسان على المدى البعيد.

ومن المعلوم أن الإمبراطوريات المالية تختلف عن الإمبراطوريات السياسية أو الجغرافية من أوجه، منها:

١- سلطة الإمبراطوريات المالية لا تقف عند الحدود السياسية، ولا تعترف بها. فهي تسير بمبدأ فيه مرونة كبيرة تسمح بالمشاركة المجزية للإمبراطوريات

الكبيرة، وتسمح بالاستفادة للأسماك الصغيرة والمتوسطة، ما دامت مصلحة الإمبراطورية الكبرى تحتاج إلى خدماتها. فمثلا سلسلة مراكز التسويق الضخمة عبر القارات تسمح لمن يقدم لها بعض الخدمات بالاستفادة. وأما في حالات الأسواق الفردية المنافسة (البقالات، مثلا) فلا مانع من تدميرها إن أمكن، أو تنحيتها عن مراكز التسوق النشطة التي تجلب المكاسب الكبيرة. أما إذا كان المنافسون موجودين في مناطق ليست نشطة، فيمكن مساعدتها والتعاون معها. ومثالها سلسلة سفن إليفن، 7 Eleven، حيث يُشجع الإمبراطور المالي صاحب البقالة إلى الانضمام إلى السلسلة، مع الاحتفاظ بدرجة كبيرة من الاستقلالية، والحصول على خدمات تنمي المحل الصغير. فهي تختلف عن الإمبراطوريات السياسية التي تفرض طبيعتها إما هذه المساحة لي أو لك، وإما أن يكون هؤلاء مواطنون لي أو لك، وإن كانت لهم بعض الحقوق عبر الدول محدودة، بموجب اتفاقيات دولية أو ثنائية أو تفرضها الدولة الأقوى.

٢- وتختلف الإمبراطوريات المالية عن السياسية من حيث دقة تحديد مكاسب الإمبراطور فيهما. ففي الإمبراطورية المالية تحسب المكاسب بالعملات المحسوسة، وإن كانت معرضة لشيء من الاهتزاز؛ وأما سلطة الإمبراطور السياسي فجزء كبير منها يقاس بالمقاييس المعنوية النسبية التي تتأثر بنوع النظام. فطبيعته سلطات النظام السياسي تصطدم مع الحرية الفردية، لأن من أبرز وظائفها هو كبح جماح الأفراد لصالح المجموعة. وليس شرطا أن تصطدم مصلحة المواطن في الإمبراطورية المالية بمصلحة الإمبراطور. فقد يكون الإمبراطور ذكيا فيجعل المصلحتين تبدوان مندمجتين، أو أنهما تسيران جنبا إلى جنب.

٣- مواطنو هذه الإمبراطوريات لا ينتمون إلى دولة محددة، أو ديانة، أو جنس...، ولا يقتصرون على الأفراد، ولكن يشملون المؤسسات الحكومية والخاصة، بل والحكومات (الدول). ويتنازل مواطنو هذه الإمبراطوريات عن جزء من حرياتهم الشخصية، ويمنحون الإمبراطور المالي ووكلاءه أجزاء متفاوتة من

ولائهم والصلاحية في اتخاذ بعض القرارات بالنيابة عنهم، من حيث الزمن، مثل النقد أو التقسيط، راتب يومي، أسبوعي، شهري، أو عقود سنوية... ويتنازل المواطنون للإمبراطور عن كمية أو نسبة من دخولهم، يدفعها المواطن نقدا أو تحسم من حساباته الدائنة لتنقل إلى حساباته كمدين... فهم مستهلكون لمنتجات أو خدمات، توفرها الإمبراطورية المالية المحددة أو تسيطر عليها.

٤- الغالبية العظمى من مواطني الإمبراطوريات المالية، غير مرغمين على الطاعة، ويخضعون لسلطات الإمبراطور طواعية، وربما بسرور واستمتاع. فهم مستهلكون لمنتجات أو خدمات يوفرها الإمبراطور وموظفوه، أو يروجون لها. وهم من الذين يستلمون الأعطيات السخية أو المُرضية، التي تأخذ صورة المنحة أو الرشوة.

٥- سلطات الإمبراطور المالي تعتمد على رضاء مواطنيها، سواء أكانوا أصحاب سلطة صغيرة تقتصر على النفس، أو أصحاب سلطة كبيرة مثل صاحب القرار النهائي في أي دولة بما فيها أعظم دولة سياسية. ليس هذا فحسب، ولكن قد يكونون حريصين على هذه المواطنة، لقناعتهم بأنها ذات فائدة مجزية لهم، مثل شراكة في مشروع تجاري أو عقاري، أو صناعي، وإن كانت شراكة صورية، لها مقابل مادي، لا تمثل إلا نسبة صغيرة من المكاسب. ولا يعنيهم أن نصيب الأسد، على المدى القريب أو البعيد، هي في يد الإمبراطور. فهو يقدر على حرمانهم من فتات المائدة أو الفائدة الموعودة بطريقة قانونية في مستوى الحياة الدنيا، أو بخدع قد تكون مكشوفة، وما يحكم به الإمبراطور هو ما سيجري في الواقع.

٦- أما بالنسبة للمعارضين للإمبراطورية أو منافسوها على اللقم الكبيرة فقد تصل المعاملة إلى مرحلة محاولة التخلص منهم، بتجريدهم من السلطة أو بالاغتيال والموت. ومثال الإغراء عرض المشاركة في مشاريع ترعاها الإمبراطورية، مثل مشاريع الفندقة، والأسواق والمطاعم...، ولا سيما في المناطق المحلية الثمينة التي قد تكون، في الأصل، محرمة لغير المواطن المسلم. فهي تغريهم بوسائل

التسويق المختلفة، ومثالها حين تغري الإمبراطورية الفرد أو الشركة أو الحكومة المحددة بتوفير المنتجات أو الخدمات بالتقسيط المريح ليغرق فيها، أو بإقراضه رأس مال للاستثمار يتحول إلى ديون، أو بشراء السندات الحكومية. وكلها قد لا تنجح المؤسسة في حسن استثمارها فتصبح ديونا تكبله وتقيد حريته. وهذه من أقوى الأسلحة الخفية للإمبراطوريات المالية، حيث تمكنها من السيطرة على اقتصاد "مواطنيها" وحرياتهم السياسية، وإذلالهم في النهاية. وفي العموم فإن فرصة الانتماء المتعدد مفتوحة، أي أن استعمال المنتجات المتنافسة غير محظورة.

٧- وإن كان بعض الأباطرة السياسيين يستخدمون سياسة فرق تسد، فكذلك يستخدم الإمبراطور المالي السياسة نفسها ليوسع إمبراطوريته، فيزيد عدد المواطنين، أي المستهلكين أو المستخدمين لسلعه ولخدماته. ويسخرون القادة السياسيين وأنصارهم من موظفي الحكومات، والمرتزقة له لصناعة الجبهات المسلحة في الدول المختلفة، ولتُروِّج الأسلحة التي تقوم الإمبراطورية المالية على تصنيعها وتنميتها. فهي من أكثر المنتجات إدرارًا للمال.

وهكذا يبدو واضحا أن سلطات الإمبراطورية المالية فوق سلطات الحكومات التشريعية والتنفيذية، في دول العام، ومنها الدول العظمى بدرجات متفاوتة. فأي سلطة حكومية يمكن شراؤها بالمال أو إخضاعها بالمال. فلا يخلو أي جهاز حكومي من الأعضاء الجاهزين لبيع مصالح أوطانهم ومواطنيهم لقاء مبالغ تشبع جشعهم. والمال قادر على إخضاع أخلص المسؤولين عن المصالح الوطنية، بوسائل لا حصر لها، منها: تقديم القروض وشراء السندات الحكومية، والمساهمة في مشاريع اشمارية. وقد تظهر هذه المشاريع في مصلحة الوطن المحدد، ولكن مكاسبها أكثر بالنسبة للإمبراطورية المالية التي تقدم القرض أو تشتري سندات الحكومة الوطنية. وفي العادة تستخدم هذه الإمبراطوريات أسلوب الإقناع والإغراء، ولكن إذا لزم الأمر فإن الإمبراطوريات المالية بطبيعتها العالمية، قادرة على استخدام المؤامرات الخبيثة للإطاحة بالمسؤولين المخلصين أو بالحكومات

المخلصة أو إضعافها أو باستنزاف دخلها القومي. فالمصلحة الخاصة للإمبراطورية لها الأولية، وفي سبيل تحقيقها يمكن بسهولة التضحية بالمبادئ الأخلاقية أو القوانين، أو المبادئ الإنسانية أو الروابط الحزبية أو الوطنية أو القومية. فكل شيء مباح في الإمبراطورية المالية ما دامت تجلب النقود للإمبراطور. ويكفي أن نلاحظ ما يحدث للدول التي تحاول جاهدة تنمية اقتصادها، وتحقيق شيء من الاستقلال الاقتصادي، ولا سيما في القارة الأسيوية النامية، والأفريقية، وأمريكا الجنوبية. ويكفي أن ننظر إلى الترويج للمسكرات، ولمواد الخلاعة الجنسية، وحضارة التجاوز على جميع القيم الأخلاقية التي تغرسها وسائل الإعلام الحديثة في الأجيال الصاعدة، وإن كانت بعض تلك الوسائل تبثها عن حسن نية، وباسم الحرية.

وبالرجوع إلى أحداث ١١ سبتمبر نجد علاقتها بالإمبراطوريات المالية واضحة للعيان. فهناك شخص واحد تخيّل عملية ضرب أبراج التجارة في نيويورك وهو الملياردير، روبرت ميردوخ Rupert Murdoch إمبراطور الإعلام والعقار اليهودي.

فقبل تفجيرات ١١ سبتمبر بعام واحد، بدأت شبكة فوكس المملوكة لروبرت ميردوخ وبتمويل منه، في إنتاج حلقة تصور فكرة هجمات ١١ سبتمبر، ضمن مسلسل ترفيهي. وتدور القصة حول مجموعة ماهرة في برامج الكومبيوتر، تكتشف أن شخصا يمثل البوليس الفدرالي، يعطل نظام قيادة الطائرة المدنية، ويوجهها لتصطدم بأحد الأبراج التجارية، في قلب مدينة نيويورك. ولكن تنجح المجموعة أخيرا في استعادة النظام، والارتفاع بالطائرة إلى الأعلى ليطير من فوقه، بدلا من الاصطدام به. ويعتبر البعض فكرة الحلقة ملهمة لأحداث ١١ سبتمبر.

وفي ٤ مارس ٢٠٠١، قبل التفجيرات بـ ٦ أشهر، قامت شبكة فوكس التابعة للملياردير ميردوخ بعرض تلك الحلقة علي الجمهور. وبعبارة أخرى، فإن مردوخ الإمبراطور المالي تمكّن من تهيئة الرأي العام لتصديق القصة بما يملكه من شبكة تلفزيون فوكس، بالإضافة إلى٢٢ محطة تلفزيونية في أمريكا، وعدد كبير من الشبكات الكابلية. فهو أيضا يسيطر على القمر الصناعي لهونق كونق ولأمريكا اللاتينية والقمر الهندي، والذي تبث منه شبكة Star، كما أنه يسيطر على ٥٠٪ من

أسهم القمر الصناعي الياباني، ويسيطر على قناة zee و v الهندية . وعلى ٧ شبكات تلفزيونية في أستراليا، وعلى عشرات المحطات الفضائية المتفرقة في العالم. وتخضع له شركة عقارات ضخمة، وتمكّن بأمواله والأباطرة من حلفائه من الحصول على الجنسية الأمريكية كحالة خاصة بقرار من مجلس الشيوخ الأمريكي في بضعة أيام، وكما يقول أحد الصحفيين: **لقد وضع مردوخ مجلس الكونقرس الأمريكي في جيبه الخلفي**[١].

وتمثلت الأرباح المالية من حادثة ١١ سبتمبر في تحقيق سيلفيستاين وشركائه في المؤامرة من شركة التأمين مبلغ وقدره ٧.٢ بليون دولار في مقابل ١٠٠ مليون دولار، هو ما دفعه نظير استئجار البرجين، ومبلغ ٨٦١ مليون دولار لقاء تأمين البرج الذي يملكه سيلفيستاين.

واعترفت الحكومة الأمريكية بأن أكثر من ١٠٠ بليون دولار من احتياطي الذهب الفيدرالي كان موجودا في قيعان تلك الأبراج، في سراديب، ولكنهم لم يجدوا شيئا. فأين اختفى هذا الذهب؟ لقد سرقت الإمبراطوريات المالية الذهب، ثم نفذّت عملية تدمير الأبراج لتغطية السرقة، ضمن المهام الأخرى المخطط لها.

وأما البرج التجاري رقم ٧ فله أهمية خاصة، فهو يضم مكاتب لأجهزة أمن عديدة للحكومة الأمريكية لرصد التحركات المريبة للأموال. وفي الوقت نفسه – حسب قول السيرجنت ماثيو تارتاقيا Sgt. Matthew Tartaglia "في هذا المبني كانت تتم عمليات مالية مشبوهة تُدار بواسطة أعضاء في المافيا، بالإضافة إلى عمليات غسيل الأموال"[٢].

إن أي نظرة عاقلة تستغرب أن تمنح أمريكا مساعدات عسكرية لإسرائيل بقيمة ٣٨ مليار دولار، من جيوب مواطنيها (الضرائب التي يدفعونها)، وذلك لتخسر

(١) أحداث ١١ سبتمبر، نفذتها الماسونية العالمية، تفاصيل مذهلة.

(٢) أحداث ١١ سبتمبر، نفذتها الماسونية العالمية، تفاصيل مذهلة.

الدول المواجهة لإسرائيل الغنية بالبترول[١]. وما قيمة إسرائيل إلى الولايات المتحدة لولا ضغوط الإمبراطوريات المالية التي تسلب أعظم دولة في العالم حريتها في أمور السياسة الخارجية.

الخاتمة والخلاصة:

تؤكد الحقائق السابقة بأن الحادثة كلها من صناعة بعض أصحاب الإمبراطوريات المالية الصهيونية، بالتعاون مع جهاز الاستخبارات اليهودي (الموساد) وبالتعاون مع بعض المتمصلحين في الأجهزة الحكومية الأمريكية.

والمؤامرة متعددة الأغراض، وتستفيد منها أطراف متعددة. فمنها الكسب المادي الفوري للإمبراطوريات المالية المتعاونة، ومنها مكاسب غير مباشرة وطويلة الأجل. ومثال المكاسب الفورية قيمة التأمين على الأبراج الثلاثة، واحتياطي الذهب المسروق، ولا يستبعد أن تكون العملية مرتبة، بحيث يكون الخاسر الحقيقي هم ملايين الأفراد المساهمين في شركة التأمين هذه والمشتركين في خدماتها.

ومن المكاسب للإمبراطوريات المالية توفير أسواق للأسلحة التي تنتجها، وهذه المكاسب تسحب من عرق جبين الشعوب التي تثار فيها القلاقل والصراعات الداخلية، ومن ميزانيات الدول المهاجِمة والمهاجَمة، مثل أفغانستان والعراق ومن يساندهما، أو على من تخشى على نفسها منها.

ووفرت المؤامرة مكاسب فورية لبوش شخصيا، ولحكومته ولوزارة الدفاع، المزيد من أموال الضرائب التي يدفعها الشعب الأمريكي لتبدد على سمعة وزارة الدفاع. فهي في النهاية من الضرائب التي تجمعها الدولة من ملايين المواطنين. فالضرائب تتمثل في أنواع ثلاثة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية عند شراء احتياجاتك تدفع أقل شيء ٧٪، وعند ما تستلم مرتبك قد تصل الضريبة إلى ٣٠ في المائة من مرتبك، وعندما تملك بيتا تسكنه أو تؤجره تدفع ما قد يصل إلى ثلث الإيجار المقدر.

---

(١) الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠١٦ العدد ١٥٧٩٧.

والمؤامرة، وإن كانت تفيد بوش وحكومته وميزانية الحكومة الأمريكية متمثلة في وزارة الدفاع، فإن نصيب الأسد فيها للمتآمرين من أصحاب الإمبراطوريات المالية، وأذيالهم، ومن يعيشون على فتات موائدهم، مثل الخونة من المسؤولين في الحكومة الأمريكية. وتقدر مكاسب الإمبراطوريات صانعة الحدث بالبلايين والمليارات من الدولارات، تلك الوريقة المعرضة للاحتراق بعود كبريت واحد، وبدون مساندة الإمبراطوريات المالية لها، في الحقيقة، ومساندة الإمبراطوريات السياسية لها، في الظاهر، لا تساوي إلا ورقة يتخلص منها الإنسان في الزبالة.

وتوفر المؤامرة مكاسب غير مباشرة على المدى البعيد، وبصورة مستمرة، مثل بيع المنتجات التي تُصنِّعها هذه الإمبراطوريات أو تُسوِّقها، حيث تشتري موادها الخام أو بعض المنتجات الجاهزة للاستعمال من الدول النامية بأبخس الأسعار، وتبيعها مُصنّعة أو مستوردة بأعلى الأسعار.

ولم تكن حكومة بوش والخونة من المسؤولين في الحكومة الأمريكية إلا الواجهة والمنفذة للمؤامرة التي صنعتها الإمبراطوريات المالية، وذلك في مقابل مساندتها في الفوز بحملات الرئاسة الانتخابية. وربما شيء من الأجر، لقاء خدماتها في تنفيذ المؤامرة.

تمارين أحداث ١١ سبتمبر:

عند تنفيذ التمارين لا بد من توثيق معلوماتك، بإيراد أسماء المراجع ومعلومات نشرها، وفي حالة الاقتباس من صفحات محددة يجب ذكرها.

١- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية رد الخبر إلى الله ورسوله والمختصين في كل مجال. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٢- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية إقرار المعني بالأمر. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٣- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية السمة البارزة. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٤- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الإحاطة بظروف الحادثة وتطوراتها. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٥- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٦- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية الحذر من رواية المحب والمبغض. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٧- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية تناقض الراوي أو تلونه. هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

٨- استخدم المؤلف وسائل متعددة في مناقشة مصداقية قصص ١١ سبتمبر، اذكر ثلاثا منها، مع ضرب الأمثلة بشيء من التفصيل، مع الاستعانة بمرجعين - على الأقل- تناولت الموضوع ذي العلاقة، وذلك من الموضوعات المنشورة في الإنترنت.

٩- من وسائل التحقق من مصداقية القصص التاريخية شهود العيان فهل تندرج الصور المتفق في شهود العيان؟ هل استخدم المؤلف في هذا الفصل هذه الوسيلة، حدد أين استخدمه وكيف؟ وإذا لم يستخدمه فما هو السبب في رأيك؟

قائمة المراجع

- أبن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩).
- أبو الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن، مقتل علي، تحقيق: إبراهيم صالح (المتوفى: ٢٨١هـ)،---: دار البشائر - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١).
- أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلي (أنقرة: دار إحياء السنة النبوية -).
- الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر).
- الآجري، أبي بكر محمد بن الحسين، الشريعة، (الرياض: دار الوطن - الرياض / السعودية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.
- الآجري، الشريعة، أبي بكر محمد بن الحسين ط٢ (الرياض: دار الوطن - الرياض / السعودية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل (مصر: مؤسسة قرطبة -).
- أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ).
- الأحوذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ).

- الأزدي، معمر بن راشد، الجامع، (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠)، تحقيق: حبيب الأعظمي ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣هـ).
- الأسدي، سيف بن عمر الضبي (توفي حوالي ١٨٠) الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش (بيروت: دار النفائس - بيروت - ١٣٩١هـ).
- الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت (لبنان: عالم الكتب - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- إسماعيل، سعيد، حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين (بروكلين، نيويورك: دار الشمس للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ).
- إسماعيل، سعيد، كشف الغيوم عن القضاء والقدر (المدينة المنورة: المؤلف ١٤١٧هـ).
- الأصبهاني، أبو الفرج ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر---).
- الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، [الوفاة ٣٥٦]، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر -).
- الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، [الوفاة ٣٥٦]، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر -).
- الأصبهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر (مصر: دار إحياء الكتب العربية).
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ).
- الأصبهاني، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، أبو الفرج، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر---).

❖ الأندلسي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني، رحلة ابن جبير، (القاهرة: دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري - بيروت / القاهرة، تحقيق: تقديم / الدكتور محمد مصطفى زيادة.

❖ الأندلسي، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: د. محمود يوسف زايد (الدوحة: دار الثقافة - الدوحة - قطر - ١٤٠٥هـ).

❖ االأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

❖ ابن أبي شيبة، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الصنعاني، مصنف بن أبي شيبة (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ).

❖ ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ).

❖ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، الوفاة ٥٩٧، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي ط٢ (بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

❖ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، [الوفاة ٥٩٧] (بيروت: دار صادر ١٣٥٨هـ).

❖ ابن العربي، القاضي، العواصم من القواصم في مواقف الصحابة بعد النبي ﷺ، تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت: المكتب الإسلامي -).

❖ ابن العمراني، محمد بن على بن محمد، الإنباء في تاريخ الخلفاء، القاهرة: دارالآفاق العربية - القاهرة - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: قاسم السامرائي.

❖ ابن العمراني، محمد بن على بن محمد، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي (القاهرة: دار الآفاق العربية - القاهرة - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

- ابن المبارك، الجهاد لابن المبارك، ابن المبارك (تونس: الدار التونسية -).
- ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، معجم ابن المقرئ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (الرياض: الجامع نفسه ١٣٩٨).
- ابن جعد، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر (بيروت: مؤسسة نادر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس (بيروت: المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد (القاهرة: مؤسسة قرطبة -).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، ط٥ (بيروت: دار القلم - بيروت - ١٩٨٤هـ).

- ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، اسم المؤلف: خليفة بن خياط الليثي العصفري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ط٢ (دمشق، بيروت: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت - ١٣٩٧هـ).
- ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي أبو عمر العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، [الوفاة ٨٥٤] تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ط٢ شق وبيروت، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت - ١٣٩٧هـ).
- ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، اسم المؤلف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- ابن عربي، محيي الدين، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي ط (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٠هـ).
- ابن قتيبة، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق: لجنة بدار الكتب المصرية ط٢(القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٩٦م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله / عبد المجيد، المعارف، [الوفاة٨٨٩، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة (القاهرة: دار المعارف -).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م). تأليف شيعي ومكذوب عليه.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، [الوفاة ٧٧٤] البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف).
- البصري، أبو زيد عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

❖ البصري، من حديث أبي عبيدة مجاعة بن الزبير العتكي البصري، تحقيق: عامر حسن صبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي (بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

❖ البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب، تاريخ بغداد، (بيروت: دار الكتب العلمية - -).

❖ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق: د.سهيل زكار، د.رياض زركلي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

❖ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان (بيروت: دار النشر: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ).

❖ بن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (لبنان: دار الثقافة ---).

❖ البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، الشهير بابن فندمه (المتوفى: ٥٦٥هـ، دار النشر: - -).

❖ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ). شعب الإيمان.

❖ الجاحظ، البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي (بيروت: دار صعب -).

❖ الجرجاني، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد، الكامل في ضعفاء الرجال، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

❖ جعفر، عبد الغفور محمود مصطفى، القرآن والقراءات والأحرف السبعة (القاهرة: دار السلام ١٤٢٩).

❖ الحجي، عبد الرحمن علي، نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ط٣ (بيروت: مكتبة الصحوة ١٣٩٩هـ).

❖ الخارفي، فراس بن يحيى المكتب الكوفي، مسانيد أبي يحيى فراس بن يحيى المكتب الكوفي، تحقيق: محمد بن حسن المصري (القاهرة: مطابع ابن تيمية ١٤١٣هـ).

❖ الخزرجي، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار النشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، تحقيق: الدكتور نزار رضا.

❖ الخميني، روح الله، الحكومة الإسلامية: دروس فقهية ألقاها سماحة الخميني على طلاب علوم الدين في النجف الأشرف تحت عنوان "ولاية الفقيه" (---:---١٣٨٩هـ).

❖ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن، من حديث أبي الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ١٤٠٦هـ).

❖ دالين، ديوبولد ب فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل، سليمان الخضري، وطلعت منصور غريال، ومراجعة سيد أحمد عثمان (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦م).

❖ الدستور الإسلامي لجمهورية إيران الإسلامية، في جمهورية إيران الإسلامية (طهران: مؤسسة الشهيد ١٩٧٩).

❖ دمشقية، عبد الرحمن، تهذيب الرفاعية (--: المؤلف ١٤١٢هـ).

❖ الدمنهوري، محمد البيومي الشهير بأبي عيشة، الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني، تحقيق ومراجعة عبد العزيز بن ناصر السبر (الرياض: المحقق ١٤١٧هـ).

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال [الوفاة ٢٨٢]، تحقيق: د.عصام محمد الحاج علي (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: د.عصام محمد الحاج علي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م).
- روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، ومراجعة وليد عرفات (بيروت: دار الثقافة ١٤٠٣هـ).
- الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر).
- السبيعي، سعد بن ضيدان سل السِّنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.
- سلامة، محمد محرز حسن، خليل إبراهيم خاطر، حسين بن قاسم الحسيني، محمد أبو الفتح البيانوني، سبل السلام: شرح بلوغ المرام (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٨هـ).
- سلم، أحمد سعيد، حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية (القاهرة: دار المنار ١٩١٥م).
- السلمي، محمد بن صامل العلياني، منهج كتابة التاريخ الاسلامي (الرياض: دار طيبة للتوزيع والنشر ١٤٠٦هـ).
- السمرقندي، تفسير السمرقندي، بحر العلوم، كتاب في التفسير.

- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م).
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (بيروت: دار الفكر ١٣٦٨هـ).
- السيوطي، جمال الدين، تاريخ الخلفاء (بيروت: المكتبة العلمية ---).
- الشافعي، أبو القاسم علي ين الحسن بن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٥م).
- شلبي، أحمد، كيف تكتب بحثا أو رسالة دراسة منهجية ط ١٦ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣).
- شلبي، كرم، الخبر الصحفي وضوابطه الاسلامية (القاهرة: المؤلف ١٩٨٤م).
- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، أصول الإعلام الإسلامية أسسه "٢" (الرياض: عالم الكتب ١٤٠٩).
- الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الكامل في التاريخ [الوفاة ٦٣٠]، تحقيق: عبد الله القاضي ط٢ (بيروت: دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ).
- الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله، فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- الصالح، صبحي، منهل الواردين شرح رياض الصالحين (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٠م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات (بيروت: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل (مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٦م).

- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الصنعاني الوفاة: ١١٨٢، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد (الكويت: الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٥هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٧هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي ط٢ (المدينة المنورة: المؤلف ١٤٣١هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، مدخل الى الإعلام الإسلامي (القاهرة: دار الحقيقة للإعلام الدولي ١٤١١هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، زفرات عابرة (بيروت: ١٤٣٨هـ).
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ط٢ (الموصل: مكتبة الزهراء - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
- الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك الإمام الفقيه المفسر أبو جفر محمد ابن جرير [تاريخ الأمم والملوك] متوفي ٣١٠ (الأردن: بيت الأفكار الدولية ٢٠١٢م).
- الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك الإمام الفقيه المفسر أبو جعفر محمد بن جرير [تاريخ الأمم والملوك] متوفى ٣١٠ [مولده ٢٢٤، أي مات وعمره ٨٦ سنة] (الأردن: بيت الأفكار الدولية ٢٠١٢م).
- الطحان، محمود تيسير مصطلح الحديث (الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٧هـ).
- الطحان، محمود، أصول التخريج ودراسة الأسانيد (بيروت: دار القرآن الكريم ١٣٩٩هـ).
- الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري، مسند أبي داود الطيالسي، اسم المؤلف: الطيالسي (بيروت: دار النشر: دار المعرفة -).
- عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي ط٤ (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٦م).

- عثمان، محمد فتحي، من أصول الفكر السياسي الإسلامي (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ).
- العجلي، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي نزيل طرابلس الغرب، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي (المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- عزت، محمد فريد، بحوث في الإعلام الإسلامي (جدة: دار الشروق ١٤٠٣هـ).
- عزت، محمد فريد، دراسات في فن التحرير الصحفي (جدة: دار الشروق ١٤٠٤هـ).
- العساف، دليل الباحث في العلوم السلوكية (الرياض: المؤلف نفسه ١٤٠٦هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب (: دار المعرفة - بيروت --).
- عسيلان، عبد الله عبد الرحيم، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل (المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٥هـ).
- عمر، محمد زيان، البحث العلمي مناهجه وتقنياته (جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ١٤٠٧هـ).
- العمري، أكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ).
- العمري، أكرم ضياء، دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات (المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية ١٤٠٣هـ).
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين (دار النشر: دار المعرفة - بيروت -).

❖ الغزالي، محمد بن محمد بن محمد أبو حامد، فضائح الباطنية، اسم المؤلف: دار النشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.

❖ الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، دار النشر: دار الرفاعي - الرياض - ١٩٨٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو.

❖ فقيهي، عبد الحميد بن علي، التحديات في عهد علي أبي السبطين، مقدم في مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين (الثالث) الخلافة الراشدة والقيم الفكرية الحضارية.

❖ القرطبي، الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم (بيروت: دار الكتب العلمية).

❖ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، دار النشر: دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري واللبناني - القاهرة - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الطبعة الثانية، تحقيق: إبراهيم الأيباري.

❖ الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، الكلبي، تحقيق: د. ناجي حسن (بيروت: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٨-١٩٨٨).

❖ الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب لابن الكلبي رواية السُّكّريّ عن ابن حبيب متوفى ٢٠٤، تحقيق: الدكتور ناجي حسن (دار النشر: عالم الكتب - النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

❖ الكليني، محمد يعقوب، الكافي من الأصول ط٣ (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٦١- ١٩٦٨).

❖ اللالكاني، هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان (الرياض: دار طيبة ١٤٠٢هـ).

❖ محمد، سيد محمد، المسؤولية الاعلامية في الاسلام (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٣هـ).

❖ مدكور، مرعي، الاعلام الاسلامي الطباعي في الدول غير الاسلامية (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥م).

❖ المروزي، إسماعيل بن الحسين بن محمد بن الحسين بن أحمد الفخري، في أنساب الطالبيين (المتوفى: ٦٣٢هـ).

❖ المروزي، كتاب الفتن، نعيم بن حماد أبو عبد الله، تحقيق: سمير أمين الزهيري (القاهرة: مكتبة التوحيد ١٤١٢هـ).

❖ المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن علي، مروج الذهب، [الوفاة ٣٤٦] (بيروت: دار الفكر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

❖ مسعود، جمال عبد الهادي محم، ووفاء محمد رفعت جمعة، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: منهج كتابة التاريخ الإسلاي: لماذا؟ وكيف؟ (المنصورة: دار الوفا للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

❖ مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي --).

❖ المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار، وقعة صفين، عيون الأخبار، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط٣ (بيروت: دار الجيل ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

❖ المنقري، نصر الدين بن مزاحم، وقعة صفين المتوفى سنة ٢١٢ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط٢ (---: ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية

الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٣٨٢هـ). ملاحظات: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - ايران.

❖ موافي، عثمان، منهج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الأوربي (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤).

❖ ميسان، تيري، ١١ أيلول ٢٠٠١ الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان فازان ومايا سلمان (دمشق: دار كنعان ٢٠٠٢م).

❖ النبهاني، يوسف ابن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء (بيروت: دار صادر ---).

❖ النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج، الفهرست (دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

❖ النشار، سامي، مناهج البحث عند مفكري الاسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الاسلامي (بيروت: دار النهضة العربية ١٣٠٤هـ).

❖ النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح (المتوفى: ٣٩٠هـ)، دار النشر: عالم الكتب - بيروت -، الطبعة الأولى، تحقيق: د.محمد مرسي الخولي وآخرون.

❖ النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، الوفاة: ٣١٠ (بيروت: دار الأضواء ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

❖ النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، عقلاء المجانين، دار النشر: دار النفائس - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. عمر الأسعد.

❖ النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

❖ النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي -).

- الهندي، علاء الدين المتقى بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ).
- الواقدي، أبو عبد الله بن عمر (ولد ١٠٣ توفي ٢٠٧) فتوح الشام (بيروت: دار الجيل--).
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار النشر: الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر لأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة - الكويت، مصر - من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ، الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، الأجزاء ٢٤ - ٣٨ الطبعة الأولى، الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، تحقيق.
- الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف، غرر الخصائص الواضحة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (المتوفى: ٧١٨هـ) (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٨م).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي [الوفاة ٨٩٧]، دار النشر: دار صادر - بيروت.

بعض المواقع بالعربية

أحداث 11 سبتمبر نفذتها الماسونية العالمية // تفاصيل مذهلة

https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1036736

نظريات مؤامرة 11 سبتمبر - ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة

https://ar.wikipedia.org/wiki/نظريات_مؤامرة_...11

هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه - موقع مقالات إسلام ويب

articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=44767

مفكرة الإسلام: نكبة البرامكة

islammemo.cc/2004/03/20/1420.htmi

مفكرة الإسلام: مقتل الخليفة عثمان بن عفان ـ الفتنة الكبرى
islammemo.cc/2004/02/09/1388.html
الفتنة الكبرى - راغب السرجاني | طريق الإسلام
ar.islamway.net/lesson/113108
الفتنة الكبرى راغب السرجاني
نظريات مؤامرة ١١ سبتمبر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
https://ar.wikipedia.org/wiki/نظريات_مؤامرة_١١...
نظريات مؤامرة ١١ سبتمبر أو ٩/ ١١ هي مجموعة نظريات مؤامرة تحلل هجمات ١١....
تصنيف: نظريات مؤامرة ١١ سبتمبر - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
https://ar.wikipedia.org/wiki/تصنيف:نظريات_مؤامرة...
تصنيف: نظريات مؤامرة ١١ سبتمبر لمزيد من المعلومات ...
حقائق حول معركة الجمل- إسلام ويب- مركز الفتوى
fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&...
شبهة خروج أم المؤمنين لقتال علي رضي الله عنهما
alserdaab.org/articles.aspx?article_no=920
٨ قصة الفتنة ... موقعة الجمل
٩ قصة الفتنة... موقعة صفين
١٠ قصة الفتنة.. عمل والفئة الباغية
Posted on يونيو ٢٩، ٢٠١٠ bysotkorg
الكاتب موقع قصة الإسلام
الصلابي، علي بن محمد، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم،
dd-sunnah.net/records/view/action/view/id/1039
الأباصيري، محمد، هارون الرشيد ونكبة البرامكة. (الألوكة ٢٨ /١٠/ ١٤٣٥).
http://www.alukah.net/culture/0/75071/#ixzz4HW1mMQ4C

مراجع أجنبية ومواقع:

30-Second Reel of Building 7 Collapse Footage - …
Bob Woodward - Wikipedia,
https://en.wikipedia.org/wiki/Bob_Woodward
Loose Change 9/11: A Film About September 11th
www.loosechange911.com
Loose Change was created as a voice for the victims of September 11th, 2001, to ask the questions they were robbed of the ability to ask about their fate.
Loose Change - Wikipedia
https://en.wikipedia.org/wiki/Loose_Change
Loose Change is a series of films released between 2005 and 2009 which argue in favor of certain conspiracy theories relating to the September 11th attack.
Loose Change - Top Documentary Films

ترجمة هذه الصفحة

topdocumentaryfilms.com/loose-change-final-cut

Miller sat face-to-face with Bin Laden - pbs.org
Pictures of Mini Nukes at PakAlert Prove 9-11 was …
Sieni, Syeed, An Islamic Concept of News, in The American Journal of Islamic Social Siences, December 1986.

قائمة المحتويات

مقدمة..... ٣

الفصل الأول: خطة البحث التاريخي..... ٧

عناصر الخطة ٧

شروط الخطة الجيدة وعلاماتها..... ٨

المناقشة مع ذوي العلاقة..... ١٠

مشكلة البحث وتحديدها..... ١٠

العنوان ١٠

الدوافع والأهداف ١١

التحديد الجيد للمشكلة ١٢

تحديد المشكلة من حيث المضمون..... ١٣

تحديد المشكلة من حيث الصياغة..... ١٤

استعراض الدراسات السابقة ١٥

التمهيد والاستعراض ١٦

مهام الاستعراض ١٧

مكونات الاستعراض ١٨

الطريقة الشائعة للاستعراض..... ٢١

الطريقة الصحيحة للاستعراض..... ٢٣

الطريقة المقترحة والسلف..... ٢٨
وصف منهج البحث..... ٢٩
العناصر الأساسية للمنهج..... ٣٠
جمع المادة العلمية..... ٣٠
تحليل المادة العلمية..... ٣١
محتويات فقرة التحليل..... ٣٢
طريقة عرض النتائج..... ٣٢
طبيعة الدراسة ومحتويات القائمة..... ٣٤
التداخل بين تحديد المشكلة وقائمة الموضوعات..... ٣٥
تمارين خطة البحث..... ٣٥
الفصل الثاني: الأخبار والقصص التاريخية..... ٣٧
المقصود بالأخبار..... ٣٧
الإخبار والرواية والتعليق..... ٣٩
المصورون لما وقع في الماضي..... ٣٩
النصوص المقدسة وغير المقدسة..... ٤٠
مصادر الأخبار وأصنافها..... ٤٤
طبيعة المشتركين في الأحداث..... ٤٥
مكونات الأخبار..... ٤٩
طبيعة الأخبار أو القصص التاريخية..... ٥١
الصرامة والعقل والنقل..... ٥٣
خطورة الأخبار السلبية..... ٥٧

صعوبة التحقق من دعاوي الخصمين ٦١
تمارين الأخبار والقصص التاريخية ٦٢
الفصل الثالث: التحقيق في الأحداث التاريخية ٦٤
عينة ممثلة من الروايات ٦٥
قراءة نافذة ومتعمقة ٦٦
القراءة المحايدة ٦٨
رد الخبر إلى الله ورسوله والمتخصصين ٧١
إقرار المعني بالأمر ٧٢
الشـــهود ٧٤
السمة البارزة ٧٦
ظروف الحادثة وتطوراتها ٧٨
الحذر من موقف المحب والكاره ٧٩
تناقض الراوي أو تلونه حسب الظروف ٨٢
المرجحات بين الروايات ٨٣
تمارين التحقيق في الأحداث التاريخية ٨٣
الفصل الرابع: المنهج التاريخي في خطوات تطبيقية ٨٥
النماذج ذات الطبيعة المختلفة ٨٥
نموذج: ما القرارات الأصوب في الفتنة الكبرى؟ ٨٥
قائمة المحتويات الأولية ٩٢
نموذج: لماذا قتل هارون الرشيد جعفرا؟ ٩٢
قائمة المحتويات الأولية ٩٤

نموذج: ١١ سبتمبر والإمبراطوريات المالية ٩٥
تمارين البحث التاريخي في خطوات ١١٤
الفصل الخامس: نتيجة ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى ١١٥
المقدمة العامة ١١٥
نتائج الدراسة ١١٦
حوادث استشهاد الخليفة عثمان ١١٦
بدايات الفتنة ١١٦
اجتماع الثوار على عثمان ١١٨
دعوة عبد الله بن سبأ ١١٩
مشاورات عثمان مع ولاته ١٢٠
المواجهة الأولى سنة ٣٤هـ ١٢٠
خروج الثوار إلى المدينة عام ٣٥هـ ١٢٢
مباغتة أهل الفتنة للمدينة ١٢٣
كتابة عثمان إلى الأمصار (سيف، الفتنة ص٦١ - ٦٣) ١٢٤
آخر خطبة لعثمان ١٢٥
حصار الخليفة ١٢٥
استشهاد الخليفة الراشد الثالث ١٢٧
ما القرارات التي صنعت الحدث؟ ١٢٨
قرار الفئة الباغية ١٢٩
قرار بقية أهل المدينة ومنهم الصحابة ١٣٠
قرار الخليفة الراشد عثمان ١٣٠

القرارات الأقرب إلى الصواب؟ ١٣١
تمارين استشهاد عثمان بن عفان ١٣٢
الفصل السادس: ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى ١٣٤
ظروف المبايعة لعلي رضي الله عنه ١٣٤
الخليفة الرابع الراشد يمارس سلطاته ١٣٥
الخليفة يرسل إلى أبي موسى ومعاوية ١٣٦
إستئذان طلحة والزبير عليًا في العمرة ١٣٧
وصول خبر استشهاد الخليفة إلى عائشة ١٣٨
أم المؤمنين في البصرة ١٣٩
قتال عائشة وعثمان بن حنيف ١٤٢
عودة القتال وانتصار عائشة ١٤٤
توجه الخليفة الرابع إلى البصرة ١٤٥
موقف أبي موسى الأشعري ١٤٦
نزول أمير المؤمنين علي في ذي القار ١٤٨
مساعي الإصلاح ١٤٩
رؤوس الفتنة يفسدون الصلح ١٥١
نتائج موقعة الجمل ١٥٥
سيرة علي فيمن يقاتلهم ١٥٥
خروج عائشة من البصرة إلى مكة ١٥٦
القرارات التي أسهمت في إهدار دم آلاف المسلمين ١٥٦
والسؤال: أي القرارات السابقة أكثر صوابا؟ ١٥٨

تمارين موقعة الجمل ١٥٨
الفصل السابع: نتيجة ما لقرارات الأصوب في الفتنة الكبرى ١٦٠
عمرو بن العاص يؤيد معاوية في طلب دم عثمان ١٦٠
خروج علي بن أبي طالب إلى صفين ١٦١
القتال على الماء ١٦٢
دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة ١٦٣
مقتل عمار بن ياسر ١٦٧
رفع المصاحف والاحتكام إليها ١٦٩
خروج الحرورية على الخليفة ١٧١
اجتماع الحكمين بدومة الجندل ١٧٢
مقتل بعض رؤوس الفتنة ١٧٧
تفريق معاوية جيوشه حول منطقة علي ١٨٠
محاولة معاوية السيطرة على المدينة ١٨٠
استشهاد الخليفة الراشد الرابع ١٨١
الخلاصة العامة ١٨٢
تمارين موقعة صفين ١٨٥
الفصل الثامن: لماذا قتل هارون الرشيد جعفرا؟ ١٨٧
مقدمة ١٨٧
نتيجة الدراسة ١٨٧
السمة الغالبة لهارون الرشيد ١٨٧
قصص سلبية حول هارون الرشيد ٢٠٠

هارون الرشيد والبرامكة ٢٠٣
الشخصيات الرئيسة من البرامكة ٢٠٤
سبب نكبة البرامكة ٢٠٦
السبب المرجح لقتل جعفر ٢٠٩
قصة جعفر والعباسة ومناقشتها ٢١٠
رواية الطبري لقصة العباسة ٢١١
رواية المسعودي لقصة العباسة ٢١٢
تمارين هارون الرشيد والبرامكة ٢١٧
الفصل التاسع: ١١ سبتمبر والإمبراطوريات المالية ٢١٩
مقدمة ٢١٩
نتيجة الدراسة ٢١٩
المتفق عليه ٢١٩
التفسيرات والقصص المساندة ٢٢٠
الهجوم على البنتاقون ٢٢١
قصة الطائرة الرابعة ٢٢٤
قصة انهيار الأبراج الثلاثة ٢٢٤
قصة المختطفين لأربع طائرات ٢٢٦
تصريحات أسامة الموثقة ٢٢٩
رسالة عطا أو وصيته ٢٣١
ضحايا الحادث ومصداقية حكومة بوش ٢٣٢
الجدار الذي تستند إليه التهمة ٢٣٣

قصة انهيار ٣ أبراج بسبب اصطدام طائرتين ٢٣٤
البرج رقم ٧..... ٢٣٧
مؤامرة الجمرة الخبيثة والإمبراطورية المالية..... ٢٣٩
من وراء المؤامرة القذرة؟..... ٢٤٠
المؤامرة فساد إداري ٢٤٠
مؤامرة إسرائيلية، نفّذها الموساد ٢٤٢
خصائص الإمبراطوريات المالية؟ ٢٤٦
الخاتمة والخلاصة..... ٢٥٣
تمارين أحداث ١١ سبتمبر ٢٥٤
قائمة المراجع..... ٢٥٦
بعض المواقع بالعربية..... ٢٧٠
مراجع أجنبية ومواقع ٢٧٢
قائمة المحتويات..... ٢٧٣